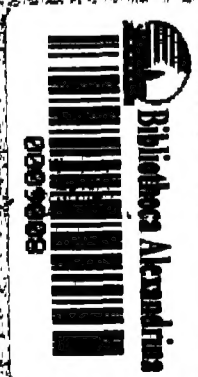


مصر في الأديب الغني والحدائق

تأليف

الدكتور محمد عبد الحليم محمد
مدرس الأدب في جامعة القاهرة



مكتبة جامعة القاهرة
القاهرة - مصر

الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم التمهيد: ٤٣٥٣
رقم التسجيل: ٤٣٥٣

4303

مص

في الأدب العبري الحديث

ريمان

تأليف

الدكتور - زين العابدين محمود حسن
كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٨٨

دار الثقافة للنشر والتوزيع
القاهرة - ت. ٩٤٦٩٦٠

إهداء

إلى ولدى الحبيب : محمد

أول من أعلن في صمت نيا أبوتي

مقدمة

قام الكثير ممن سبقوني الى مضمار الأدب العبرى باجراء العديد من البحوث والدراسات التى تلقى الضوء على صورة « العرب » فى الأدب العبرى فى عصوره المختلفة ، فأبلوا فى ذلك بلاء حسنا ، وحفلت دراساتهم بالعديد من أوجه الكمال والرقى التى تفخر بها مكتبتنا العربية . الا أن أحد لم يول صورة مصر — فى هذا الأدب — دراسة خاصة يلىق بدورها القيادى والريادى لأمتها العربية ، وهو الدور الذى لم ينقطع فى أى فترة من فترات التاريخ ، بل هو الدور الذى أدى الى ظهور مصر بشكل دائم ومتصل فى الأدب العبرى عبر مراحلها المختلفة ، ولذا رأينا أن نطرق هذا المجال ، يحدونا فى ذلك أمل الاسهام فى اجلاء هذه الصورة والوصول الى ملامحها وذرائعها ونتائجها .

وربما يرمينا أحد بالاقليمية . وكان الاقليمية باتت جريمة ، أو كأنه من المحتم علينا — حين نتعاون مع أشقائنا — أن نبرز ذواتهم وننسى ذاتنا أو نتناساها ، وهو ما نأباه لمصر بتاريخها الطويل وبشخصيتها المتفردة وتجارب أبنائها العديدة مع المكان والزمان منذ فجر التاريخ الانسانى ، بل هو ما تأباه عروبتنا التى تسرى فى الدماء ... فنحن حين نتحدث عن مصر فانما نتحدث عن زعامة الأمة العربية وقلبها ، وهذه الزعامة ما هى الا تكليف وتقليد ، تكليف فرضه عليها موقعها الجغرافى فى قلب أمتها العربية ، وتقليد رصده صفحات التاريخ وتعددت فصوله ، وما زالت تتعزز حتى الآن ، ولذا فان الحديث عن مصر يجب أن يحسب لنا لا علينا .

ونظرا لكثرة المؤلفات الأدبية العبرية التى تتناول صورة مصر — سلبا أو ايجابا — فقد قسمنا الكتاب الى بابين ، اشتمل كل منهما على

ثلاثة فصول . تحدثنا فى الباب الأول عن صرورة مصر القديمة ، حيث أفردنا الفصل الأول للمؤلفات التى لا تنظر الى مصر الا من خلال صفاتها التى وردت فى كتاب العهد القديم ، وهى صفات تتسم — فى مجملها — بالسلبية والافتراء ، وفى الفصل الثانى تحدثنا عن مصر الفرعونية ، حيث ألقينا الضوء على صورة الحضارة المصرية القديمة عند أدباء العبرية ، وهى صورة تتسم — فى الغالب — بالايجابية ، حسبهم فى ذلك ما شهد به علماء التاريخ من أن مصر هى قبلة العالم حضاريا وتاريخيا ، أما الفصل الثالث فقد أفردناه لذلك الاتجاه الذى ينظر الى أية كارثة محل بابيهود — فى أية بقعة من بقاع العالم — على أنها تكرار لما حدث لبنى اسرائيل فى مصر ابان عصر موسى ، ولذا باتت مصر رمزا لمنفاهم التاريخى .

أما الباب الثانى فقد تناول صورة مصر الحديثة فى الأدب العبرى ، حيث تناول الفصل الأول صورة مصر فى عيون أدباء العبرية الذين زاروها فى أى فترة من فترات حياتهم ، وتراوحت الصورة فيه بين السلبية والايجابية وفقا لطبيعة الزيارة . وعما اذا كانت طردا وملاذا أو رحلة واستمتعا ، وأفردنا الفصل الثانى للحديث عن صورة مصر عند بعض أدباء العبرية الذين نشأوا فيها وخطوا خطواتهم الأولى فوق ثراها ثم هاجروا بعد ذلك الى فلسطين وبقيت مصر فى وجدانهم باعتبارها موطن الميلاء . أما الفصل الثالث فقد أفردناه لصورة مصرى الأرض المحتلة فى الأدب العبرى الحديث ، وهى صورة تتسم — فى الغالب — بالسلبية والاحجاف انطلاقا من الفكر العنصرى القائم على ثنائية يهود الشرق ويهود الغرب (السفارديم والاشكنازيم) التى تهدد المجتمع الاسرائيلى من أساسه .

وتبقى — فى النهاية — كلمة ، وهى أنه من السهل أن نسقط الجانب الأدبى والفنى والفكرى من دائرة الصراع العربى الاسرائيلى ، ولكننا بذلك نرتكب خطأ فادحا فى حق أنفسنا وحق أمتنا . لأننا نسقط — من طرفنا فقط — جانبنا هاما من جوانب الصراع . قطعوا هم فيه شوطا كبيرا فعزغوا عنا الكثير ، وما علمنا عنهم الا القليل . ان الاطلاع على كتاب يساهم فى

تشكيل عقلية الفرد الاسرائيلي ووجدانه خير - ألف مرة - من الوقوف أمام مكبر صوت نهتف لأنفسنا ونصب لعناتنا عليهم وعلى اليوم الذي قدموا فيه الى المنطقة ! فهؤلاء بذهبون الى عند - عن طيب خاطر وبقوة الدفع الذاتي ، ذلك أن الأدب العبري يركز - أكثر ما يركز - على ربط هؤلاء الناس بالأرض واقناعهم بالتفاني في الدفاع عن هذه الأرض ، وهذا هو الوجه الآخر من الصراع ، وما علينا الا أن نقترحه لنؤكد أننا قادرون على خوض الصراع من كافة اتجاهاته ، وكتابنا هذا ما هو الا خطوة في هذا الطريق ، وهي خطوة لاقت تأييدا كبيرا من أستاذتي المجيلة الدكتورة زاكية محمد رضى - أستاذة اللغات السامية بجامعة القاهرة - بما تجنمته من مثونة مراجعة الكتاب وما أبدته من آراء قيمة أفدت منها أعظم أفادة ، فكانت نبعا عظيما أنترود من فيض علمه ، ونموذجا يقتدى به في كريم الصفات ..

وبعد .. فان هذا الكتاب لا يمكن له أن يدعى الأسبقية أو بلوغ حد الكمال في هذا الموضوع . فالكمال لله وحده . عليه التوكل ومنه التوفيق والسداد .

المؤلف

القاهرة في ٢٥/٣/١٩٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الارتباط الدائم بين مصر الأدب العبرى

تنبؤاً مصر مكانة أدبية هامة فى الأدب العبرى ، قديمه ووسيطه وحديثه ، فرضها تاريخها الذى ارتبط به بنو إسرائيل قبل عصر موسى وأثناءه وبعده ، كما فرضتها حضارتها القديمة التى شكلت نقطة ارتكاز أساسية فى مراكز الأبحاث العلمية المتعلقة بعلوم المصريين والحضارات القديمة فى العالم ، كما يفرضها وضع مصر فى منطقة الشرق عبر مختلف العصور ، وقيادتها لشعوب المنطقة العربية بأسرها ثقافيا وحضاريا ، حربا وسلاما ، تصديا ومقاومة لاستعمار جثم فوق صدور هذه الأمة ردحا طويلا من الزمن ، ناهيك عن علاقة مصر القديمة قدم التاريخ بفلسطين من ناحية ، وتصديها لدعوى الصهيونية — من حيث علاقتها بفلسطين أيضا — من ناحية أخرى ، مما جعل مصر فى محور الصراع الدائم والمستمر بين أممتها العربية والصهيونية ، حتى باتت — كما يقول بعض اليهود — « عدوا تاريخيا للصهيونية » ^(١) ، كما فرض هذه المكانة أيضا سماحة مصر وتعايش الأديان فيها ، مما جعلها — فى كثير من العصور التاريخية — ملاذا لكل مضطهد أو مظلوم من اليهود أو من غيرهم .

فمصر هى المكان الذى نزل اليه يعقوب وبنوه هربا من مجاعة قاسية اجتاحت فلسطين ، فأقاموا فيها ، وطالب لهم المقام ، وحظوا بما شاؤوا من خيراتها ، بل — هى أيضا — المكان الذى انقلب — فيما به دووفاً لما يقوله أحد أنبيائهم — «سجنا» أو « بيت العبيد » أو كور الحديد » ^(٢) ، وهى « المنفى الأول » الذى « نفى » اليه بنو إسرائيل ، حتى باتت — فيما بعد — رمزا « لفنهم التاريخى » بوجه عام ، وهى المكان الذى أعد

فيه بنو اسرائيل عدتهم للخروج الى فلسطين واقامة مملكة داود وسليمان ، حيث تلقى موسى الوحي أثناء الرحلة وعلى سيناء المصرية أيضا .

وهكذا ظلت مصر حية في ذاكرة بنى اسرائيل ، مهيمنة على أفئدتهم بالرغم من ذلك الانقطاع الطويل بينهما .. وبالرغم من ذلك العداء الذى دب بينهما منذ قرون طويلة من عمر الزمن ، الا أن مصر بقيت — بالنسبة لهم — مكانا ذا أبعاد رمزية ، مكانا يرمز الى القتل والنفي والتعذيب والعبودية ، واقتصرت معارفهم العقلية ومشاعرهم النفسية عن مصر عند هذا الرمز ، ولذا ظلت مصر لديهم مجهولة الحقيقة ، ولم يدر بخاطرهم — ربما عن قصد أو عن غير قصد — أن مصر منطقة ذات حدود جغرافية معينة يعيش فيها مجموعة من البشر لهم سلوك انسانى ، وأنها ليست سجنًا تحيطه الأسلاك الشائكة ويمتلئ بالعقاة والمجرمين ، أو جبا سحيقا يبيد كل من يهدى اليه ..

وبالرغم من أن بنى اسرائيل قد قاموا باتصالات مباشرة بينهم وبين مصر فى فترات متقطعة عبر مختلف العصور التاريخية ، الا أن عدد من أقام فيها منهم . وعرفها عن قرب كان قليلا ، وبالتالي فإن عدد الأدباء العبريين الذين عايشوها فى هذه الفترات كان من الندرة بحيث لم تذكر مصر فى الآداب التى خلفتها هذه الاتصالات الا لماسا .

بيد أن الأدوار تبدلت مع مطلع القرن التاسع عشر ، فقد غزت مصر الأدب العبرى من أربعة محاور ، يبدأ المحور الأول. بعد أن حلت رموز حجر رشيد ، حيث بدأت الحضارة المصرية القديمة تفصح بجلاء عن أسرارها ومكنوناتها ، ووفد العديد من علماء الآثار الأوروبيين الى مصر ، تحذوهم الآمال العريضة فى الوصول الى بعض هذه الأسرار ، كما أرسلت مصر العديد من أنبائها الى أوروبا كي ينهلوا من معين العلوم الحديثة ، وهو ما أسماه المؤرخون الانفتاح المصرى على أوروبا ، وقد كان لهذه البعثات — الأوروبية والمصرية — الأثر الكبير فى غزو مصر للمؤلفات الأوروبية^(٣) ، فحين عادت الوفود الأوروبية الى بلادها عبرت عما رأت ووصلت اليه من نتائج ، كما كتبت البعثات العلمية المصرية الى أوروبا

بدورها عن بلادها وحضارتها وتاريخها . ولذا فاضت الآداب الأوروبية — على اختلاف أنواعها — بالمعلومات القيمة عن مصر قديما وحديثا ... ولما كان الأدب العبرى يعيش آنذاك فى كنف الآداب الأوروبية — ينهل منها ما يشاء — فقد غزته المعارف، الجديدة عن مصر فطفق يعبر عنها بكل أنواع الانتاج الأدبى من شعر ونثر . وهذا لا يعنى أن اتصال الأدب العبرى الحديث بالحصار المصرية كان يقتصر على ما تقدمه الآداب الأوروبية ، بل أن مجموعات كبيرة من اليهود كانت تنظم العديد من الرحلات الى مصر لمشاهدة تلك الحضارات التى بهرت العالم كله ، وكان لهذه الرحلات — بلا شك — انعكاس كبير على نفوس الأدباء الذين شاركوا فيها ، فأخذوا يعبرون عن ذكرياتهم التى حملوها معهم .

أما المحور الثانى فاننا نعثر عليه فى أدباء عبريين نشأوا فى مصر — طوعا أو كرها — وعرفوا عنها الكثير ، ثم هاجروا الى فلسطين ، وهناك سجلوا سيرة حياتهم وما ترسخ فى أذهانهم عنها ، فمنهم من ذكرها بالخير والتقريز ، ومنهم من ذكرها بالسلبية والتجريح ، وسواء حدث هذا أو ذاك ، فإن المحصلة النهائية هى أن مصر استمرت محافظة على مكانتها فى الأدب العبرى الحديث . وبات العديد من أدباء العبرية — وخاصة ذوى النشأة المصرية — يلقون الضوء على مصر وطبيعتها وحضارتها وتاريخها وأهلها وكل ما ينتمى اليها . مصر كما عرفوها فى طفولتهم وشبابهم . وبالرغم من أن كل أديب من هؤلاء الأدباء يكتب ارتاجه بشكل فردى ، إلا أنهم يلتقون جميعا حول هدف واحد هو البحث عن الأصل والجذور ، فازدواجية الموطن — التى يعانى منها المجتمع الاسرائيلى — أدت بكثير من الأدباء والكتاب العبريين أن يتحدثوا بأسهاب — فى انتاجهم الأدبى والعلمى — عن موطنهم الأول الذى هاجروا منه ، وكأنهم فى حلبة صراع أو تنافس . أيهم يبين موطنه الأول أكثر ويلقى الضوء عليه . على أنه من الحق أن نقول أن الأوصاف التى ترد فى مثل هذه المؤلفات لا تتسم دوما بالايجابية ، بل أن السلبية أحيانا ما تسيطر عليها وتشكل خطها الرئيسى ، ربما ليثبت كل اديب من هؤلاء أنه لاقى من العنت والاضطهاد أكثر مما لاقى غيره ، أو أنه خاض الطرق الوعرة ، ثابتا على دينه وعقيدته متحديا أشق الصعاب ليصل فى النهاية الى « أرض الآباء !! » ، وعلى أية

حال فلا يكاد يكون هناك أديب من أدباء العبرية في العصر الحديث، غير حريص على إبراز مواطن القوة والضعف في موطنه الأصلي، وأصبح هذا الأمر طبيعياً ومنشراً في المجتمع الإسرائيلي بشكل كبير حتى اليوم.

والمحور الثالث تشكله تلك الحروب التي خاضتها مصر قائدة لأمتها العربية ودفاعاً عنها وحماية لمقدساتها وحفاظاً على الأرض والعرض والولد، ونضالها ضد الصهيونية والاستعمار وما يحكيانه من مؤامرات تستهدف المنطقة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، تلك الحروب التي كان لها أكبر الأثر في مجال الانتاج الأدبي العبري بشكل عام، حيث شغلت مصر — بأوصافها التوراتية السلبية — ميزاً لا بأس به من هذا الانتاج، فأخذ الأدباء العبريون يصورونها باعتبارها قاتلاً بربرياً متعطشاً لسفك الدماء دونما دافع، بينما يصورون بني إسرائيل باعتبارهم أناساً مسالمين طيبين محبين للخير ولكنهم مضطرون لخوض الحروب دفاعاً عن حياتهم ووطنهم التاريخي ضد ذلك القاتل!! ومن عجب أن تسود هذه النغمة إذا ما حققوا نصراً أو لحقت بهم هزيمة!!.

وأما المحور الرابع فأننا نلمسه بوضوح في السنوات الأخيرة حيث عاود الإسرائيليون اتصالهم بمصر عن قرب، وخاصة بعد توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، تلك المعاهدة التي أتاحت لهم الفرصة كي يقوموا بزيارة مصر، ويروا — رؤياً العين — ما كان يراود خيالهم وأحلامهم في بلدان الشتات، وياتوا يحكمون على ما ترسخ في ذهنهم عن مصر، وبات الواقع الملموس هو الفيصل بين الحق والظلم، وكان لذلك كله أثر كبير على وضع مصر في الأدب العبري، فنقد سجل الأدباء الزائرون ذكرياتهم عن هذه الزيارات بحلوها ومرها، وكان النشر — في ذلك — أسبق من الشرح وأكثر منه تعبيراً، ذلك أن تحرر النشر من قيود الوزن أو التفعيلة يعطيه القدرة على وصف الطبيعة وتصوير المكان بدقة أكبر وتفصيلات أكثر أسهاباً، وولد لبقاء أدباء العبرية بمصر في العصر الحديث قدراً لا بأس به من وصف الطبيعة المصرية من منطلق الواقع الملموس بعد أن كانت — عند الكثيرين منهم — خيالاً يداعب الجفون، وتوفرت — لدى الإسرائيليين — العديد من التحقيقات الصحفية بالإضافة

الى انطباعات السياح الاسرائيليين الذين يزورون مصر زيارات خاطفة،
فحظى المواطن الاسرائيلى بذلك على العديد من المعلومات والمعارف عن
مصر بالرغم من أنه لم يزرها ، ولذا بات أثر مصر جليا فى الأدب العبرى
الابداعى بوجه عام نتيجة لهذه الاتصالات .

وهكذا نجد مصر مرتبطة بالأدب العبرى الحديث — منذ بدايته
وحتى الآن — ارتباطا شديدا ، أو قل بدءا من نفتالى هيرش فيزل^(١)
נפתלי הירש פייזל ١٧٢٥ - ١٨٠٥ — الذى يضعه بعض نقاد
الأدب العبرى فى مقدمة الأدباء العبريين فى العصر الحديث — وحتى
أيامنا هذه ، ولما كان وجود مصر فى الأدب العبرى أكبر من أن نحصيه
اجمالا أو أن نقدره من النظرة الأولى ، لذا رأينا أن نصنف هذا الوجود
الى عدة صور ، سنحاول فيها أن نؤكد على وجود الصلة وتتابع العلاقة
بين هذه الصور وبين المرحلة الزمنية التى ظهرت أثناءها وأثرت فيها .

البسبب الأول

صورة مصر القديمة في الأدب العبري الحديث

- ١ - صورة مصر التوراتية •
- ٢ - صور قمصر الفرعونية •
- ٣ - مصر رمز للمنشئ •

الفصل الأول

مصر في صورتها التوراتية

ظهرت مصر في هذه الصورة بشكل واسع ودائم في الأدب العبري في مرحلة الهسكالا(*) ¹⁷⁷⁷، وخاصة في تلك المنظومات الشعرية التي تستعرض تاريخ بني إسرائيل في عصورهم القديمة ، والتي تشكل عملية خروجهم من مصر^(٥) أساسا محوريا وركيزة أساسية تدور حولها هذه المنظومات ، حتى باتت مصر مقترنة باسم موسى - قائد الخروج - الذي لم يعد يذكر تقريبا دونها ، بل كثيرا ما اقترن ذكرها أيضا بذكر بعض الأسماء الأخرى التي تنطوي على دلالات تاريخية ودينية عند بني إسرائيل مثل يعقوب ويوسف وأسنان ابنة فوطيفار واخناتون وغيرهم .

وبالرغم من أن حركة الهسكالا هدفت الى ادخال المعارف العلمانية الى المجتمع اليهودي وانقاذه من جمود الجيتو (***) وسلبية وتعصبه الديني ، إلا أن المؤثرات الدينية ظلت تمارس ضغوطها عليها وتوجه مسيرتها فترة طويلة من الزمن ، ذلك أنه لم يكن في مقدور هذه الحركة أن تتخلص من هذا الإرث الجامد دفعة واحدة ، ولو فعلت لرفض كل اليهود من حواها ولما أمكنها أن تتقدم في سبيل تحقيق أهدافها خطوة واحدة ، ولذا نجد ما تلتزم بمنهاج تدريجي هادئ يتيح للعقل الانساني امكانية العمل وسط هذا الخضم الهائل من المشاعر الدينية المتعصبة والدافقة لتي تربت في أحضان الصمغ اليهودية في الجيتو ، وقد أتاح

(*) الهسكالا هي حركة الاستنارة اليهودية في العصر الحديث ، وستحدث عنها في صفحتي ٢٣ ، ٢٤ .

(**) الجيتو كلمة تطلق على الأحياء التي كان يقطنها اليهود في أوروبا .

هذا المنهاج لحركة الهسكالا أن تحقق بعضا من أهدافها التي رمت اليها ، من أهمها أنها أخرجت كما هائلا من هذه المجموع الى الشارع الأوروبي ليتفاعلوا به ومعه ، كما خلقت حيزا معقولا لأعمال العقل الانساني ، وربما يفسر لنا هذا محاولة الهسكالا ايجاد صيغة للتكامل والتعايش بين العلم والدين ، كما يفسر لنا عودتها لتدوين ما خلفته العصور القديمة من معجزات وخوارق ، بل يفسر العودة الى التوراة ليستلهموا منها تاريخهم ، كما يفسر أيضا - وهو ما يهمنا في المقام الأول - السبب في ظهور مصر - بأوصافها السلبية التي وردت في التوراة - في هذه الفترة من فترات الأدب العبري الحديث . فكانهم بذلك وصلوا ما انقطع منذ العصور الغابرة ، عاد الشعر الملحمي التوراتي وبداخله شخصية موسى التي ترتبط ارتباطا قويا بمصر، من منطلق قيادته القبائل الاسرائيلية وخروجه بهم الى سيناء ، ثم تلقيه الوحي ، وما تبع ذلك من أحداث شكلت شخصية موسى فيها أحد العناصر والأركان الأساسية ، والتي يكثف بنو اسرائيل جهودهم للتركيز على أن خروجه مع قومه كان خروجاً من « منفى » امتن فيه « الشعب المقدس » الذي ظل - منذ ذلك الوقت - يقضي معظم تاريخه منتقلا من منفى الى منفى حتى صارت بلدان الشتات - في العصر الحديث - وكأنها امتداد لمصر في العصر القديم . ان خروج بنى اسرائيل من مصر يشكل نقطة ارتكاز أساسية في فكرهم العام وفلسفتهم القومية والدينية ، بل أنه يشكل مع فكرة « الخلاص » قطبي هذا الفكر ، فكلاهما يقع خارج التاريخ وفي دائرة المطلق، كما أنهما نقطتان متوازيتان - فالخروج هو بداية التاريخ « وعودة المسيح هي نهاية التاريخ » - وهما نقطتان تسيطران على الأدب العبري كله سيطرة كاملة ..

ومصر التوراتية حين تذكر في الأدب العبري الحديث فإنها تذكر بأوصاف سلبية ، هي بالتقريب ذات الأوصاف التي وردت عنها في كتاب العهد القديم . ولما كان الأدب العبري في مرحلة الهسكالا مقلا في وصف مناظر الطبيعة بشكلها التفصيلي ، فان مناظر الطبيعة المصرية - التي أثارت مشاعر الأدباء في كل العصور فطفقوا يصفونها في ابداعهم - لم تحظ بالقدر الكافي من اهتمام أدباء العبرية في تلك المرحلة ، وحتى حين كانوا يضمنون انتاجهم وصفا لهذه الطبيعة فانما كانوا يتحدون في

ذلك على الخيال الأدبي المحض ، أو قل هو الوصف النظري المجرد الذي يتعد — الى حد كبير — عن الواقع ، فكل ما كان يذكر لم يكن يتجاوز الطبيعة الجغرافية العامة مثل الوديان والجبال والهضاب والسهول والصحارى والبحار والأنهار وما شابه ذلك ، وحين تذكر هذه الأشياء فإنها تذكر فى خطوط عامة مستمدة من كتاب العهد القديم ، ولكن من الحق أن نقول أن اقتصار أدباء الهسكالا على استخدام الخطوط العامة عند وصفهم لم يكن خاصا بمصر وحدها ، وإنما كان ذلك هو أسلوبهم فى الوصف بشكل عام ، وما كان وصف مصر آنذاك إلا جزءا من الكل .

وتجدر الإشارة الى أن مصر تظهر فى تلك الفترة بشكل خاص فى الملاحم الشعرية الكبيرة ، بينما يقل ذكرها فى النثر^(٦) .

على أن وصف مصر فى العصر الحديث بنفس الصفات التى ذكرت فى التوراة يتسم بالسلبية والاحجاف ، ذلك أن الأدباء الذين ذكروها بهذه الصفات لم يستندوا الا الى كتاب العهد القديم ، فهم لم يزوروها ولم يخطوا أنها ولم يعيشوا تحت سمائها ، ولكنهم اكتفوا بهذا الكتاب الذى يصف مصر بأنها : « بيت العبيد » ، بل أن المهم « يهو » يستعمل وصايا العشر بقوله : « أنا الرب الهك الذى أخرجك من مصر ، من بيت العبودية ٠٠٠ »^(٧) وهى عبارة لم يكتف بذكرها مرة واحدة ، بل رددتها عشرات المرات « أنا الرب الهك الذى أخرجكم من مصر من كونكم عبدا وقطع قيود نيركم وسيركم قياما »^(٨) « وأذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر فأخرجك الرب الهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة »^(٩) وغير ذلك من العبارات التى تصف مصر بأوصاف سلبية ، والتى يصر بعض أدباء العبرية على ذكرها والنظر إليها بمنظار أسود تسيطر عليه أوهام « الحسدية »^(*) وخرافاتها .

الرد على سلبية الصفات التوراتية :

وعلى الرغم من أن المجال هنا ليس مجال الخوض فى قصة الخروج وما تبعها من أحداث ، الا أن طرح أدباء العبرية لها واستلهاها

(*) انظر هامش رم ٢٧ .

حديثا يفرض علينا أن نتناولها — ولو بايجاز — حتى تتبدد الشكوك ، وتنقشع ظلمات أراد لها محرفوا التاريخ الضلال والاضلال .

حقا لم تكن قصة خروج بنى اسرائيل من مصر خرافية كما قد يرى البعض ، وانما هي حادثة تاريخية حقيقية تنطوى على خروج جماعة من مصر فى عهد معين ، وتوجه هذه الجماعة نحو أرض كنعان المجاورة . وقد شامت الأقدار أن يسدل الستار على حقيقة هذه الجماعة أو أسباب خروجها ، اذ لم يعثر حتى الآن على مصدر قديم من المخطوطات الأثرية معاصر لخروج هذه الجماعة من مصر — يشرح لنا هويتها على حقيقتها ، أو الدوافع التى اضطرتها الى الخروج من مصر . والمصدر الوحيد الذى بين أيدينا هو التوراة التى كتبها مجموعة من اليهود فى الشتات بعد موت موسى بما يقرب من أربعة وعشرين قرنا ظل اليهود أثناءها يتناقلونها شفويا ، مما أفقدها الدقة وسنح ليد التحريف والاقحام أن تمتد اليها ، ولذا جاءت القصة — قصة الخروج — مشوهة ومحورة بالشكل الذى يخدم مقاصد خاصة وأهدافا معينة ، ولاحققتها الشكوك من هنا وهناك^(١٠) ، وأصبحت فى نظر الكثيرين أشبه بالأساطير الخيالية منها بالحقائق التاريخية ، بيد أن الشكوك لم تقتصر على التوراة وحدها ، بل أن هناك من شك فى شخصية موسى ذاته^(*) ، وعما اذا كان عبرانيا أم مصريا ، بل أرجع ديانة موسى لنفسها الى أصل مصري^(١١) ، وما دام الشك قد حام حول التوراة ونبى التوراة فإن كان ما يذكر فيها لا يمكن أن يكون محل ثقة أو مصداقية من اللحظة الأولى ، وينطوى تحت ذلك أسباب قصة الخروج وما تبعها من أساطير وتخيلات وتهويمات وادعاءات ، ربطوا بينها وبين شخصية دينية عالمية لها جلالها هى شخصية موسى عليه السلام .

ومن عجب أن توراتهم ذاتها — على ما بها من شكوك — تذكر ما لا يتفق مع العبودية أو مظاهر اضطهاد فرعون لبنى اسرائيل .

فهل صادر فرعون الخروج أرض جاسان — التى كان يقطنها بنو اسرائيل — التى أعطاها فرعون يوسف لجاليته حين لاخو بمصر . فرارا من

(*) على سبيل المثال سيجوند نرويد .

المجاعة ؟ ان التوراة ذاتها تروى أنهم لبثوا فيها الى اليوم الذى خرجوا فيه ، وكانت هذه الأرض أفضل من غيرها وتشهد على ذلك العبارة التوراتية القائلة « ضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل الا أرض جاسان حيث كان بنو اسرائيل فلم يكن هناك برد » (١٣) .

ثم هل كان بنو اسرائيل فى عهد فرعون الخروج هذا يشكون العوز والحرمان ؟ كلا ، فقد خرجوا من مصر وهم يسوقون أمامهم قطعانا كبيرة كثيرة من الباشية « وصعد معهم لفيف كثير أيضا مع غنم وبقر ومواش وافرة جدا » (١٣) .

وتوراتهم ذاتها تشهد كذلك أنهم أكلوا على مائدة مصر وشربوا ، ونالوا من رزق العيش فيها رغدا ، حتى أنهم ندموا على تلبيتهم دعوة موسى وهارون لمسيرة الخروج « وقال لهما بنو اسرائيل ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع » (١٤) ، ثم يخاطبون موسى نفسه قائلين « أثليل انك أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا لتميتنا فى البرية » (١٥) ، ثم ألم يترددوا فى قبول دعوة موسى للخروج « فكلهم موسى هكذا بنى اسرائيل ولكن لم يسمعوا لموسى » (١٦) فأى عبودية تلك التى يقصدون وقد ترددوا فى قبول دعوة للافلات منها ، ألا يلقي هذا بظلال من الشك على زعم توراتهم بأن مصر هى أرض العبودية ؟ ! وقبل هذا كله ، ألم تكرم مصر وفادة يعقوب وأبنائه من مجاعة اجتاحت فاسطين آنذاك (١٧) ؟ وألم يتزوج سليمان من أميرة فرعونية ؟ ألم يلجأ الكثيرون من بنى اسرائيل الى مصر التماسا لخيرها وعطائها وطلبا لودها وبحثا عن حمايتها وخاصة فى عصر يهوياقيم (أحد ملوك مملكة يهوذا) (١٨) ؟

وإذا ما نحينا التاريخ التوراتى جانبا ، وقرأنا التاريخ العام سنجد أن أقدم ما وصل إلينا من معلومات عن قصة الخروج — بعد التوراة — يرجع الى عهد يوسفوس — المؤرخ اليهودى الشهير (القرن الأول الميلادى) — الذى ينقل عن ما نيتون — المؤرخ المصرى الذى عاش فى القرن الثالث قبل الميلاد — قوله : ان سبب خروج جماعة موسى من مصر

هو رغبة المصريين أن ينتقوا ثروباء انتشر بين بني اسرائيل (١٩) . كما أننا نجد روبرتسون Robertson يقول : « لقد تعلم بنوا اسرائيل صناعة السفن وعادات شعوب البحر منذ دخولهم الى مصر بعد أن عاشوا أعواما طويلة يسكنون الخيام ويعملون بالرعى » (٢٠) ثم يقول : « كذلك مارس بنو اسرائيل الأعمال الحرفية المختلفة وأتقنوها ، كما أنهم كانوا يشغلون مناصب لا بأس بها ، فكان منهم الضباط ، والكتبة والنظار والمشروعون (٢١) ويقول بونتيت Pontet « لو كانت هناك عبودية ما أتاح المصريون لبنى اسرائيل ممارسة هذه الوظائف » (٢٢) ونحن نستطيع أن نقول ان العلاقة بين الامبراطورية الفرعونية ومملكة داود وسليمان لم تكن دوما سيئة ، كما أنها لم تكن يوما طيبة طول الوقت ، فكثيرا ما فر اليهود من اضطهاد ولاذوا بمصر لتحميمهم ، وكثيرا ما انضمت جماعات من بني اسرائيل الى جيش مصر كمرتقة ، وقبل سقوط الهيكل كانت هناك في مصر مستوطنة يهودية يقوم سكانها — من الجنود المرتقة بحماية حدود مصر الجنوبية (٢٣) . وعلى الجانب الآخر نجد الأقلية الاسرائيلية في مصر قد تحالفت مع الهكسوس ضد مصلحة البلاد وأمنها ، كما أن كثيرا من الفراعنة قاموا باحتلال فلسطين لحماية حدود مصر الشرقية ، أو فرضا لحكومة تابعة لهم . .

وبعد هذا كله ألا يمكننا القول : اذا جاز أن يحسب علينا خطأ فرعون واحد — هو فرعون موسى — أليس من العدل أن يحسب لنا أمجاد فراعين آخرين وضعوا القواء الأولى لحضارة الانسان ، ويكفي الواحد منهم أمة بأسرها في باب التفاخر (٢٤) ؟ ١١ .

لقد دار التاريخ بين مصر وبني اسرائيل — في العصر القديم — دورته الطبيعية ، وكانت العلاقة بينهما علاقة عادية تنسم بالصداقة أحيانا وبالعداوة أحيانا أخرى . فما قصد المصريون ببني اسرائيل عنفا ولا تتكيلا ، وما أراد محرفوا التوراة ومن سار على دربهم بمصر الا عنقا وشططا وافراطا ، وما كانت حادثة الخروج سوى حدث عادي نظر اليها التاريخ العام نظرة عادية خالية عن أى استثناء خاص أو قيمة فريدة ، خاصة وأنه لم يعثر على مصادر تاريخية موضوعية يمكن التحقق منها

أو اثباتها ، بينما ينظر التاريخ الدبنى اليهودى الى تلك الحادثة باعتبارها معجزة الهية ، حتى باتت تمثل ركيزة أساسية من ركائز العقيدة الدينية عند اليهود ، وبذلك اختلط التاريخ بالدين ، واتخذت الحادثة طابعا تاريخيا دينيا سيطر على وجدان بنى اسرائيل جيلا بعد جيل ، وعبروا عنه فى انتاجهم الأدبى والفنى بشكل عام ، وأصبحت مصر فى الوجدان اليهودى - وبفضل هذه الأوهام - رمزا للمعبودية والنفى والقتل ، وتحول المصريون رمزا للاغيار الذين يجب أن تلاحقهم يد الانتقام ... ولننقط بعض النماذج التى تتضمن هذه النظرة التوراتية السلبية لمصر .

שירי תפארת | «قصائد المجد» التى كتبها نفتالى هيرش فيزل
גפחלי הרץ פיזל (١٧٢٥ - ١٨٠٥) :

ملحمة كبيرة تتكون من ستة أجزاء وثمانى عشرة مقطوعة شعرية م
نظمها فيزل حين بنع من العمر ستين عاما ، وقد استغرق صدورها أربعة
عشر عاما من ١٧٨٨ حتى ١٨٠٢^(٢٥) ، وتوفى فيزل دون أن يكمل الجزء
السادس ، فأكماله ابنه سليمان فيزل / שולמנ פיזל عام
١٨٢٩ .

وتدور هذه الملحمة حول حياة اليهود فى مصر قبل الخروج ،
كما تتناول حياة موسى منذ مولده ، ثم حياته فى قصر الفرعون ، ثم قيادته
المقبائل الاسرائيلية وخروجه معهم الى سيناء ، وتنتهى على أثر صعوده
الى النجل وتلقيه الوحي ثم وفاته . ويجدر بنا - قبل أن ندرس هذه
المقصائد - أن نعطى لمحة سريعة عن الحياة اليهودية والأدب العبرى
ابان نظم هذه القصائد ، والتى يصعب فهمها وإدراك أهدافها دونهما .

فقد نظمت هذه القصائد فى مرحلة مبكرة من الأدب العبرى الحديث ،
وهى مرحلة « الهسكالا » التى تعنى التثوير أو الاستنارة ، وهى تعبر
عن تيار اجتماعى فكرى ، اجتاحت مجتمعات اليهود منذ القرن الثامن عشر ،
بهدف اخراج اليهود من عزلتهم ، وتكيفهم مع الظروف المتغيرة ، التى
استجدت من حولهم فى العصر الحديث وذلك دون أن يفقدوا هويتهم

اليهودية وطابعهم المميز ، فقد عاش اليهود — قبل ذلك — منغلقين على أنفسهم في الجيتو ، يميزهم التزمت الشديد لقرااتهم ومقدساتهم ونظرتهم المتعالية الى أبناء الشعوب الأخرى واضعين في اعتبارهم أنهم «شعب الله المختار» وأن ما عداهم هو الباطل، فحرموا أنفسهم من تعلم اللغات الأجنبية والعلوم العامة ، بل رفضوا أن تكون اللغة العبرية ذاتها لغة للحديث ، فهي — في نظرهم — لغة مقدسة ، كما كان التعليم يتركز على أسس دينية عقيمة ، وكان العلم الوحيد المسموح لهم بالاستغفال فيه هو التلمود وشروحه ، بل كان من المحرم عليهم دراسة بعض أجزاء من كتاب العهد القديم منها — على سبيل المثال — الكثير من أسفار الأنبياء ، وسائر الكتب الحكمية والنبوءات كما حرموا على أنفسهم دراسة الفلسفة العبرية التي وضعت في العصور الوسطى^(٣) ، وأبان ذلك الجمود والتخلف الذي يعيشه اليهود كان رقى العلم والثقافة قائما على قدم وساق في أرجاء القارة الأوروبية ، وتألفت نظريات الحرية الفردية وحقوق الانسان ورفض أشكال الحكم القائم على الاستبداد وهو ما أطلق عليه اجمالا — حركة التنوير الأوروبية ، ونتيجة لهذه التطورات تغيرت نظرة المجتمع الأوروبي الى اليهود ، فقد ألغيت القوانين المقيدة لحرياتهم ، وأصبح من الممكن أن يمارسوا نشاطهم داخل بلدانهم كمواطنين عاديين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات ، وما أن جاء القرن الثامن عشر حتى ضاق مجموعة من شباب اليهود بتلك التقاليد البالية والطباع اللاانسانية التي شكلت حاجزا من الغرابة بين اليهود وبقية الشعوب ففتحوا الى «متجددين» أي معارضين لذلك التيار المترمت الذي كان يسود المجتمعات اليهودية ، واتجهوا الى الثقافة الأوروبية الحديثة ينهلون من معينها ، وكان فيزل أحد هؤلاء اشباب الثائرين ضد تزمته أهليهم ، وقد أطلق على المرحلة الجديدة مرحلة «الهسكالا» أي التنوير والثقافة ، وكأي حركة جديدة كانت بداية الهسكالا من الضعف بمكان ثم ما لبث أن اشتد عودها بعد ذلك .

أقول هذا في معرض حديثنا عن «قصائد المجد» التي نظمها في تلك المرحلة والتي يدعو فيزل — من خلالها — الى خروج اليهود الى الشارع الأوروبي والأخذ بالعلوم الحديثة ، والتي يركز عليها

على موسى باعتباره « المسكيل » أى المثقف أو المتنور ، الذى يحمل لواء الثقافة ويقود أبناء شعبه نحو التنوير ، بينما يقف على الجانب المضاد فرعون مصر مع العماليق والرعاة — بجهلهم وجاهلهم وكراهيتهم للعلم — ليحاربوا الثقافة . ويحولوا دون انتشارها ، فكأنما أراد فيزل أن يستقى نعوتا من مرحلة حديثة — وهى مرحلة الهسكالا — ليضيفها على مرحلة قديمة من التاريخ وهى مرحلة وجود بنى اسرائيل فى مصر . فموسى هو قائد الهسكالا والتنوير ، يتبعه فى ذلك شعبه ، بينما يحاربه المصريون القدماء ويقفون حجر عثرة أمام الثقافة والمعرفة ، ومن يعارض « الهسكالا » من اليهود — فكأنما يقف مع المصريين والرعاة ضد شعبه وضد « سيد أنبيائهم » موسى ، فيحقق عليه آنذاك ما يحقق على المصريين من صفات وويلات .. وهكذا أبقي فيزل على أدوار القصة القديمة كما هى ، فالمصريون يشجعون الجهل ، يقودهم فى ذلك فراعينهم ، بينما يشجع بنو اسرائيل العلم والثقافة ويقودهم فى ذلك « موسى » !! بيد أن الممثلين هذه المرة كلهم من بنى اسرائيل ، دعاة الهسكالا ومعارضيههم . — لقد استلهم فيزل — فى هذه الملحمة — شخصية « سيد أنبياء بنى اسرائيل » لتكون ذات تأثير قوى على الجموع اليهودية ، فى وقت كانت هذه الجموع تفتقد الى قائد يهودى قوى شجاع يقف فى مقدمة الصفوف ليواجه المتمرد من أبناء شعبه رافضا لأفكارهم الحسيدية^(٢٧) المترمة ومنطلقا بشعبه الى حيث المعارف الانسانية العامة .

وقد احتدم جدل كبير حول اقدام فيزل على نظم هذه الملحمة ، وحول الدوافع التى أدت به الى هذا العمل ، وهو الذى لم يقدم على نظم أية قصيدة دينية طويلة حياته قبل هذا^(٢٨) ، وأجمع معظم نقاد الأدب العبرى الحديث — وعلى رأسهم جريبتس ، ان كلمات هيردر فى هذا الشأن كانت بمثابة دعوة صريحة لفيزل كي يؤلف قصائد المجد^(٢٩) ، فنحن نجد هيردر يقول فى كتابه عن روح الشعر العبرى « نكم ادھش حين أعلم انه ليس لدينا حتى الآن عمل عن موسى ، وعن انقاذه للأمة من العبودية ، وتحويلها الى أمة تعبد الرب ، وانى أرى أن عملا كهذا يعتبر أكثر قيمة وسموا من سائر القصص الواقعية التى تدور حول الحروب والرحلات ، فموسى هو أقدم مشرع نعرفه قام بسن القوانين التى تلقى

منا المهابة والاجلال ،حياته المليئة بالمتغيرات المدهشة ، ميلاده وتعلمه في مصر ، ثم خروجه منها محبة لشعبه . ودعوة الرب له في الصحراء ، والصراع بين اله آباءه وبين الفرعون وكهنة مصر ، والخروج بقومه عبر البحر ، وعمود النار والسحاب ، ونزول التوراة ، والمعجزات التي حدثت في صحراء سيناء ، وتطلعه الى أرض كنعان ، كل هذه الأحداث تشكل مادة ثرية للشاعر . . انني لا آمل أن أثير بكلامى هذا شاعرا ألمانيا ، انما أملى أن أثير شاعرا عبريا من يهود ألمانيا يمكنه أن يخرج هذا العمل الى حيز التنفيذ ، باعتباره موضوعا قوميا «^(٢٠)» بينما يرى كلوزنر أنه متأثر فيها الى حد بعيد بقصيدة المسيح لكلوبشتوك (*) ، ولا سبيل لأن نعثر فيها على نظرية جديدة عن تلك الأحداث التاريخية أو حتى على خيال مجنح أو متانه لغوية^(٢١) ، وكلوزنر يقول ذلك من منطلق أن قصائد المجد عند فيزل تنتهى بصعود موسى للجبل وتلقيه الوحى ، وهو بالضبط ما حدث في قصيدة المسيح عند كلوبشتول حيث شتنتهى بصعود المسيح وجلوسه بجانب الرب .

بيد أن كلوزنر — فى هذا الرأى — يتناقض مع الرأى السائد بأن الجزء السادس قد أكمله ابنه بعد وفاته ، فهذا الجزء يتضمن عملية صعود موسى للجبل ، ولذلك فان التناقض قد بات واضحا وشديدا بين رأى كلوزنر ورأى أغلبية النقاد ، فاذا كان فيزل متأثرا بكلوبشتوك فلا بد أن نسلم أيضا بأن فيزل نفسه هو الذى كتب الجزء السادس وليس ابنه .

وعلى أية حال فان الملحمة قوبلت بنقد شديد حيث انتهى النقد الى أنها تفتقر الى مقومات الطابع الملحمى وقوة الخيال ، ووصفوها بأنها ليست سوى قصص من الكتاب المقدس فى أبيات ، وبأنها شروح للتوراة معدة فى صورة شعرية^(٢٢) ، أو كما قال جريتش « هى تاريخ بنى اسرائيل مكتوب فى إطار شعري »^(٢٣) .

(*) كلوبشتوك هو شاعر المانى معاصر لفيزل .

وبالرغم من أن « قصائد المجد » هذه تتناول قصة دارت أحداثها كاملة على أرض مصر وتحت سمائها ، وهي قصة الخروج التي جعلها اليهود ركيزة أساسية في فكرهم الديني والاجتماعي والسياسي ، نقول انه بالرغم من ذلك كله الا أنها لا تعكس لنا شيئاً عن المسرح الذي جرت عليه الأحداث ، عن الطبيعة المصرية سواء في وادي النيل - قبل الخروج - أو في صحراء سيناء بعد الخروج ، لم نعثر حتى على مجرد تلميح ولو من بعيد ، وهو أمر كان ميسوراً في عصر فيزل ، ذلك العصر الذي تعددت فيه الرحلات الفردية والجماعية ، والتي تمخض عنها فيض هائل من كتب الرحلات على اختلاف أنواعها ومصادرها ، بل ان فيزل لم يعمل خياله - ليصف هذه الطبيعة - كما فعل غيره من الأدباء فيما بعد .

وإذا سلمنا أن هذه الملحمة تفتقد الى وصف طبيعة المنطقة التي دارت عليها الأحداث فعلينا أن نسلم أيضا بضعف الخيال الأدبي واضمحلاله . ويبدو أن فيزل كان يهدف الى جعلها ملحمة فكرية فلسفية يعبر فيها عن نظريته الخاصة في الأحداث المعاصرة له وعن شخصية تاريخية هي شخصية موسى ، ليربط فيها بين ماضي اليهود وحاضرهم ، فتحدث عن كل شيء عدا الوصف ، ولكن هذا لا يغني عن القول بأن الوصف والخيال كانا من الضعف بمكان في تلك المرحلة المبكرة من الأدب العبري الحديث ، ليس عند فيزل فقط بل عند معاصريه من الأدباء .

ويتحدث فيزل عن قدوم بنى اسرائيل الى مصر فيقول :

לִהְרֹאת זְשַׁבָּאֵל מִצְרַיִם שְׁמַחוּ ,
 אֵת כָּל שְׁעָרֵי עִירָם לָהֶם פֶּתַחוּ , -
 וּבְמִיטֵב הָאָרֶץ שְׂאֵנוּ זְשִׁבוּ .
 שֶׁם הָרְבוּ בָנִים כְּדָגֵי יָם שְׂרָצוּ ,
 שֶׁם חִילָם וְאַסְמָם לָרֹב פָּרְצוּ .

الترجمة :

سعد المصريون بمقدم بنى اسرائيل
فتحوا لهم كل ابواب مدينتهم
وأقاموا في أكثر مناطق الأرض سكينة
هناك تزايد الأبناء وتكاثروا كأسمك البحر
هناك نمت قوتهم وفاضت صوامع غلالهم

فالشاعر في الأبيات السابقة يتحدث عن قدوم بنى اسرائيل
الى مصر ابان حكم يوسف ، وكيف استقبلهم المصريون بصدر منشرح،
وكيف أكرموا وفادتهم ، ثم كيف عاش القادمون في مصر في جو من
الهدوء والسكينة فتناسلوا وتكاثروا وزاد عددهم ، فالمصريون هنا
كرماء ومرحبون ومصدقون ، وفجأة يقول الشاعر :

(٢٤)

פְּתָאנָם נְחִפָּה יוֹמָם אֶל חֲשֻׁפֹת לֵיל
- וַיְדִיחֵם לֹא מֵצָאוּ כֹל אֲנָשִׁי חֵל
וּמְנַאֲבוּ: בְּפֶשׁ, מִכֶּכֶּר צָרָה
כִּי חֲפָה לָב סָם לְשִׁנּוֹא צָאוּ יָדָה,
חֲרָשׁוּ בְּעוֹת, הִתְנַפְּלוּ בַּעֲבָדֶיהָ,

الترجمة :

وفجأة انقلب نهارهم الى ليل بهيم
لم تعثر اياديهم على من يدافع عنها
ومن هول الأزمة ومن أسى النفس
تحول قلب دافى، وأصبح يكره أغنامك
ربضت الوحوش واحتالت بعبيدك

فهنا أصبحت مصر فجأة دارا للعبيد ، قطعت على بنى اسرائيل
سكينتهم ، فشعروا تجاهها بالمرارة ، وطفقوا يكرهونها ويمقتونها ،

والغريب أن فيزل لم يذكر النسب في تحول سلوك المصريين تجاه بني إسرائيل فجأة وعلى هذا النحو . ومن الواضح أن الشاعر تناول في الأبيات السابقة أيضا مصر حكومة وشعبا ، ولكنه لم يتناولها كأرض مثل مسرح الأحداث في القصة .

ثم يتحدث فيزل عن قيادة موسى للعبريين في الخروج من مصر ، وكيف أنه زهد في خيرها لأنه لا مساعدة في خير يصاحبه ألم ، ولا انبهار بعجائب يصاحبها انحلال !! .

וַיְבָרֶךְ אֱלֹהִים מֵאֲדָם מִצְרַיִם
אֵת הַמִּצְרַיִם הַקְּדוֹשִׁים עֲקֹבוֹתָיו לֹא הוֹדִיעַ
כִּי אֵיבָבוּ עָוֹן בְּיָדָם אֶת־יְהוָה
לְעֹזֹב כָּל מִוֶּב מִצְרַיִם לֹא הוֹדִיעַ מִן
הַעֲצֵב עֹזֹב מִוֶּב לֹא יִשְׁפָּעֵהוּ
יַעֲצֵב וַיֵּרֶד מִגְדֻלוֹת לֹא הִסֵּךְ בְּהִנָּה
אֵשׁ לֹא הִלָּךְ בְּהִדְלוֹת לֹא יֵשֵׁב בְּשִׁפְלָה
אֵשׁ לֹא עָמַל לְאִסּוֹף עֹשֶׂה לֹא יִדַּע עָוֹן

(٢٧)

الترجمة :

وهرب رجل الله من أرض مصر
ناح وهرب ، يخفى أثره دون أن يعلن
أن عدوه الجبار سيتتبعه ويهاجمه
ولم يتألم حين ترك مصر وخيرها
وهل يتألم من يعزف عن خير لن يشبعه ؟
وهل يتألم من يهجر عجائب لا يبتغيها ؟
وشخص لا يكدح ليحقق ثراء ، هو شخص لا يعرف الفقر
وشخص لا يكدح ليحقق ثراء ، هو شخص لا يعرف الفقر

ومن الواضح أن فيزل في « قصائد المجد » كان متأثرا إلى حد كبير بالأسلوب التوراتي الكلاسيكي وهو أسلوب ساد أدب الهسكالا كله حيث كانت عملية احياء اللغة العبرية ما زالت في مهدها ، فالألفاظ

والمصطلحات — بل كثير من العبارات — مستمدة بالكامل من التوراة ، ولم يكن الأسلوب فقط هو الذى استمد من التوراة ، بل ان المضمون ذاته لم يكن الا سردا لما ورد بين سطورها ، وهكذا أصبحت الملحمة خلوا من كل فكر خاص أو خيال أدبى ذاتى وهما من الأسس الرئيسة فى فن الشعر ، بل فى الفنون الأدبية كلها .

أما النموذج الثانى فهو قصيدة
أسنات بنت فوطيفار^(٣٧) التى كتبها يهودا ليف جورودون^(٣٨)
יהודה לב פוטפאר : (١٨٣٠ — ١٨٩٢) :

وردت هذه القصيدة فى ديوان
قصائد يهودا الذى نشر عام ١٨٦٨ ، وهو ديوان يتخذ من أساطير حكماء اليهود وكهنتهم موضوعا أساسيا له ^(٣٩) . وطبقا للقصيدة فان فوطيفار يعتبر أبا لأسنات التى تزوجها يوسف ، كما اعتبرت زليخة — زوجة فوطيفار — أما لها . وقد استند جورودون فى ذلك الى التقاليد القديمة القائلة بأن يوسف تزوج من ابنة زليخة امرأة فوطيفار التى لم تنجح فى اغراء الشاب العفيف والانحراف به عن جادة الصواب ، فانبرى الشاعر يصف ذلك الحب الطاهر الذى يكته يوسف لابنة سيده الرائعة الجمال التى كانت تبادل له الحب . وفى الوقت الذى تنهم غيصة زليخة يوسف بأنه حاول أن يحملها على الانحراف عن جادة الصواب — مما أدخله السجن — تتشب فى صدر الصبية حرب عنيفة بين ثقتهما القوية بصدق أمها التى تقدرها وبين حبها ليوسف ، وهذه الصبية — التى أصبحت صبية البلاط لدى ملكة مصر — هى التى تذكر لملك مصر — حسب ابتكار الشاعر — العبد يوسف حاكما للبلاد المصرية بأسرها وزوجا لأسنات ابنة زليخة عدوه اللدود .

وهكذا فان الأم التى حاولت أن تراود فتاها يوسف عن نفسه لم تسطع أن تحقق ما عقدت العزم عليه ، ولم تفز بيوسف بل فازت به ابنتها . . . وهكذا تدور القصيدة حول التهمة التى حاقت بالمصريين : رغبات ، وشهوات متمثلة فى زليخة ومنافستها لأسنات ابنتها ، وفى

المقابل نجد موقفا آخر ، نجد عفة وطهارة يتسم بها يوسف الذى تذكره القصيدة باعتباره ممثلا لبنى اسرائيل ، وبالتالي فان المصريين القدماء تحكمهم الشهوات والرغبات ، بينما تحكم بنى اسرائيل الطهارة والعفة . ومن عجب أن نوريت جوبرين ١٦٦٦ ١٦٦٦ - وهي ناقدة شهيرة فى اسرائيل يقول : « يجب أن نفهم هذه القصيدة ونستوعبها فى إطار كفاح الفرد ضد المجتمع ، ونضاله ضد الاتفاق الاجتماعى العام »^(١٠) فكان المجتمع المصرى القديم كله كان غاسقا وزنديقا ، وكان بنى اسرائيل مجموعة من الأطهار والملائكة !! فهل ينسحب خطأ زليخة وما اقترفت من ذنوب وآثام على شعب بأكمله ، وهل كل الفراعين وعامة الشعب « زليخة » ؟ وهل كان كل بنى اسرائيل « يوسف » ؟ ولم لا ينظر الى الواقعة كحدث فردى لا يرتبط بالامة كلها ؟ وهل من الضرورى أن ينسحب فسق زليخة على مصر ، وطهارة يوسف على بنى اسرائيل ؟ أم هو تصيد وتحريف لحقائق التاريخ ؟ !! اننا لا يمكننا أن نصدر حكما عاما بالانحلال على مجتمع عثرنا فيه على فرد أو عدة أفراد يتسمون بالانحلال ، كما أنه لا يمكننا أن نطلق حكما عاما بالطهارة والعفة على مجتمع لمجرد أننا عثرنا فيه على فرد أو عدة أفراد يتسمون بالعفة والطهارة ، ولكننا يمكننا أن ننظر الى كلتا الحالتين باعتبارهما الفردى وليس الجماعى .

واذا كانت « قصائد المجد » التى نظمها فيزل تثقف الى التصوير والخيال ، فاننا نجد جوردون يحاول أن يضمن قصيدته - أسنات بنت فوطيفار - مناظر الطبيعة والبيئة المصرية ، ولكن فى إطار من أحكام وسمات أدب الهسكالا الذى كان يلتزم بالخطوط العامة فى الموصف دون الاغراق فى التفاصيل ، فهو يصف مصر فى القصيدة باعتبارها « سوق العبيد » ، وهو مكان يضم العديد من الأجناس والألوان من أبناء الشعوب جميعا ، كما يصور المصريين وقد احتشدوا فى هذا السوق لاختيار ما أرادوا من عبيد وهو يتفق مع ما ورد فى التوراة من أن مصر هى « بيت العبيد » ، حيث يقول الشاعر :

שם עושים חומים ולהבים ועמרו
 כלור ומטוט דמסק וקבל
 משקא מערב מאשור ומחרו
 מהם נרלי קומה עומקים בחדל
 מהם נקדים בקות ועברו
 שרים ומחוללים ומרמים על נבל
 והמון כלנים שונים שמח נקהלו
 ובהם ויבקרם למחרם ושאלו

(41)

الترجمة :

هناك يقف الزنوج السود المتحمسون
 من اللد ومن تخوم دمشق وبابل
 من سبأ ، من العرب ، من آشور ومن الهند
 منهم شرفاء (طويلو القامة) يحملوا الشقاء
 ومنهم أقزام يشتغلون في البيت
 يغنون ويرقصون ويعزفون على القيثارة
 واحتشد هناك مختلف العملاء (الزبائن)
 ليفحصوهم ويختبروهم ويسألوا عن ثمنهم .

ثم ينتقل الى بلاط فوطيفار وزير الشرطة ، فيصفه بشكل أكثر
 دقة وتفصيلا ، مستخدما المجاز والاستعارة ، فيصفه بأنه « جنة عدن »
 في مقابل ما يعانيه الشعب من ضغوط الحياة وآلامها ، وهو — أي
 فوطيفار — لا يعبأ بهذه الضغوط ولا يعير آلام الشعب انتباها

שרים נקמד שחול על סלני מים
 בו יעל כל עץ נקמד לעינים
 שם ינח השקר והמרח והמון

(42)

الترجمة :

بستان بديع مغروس على ضفات البحر
 اثمرت فيه كل شجرة تعجب الناظرين
 هناك يتهدم اللوز ويثمر الكروم

لقد أسهب جوردون في إطلاق أطيب الصفات على قصر فوطيفار ، بيد أنه لم يسلقها حبا في اظهار الجمال والابداع ، بل ليعقد المقارنة بين حياة الحكام وحياة عامة الشعب ، وليصل في النهاية الى أن هؤلاء الحكام كانوا شديدي الظلم لا يعاون بما يقاسيه الشعب ، ومن المثير للدهشة ان كاتبة مثل نوريت جوبرين تقول عن هذا الوصف « ان من لا يدرك ما يتحدث عنه جوردون — منذ الوهلة الأولى — سيعتقد أنه يصف بيتا في أرض اسرائيل ، وربما لا يخطر له أنه يدور حول بيت من بيوت مصر » (١٣) وكأن الابداع والجمال سمة خاصة من سمات بني اسرائيل لم يقدر الآخرين أن يحظوا منها بالقليل ، أو كأن أدباء العبرية لا يصفون جمالا وابداعا الا اذا كان ينطبق على بني اسرائيل فقط ! ونسيت نوريت — أو ربما تناست أن الشاعر يوظف كل ملكاته الفنية ليرز انصراف حكام مصر الأقدمين عن معاناة شعبهم .

ولقد استمر وصف فناء فوطيفار في مواضع متعددة من القصيدة أظهر خلالها بعضا من خصائص مصر الفرعونية مثلما قال :

קבוצ נאמן כל אלה מצרים;
שם נסל אמן קדמת איל זרנים.
סחם ובעל-צמח קדמת צמח.
(١٤)

الترجمة :

وقفت آلهة مصر محلها ملتفة
هناك تمثال آمون في صورة تيبس ذي قرنين
وساحر وواحد من (أهل الباطن) السحرة في صورة أفعى

وقد ورد في القصيدة أيضا ذكر « فيضان النيل » الذي كان يشكل عيداً بالنسبة للمصريين . يوم يتعلقون فيه بأطيب الآمال بعام سعيد من الخصوبة والنماء فيقول :

יום הולדים נחג לפני ספרים
 לשפת שירת כל הארץ והלכות
 יום עלות הארץ כי נא הנס
 ויבשרו שנה טובה וברכה.

(٤٤)

الترجمة :

يوم بهجة وعيد لبني مصر
 تذهب الأرض كلها إلى نهر شبحور
 يوم يفيض النيل وتصلح مياهه
 فتبشر بعام مبارك من الخير

أما مربية أسنات . فتسمى تحفيس وهو أحد الأسماء المصرية
 القليلة التي تظهر في كتاب العهد القديم ، والذي ظهر أول ما ظهر اسما
 لامرأة فرعون مصر في عهد سليمان ، ثم صار اسما لمدينة في مصر (ارميا
 ٢ : ١٦ ، ٤٣ : ٧ — ٩ ، ٤٤ : ١ ، ٤٦ : ١٤ ، حزقيال ٣٠ : ١٨) .
 وهي مدينة النجا إليها اليهود هربا من انتقام البابليين بعد قتل جدليا (*) ،
 ويبدو أن بني إسرائيل كانوا قد اتخذوها مسكنا دائما لهم ، وتحفيس
 من الأسماء التي يمكن أن نعثر عليها تقريبا في كل انتاج يحكى عن
 مصر (٤٦) .

وقبل أن ننهي حديثنا عن يهودا ليف جوردون يجدر بنا أن نشير إلى
 ما ورد في كتابه ([משלי] أمثال يهودا) عن مصر ، وقد نشر
 هذا الكتاب عام ١٨٦٥ ، واستمد معظم هذه الأمثال من أمثال لافونتين
 الفرنسي وكرييلوف الروسي وغيرهما ، وأما الأمثال الأخرى فقد كانت
 من وضعه حيث استمدّها من الأحداث المأساوية التي مر بها اليهود في
 تجمعاتهم في أوروبا (٤٧) .

(*) اخذ ملوك المملكة الجنوبية « يهودا » .

وامتازت هذه الأمثال بأسلوبها التوراتى حتى أن القرائين وضعوها
فى تخب القراءة العبرية المقررة على تلاميذ المدارس (٤٨) *

والمثل الذى يهمننا فى هذا الكتاب هو $\text{לִמְדָה מִצִּיפֹרַת מִצִּיפֹרַת}$ מִצִּיפֹרַת מִצִּיפֹרַת
أى الضفادع التى فى نيل مصر (٤٩) وهو مثل كان اليهود يطلقونه فى عصر
جورجون - وفى منطقته ذاتها - على زعماء الشعب ، ويشير المثل الى
أن قادة الضفادع وكبارها عادة ما يتسمون بالنهم والشراسة عند تناولهم
الطعام دون النظر الى صغارهم . وكذلك زعماء الشعب - فى عهده -
ينصرفون الى مصالحهم الذاتية دون النظر الى مصالح عامة الشعب .

أما لماذا الضفادع فى نيل مصر ؟ فانها تتعلق - طبقا لما ورد فى
التوراة خروج ٨ : ١ - ١٥ - بالمصائب التى حاقت بمصر والمصريين ابان
عصر موسى من جراء رفض فرعون مصر طلب موسى بأن يطلق شعبه
ليعبدوا يهوا ، والافان الرب سوف يرسل الضفادع فى كل أرجاء مصر
فتلتهم خيرها وينتشر الجوع ويفتك بالشعب ، ثم صارت الضفادع عند
اليهود - بعد ذلك - رمزا للنجاسة . ولكن الفرعون تراجع عن رفضه
فصلى موسى للرب ، فماتت الضفادع جميعها وزكمت رائحتها النتنة
الأنوف ، ولذا صارت الضفادع اشارة الى الرائحة الكريهة . وجدير
 بالذكر أن « ضربة الضفادع » هى الضربة الثانية التى لحقت بمصر
وأهلها أثناء عصر موسى والتى سنتناولها فى الفصل الثالث من هذا
الباب ، فالاشارة الى مصر بالضفادع هى اشارة سلبية أستمدتها
جوردون من التوراة كما استمد غيرها من الصفات السلبية .

« موسى » ومصر عند آحادها عام (٥٠) מִצִּיפֹרַת מִצִּיפֹרַת

١٨٥٦ ، ١٩٢٧ :

يعتبر مقال מִצִּיפֹרַת موسى أطول مقالات آحادها عام ،
ويتناول فيه علاقة موسى بمصر والمصريين والأحداث التى وقعت له أثناء
خروجه من مصر الى سيناء ، كما يدلى بدلوه فى قضية جدلية تتناول تأثير
أبطال التاريخ على مسار حياة الجنس البشرى ، حيث يقرر « البعض أن

الابطال هم صناع التاريخ ، وأن الشعب ليس الا مادة من خلقهم ، بينما يرى آخرون أن الشعب هو القوة الأصلية ، وليس أبطاله الا نتاجا ضروريا له «^(٥١)» ثم يحول الموضوع كله للتطبيق على شخصية موسى ، وعما اذا كان « موجودا حقا ؟ وهل حقا عاش وعمل بصورة تتفق مع ما تقبله أمتنا اليهودية ؟ وهل هو حقا مخلص اسرائيل ، وواهب التوراة بصورتها المحفوظة لدينا ؟^(٥٢) ويرد على ذلك أن « موسى » عند هؤلاء يختلف عن « موسى » عند اليهود ، وحتى اذا توصلوا الى أن موسى الرجل لم يكن له وجود مطلقا ، فان ذلك لن ينقص شيئا من « الواقع التاريخي لموسى المثالي الذي صار أمامنا في صحراء سيناء ، ليس أربعين عاما فقط ، بل آلاف السنين وفي كل الصحارى التي سرنا فيها بدءا من مصر وحتى الآن »^(٥٣) .

وهكذا ، ان صحراء سيناء لم تعد تدل — في الأدب العبري الحديث — على تلك المنطقة الشمالية الشرقية من حدود مصر ، بل على بلاد الشتات الكثيرة التي عاش فيها اليهود والتي خلغوا عليها صفات العذاب والقحط والافتقار ، أصبحت صحراء سيناء رمزا لكل الصحارى التي سار فيها اليهود منذ عصر موسى وحتى الآن ، وهو رمز واضمح للاضطهاد والعبودية ، ومن المعروف أن مفهوم بنى اسرائيل لعملية الخروج ، أنهم تحولوا في صحراء سيناء من « مجموعات من العبيد » الى « شعب » ، وهى الصحراء التي تلقى فيها موسى التوراة . فحين تذكر الصحراء لا مناص من ذكر مصر .

ويلتقط أحاد هاعام إحدى عبارات التوراة التي تصف المصريين بالعنف والجبروت وتصور بنى اسرائيل بالوداعة والمسألة فيقول : « رجل مصرى يضرب رجلا عبريا ، القوي يركل بقدمه الضعيف ، وهذه هى الرؤية الأولى وقصة كل يوم ، يتذمر النبي ويقف الى جانب الضعيف »^(٥٤) ، فالمصريون يتصفون بالعنف والظلم لأن أحدهما اختصم مع عبرانى ، أما اذا اختصم عبرانى مع عبرانى آخر فكلاهما ضعيف ، أما العنيف فهو غرعون الذى يعملان عنده « اثنان من العبريين يختصمان انهما شقيقتان ، وكلاهما ضعيف ، وكل منهما عبد لدى فرعون »^(٥٥) فالسماحة

ودمانة الخلق - من رأى اتحاد هاعام - مع صفات اليهود ، وأما العنف
والظلم ، والجبروت فهي صفات المصريين !! • ومصر أيام موسى - في
نظر اتحاد هاعام - هي أرض المتاعب التي لم يعرف بنو إسرائيل الراحة
فيها » يذهب موسى مع أغنامه الى الصحراء ، ويأتى الى جبل السرب
حوريب ، ولكن مازالت الراحة بعيدة المنال «^(٥٦) ، ومصر عنده - كما هي
التوراة - أذلت بنى إسرائيل فيقول : « انى رأيت مذلة شعبي الذي في
مصر •• والآن هلم فأرسلك الى فرعون وتخرج شعبي بنى إسرائيل من
مصر »^(٥٧) لأنها بيت العبودية الذي رزخ فيه بنو إسرائيل تحت وطأة
الظلم^(٥٨) •

صحراء مصر عند حاييم نحمانيك^(٥٩) خديم بزمز فيليل
١٨٧٣ - ١٩٣٤ :

واذا كان حديثنا عن « موسى » عند اتحاد هاعام قد أدى بنا لتناول
« صحراء مصر » بمعناها المجازى في الأدب العبرى ، فان هذا من شأنه
أن يدفعنا للحديث عن الصحراء بمعناها الجديد هذا عند حاييم نحمانيك
بياليك ، باعتبار أكثر أدباء العبرية استخداما لها بهذا المعنى ، فقد نظم
في ذلك قصيدتين تحملان عنوان
מחזי מדבר האדונים
موتى الصحراء المتأخرون عام ١٨٩٧ ، מחזי מדבר
موتى الصحراء عام ١٩٠٢ • فقد أدرك بياليك أن الجموع اليهودية
متقاعسة عن عمالة الهجرة الى فلسطين وإعادة احياء ما أسماه « أرض
الآباء » ، فكتب القصيدة الأولى ليؤجج في قومه الحماس للهجرة الى
فلسطين تحت قيادة المنظمة الصهيونية التي عقدت مؤتمرها الأول في
نفس العام الذي نظمت فيه القصيدة • ويقول فيخمان
מכמך
عن هذه القصيدة « لقد وجه بياليك في هذه القصيدة نداء مشجعا الى
تأهلي الصحراء يستحثهم أن يعبروا ويتخطوا ضحايا العبودية في طريق
الهجرة الى العالم الواسع الذي تشع فيه شمس الأمل الجديد^(٦٠) •
فبياليك يقول في قصيدته •

קובו, חצי מדבר, צאו מחוץ השקמה;
עוד תזרח רב, עוד רבה המלחמה.

רב-לכם לטע, לטד קצרה -
ולסניכם פרושה דרך גדולה, רחבה.

רק ארבעים שנה נחע בין ההרים -
ובתול סטע ששים רבוא סגרים.

סן-צעדכם: רגז מדבר ונדד -
איש נאיש בקבו יסמע הד סעמיו

(61)

الترجمة :

توموا أيها الساردون في الصحراء ، اخرجوا من وسط المقفر
فالمطريق لا يزال طويلا ، والمركة ما تزال مديده
وكفاكم تجوالا وترحالا في البيداء
وأمامكم الطرق العظيمة الرحبية ممتدة
أربعون عاما مكثنا تائمين
ودفنا في الرمال آلاف مؤلفة
وحتى لا يقلق خطوكم في الصحراء نائمينها
فعلى كل فرد منكم أن يسمع وقع خطواته في قلبه (62)

فالصحراء هنا هي صحراء العالم وليست صحراء مصر ، كما أن
النائمين هنا ليسوا اليهود الخارجين من مصر تحت قيادة موسى ، ولكنهم
شعوب العالم ، وقد أشار لافورنر ^{لأورنر} الى ذلك بقوله
« لقد جرد بباليك الصحراء - في هذه القصيدة - من مضمونها المعروف ،
ووسع معناها فصارت صحراء الشعوب ، وكان هذا الأمر مألوفنا إبان
جميعه أحياء صهيون ، حيث استخدمت صحراء مصر - التي شرد فيها
اليهود - رمزا للدول التي تشتتوا فيها بعد ذلك » (63) .

ولم تكن الهجرة اليهودية الى فلسطين قوية في مهدها ، فقد كانت
استجابة اليهود أنفسهم لنداء الهجرة ضعيفا : ولذا انتاب بياليك الاسى
ونظم على مرارة قائلا :

וכבר תקעו כחצרות למסע, וכבר
רד מסקנת נבו גם-הסר -
ופדוע לא-יסע דאעלז על-מה
נצב דנקם כסוף-ראש מול הקרו
את-מה נצר עוב לו כמדבר הקנה?
מה-משקטות עיניו כנא?
למה דנקם תקבילת, תספנה? את-מי
תבקשנה על ראש הר-נבו?

(٦٤)

• الترجمة :

لقد دقت الطبول للرحيل
ونزل القائد من قمة جبل نبو (*)
ولم لم يشد اليهود رحالهم ؟ ولماذا ؟
يقف صامتا منكس الرأس أمام الجبل ؟
ماذا يحزنه لو أنه ترك هذه الصحراء ؟
ماذا تتأمل عيناه في الوادي ؟
لماذا تبكيان في صمت وتنهملان ؟ وعم
تبحثان على رأس جبل بنو ؟

(*) جبل نبو هو أحد جبال مؤاب ، وقف عليه موسى قبل وفاته واخذ
يراقب فلسطين (الدثنية ٣٤ : ١) وربما كان هو جبل « النبا » شرقي
الأردن بثمانية أميال .

וְשִׁמְרֵם אֶת־רִיבְכֶם עַל־כָּל־שֵׁשׁ יָגֵר
 וְכִסִּים אֲבָן וְזָח אֶת־נִשְׁכֶּם הַשָּׁמַיִם
 וְכַעֲדָה בְּעַרְכֶּם מִטַּחֲסַף דָּם בֵּין שָׁנִי וְלִלְכֶם -
 מֵאֲבִילֹם גַּם־אֲכֹל אֶת־נִשְׁמֹתְכֶם.
 וּבְנִיתֶם אִתָּם לְמַעַד־כֶּם אֶת־שִׁיחָם וְאֶת־רַעֲמֵסָם
 וְהָיָה יִלְדֵיכֶם לָכֶם לְלִבָּיִם

(٦٧)

الترجمة :

استغرقت أرواحكم في كل ما هو أجنبي
 كما تلقون بأنفسكم في أحضان كل صخرة غريبة
 وبينما تقطر الدماء من أجسادكم بين أسنان مفترسيكم من النهمين
 فانكم تطعمونهم أرواحكم أيضا !
 انكم تشيّدون لمضطهديكم مدن فرعون بيتوم (*) ورعمسيس .
 وانكم لتتخذون أبناءكم حجارة لهما

فهو يستسلم التاريخ التوراتي في هذا الجزء من القصيدة ، فمدن
 فرعون هي مدن مصرية وصفها بباليك بأنها مدن ظالمة متجبره . وقد نظمت
 هذه القصيدة عام ١٩٠٥ . أثناء قيام حركة التحرر في روسيا وأندلس
 معظم شباب اليهود للقيام بحراسة « حدائق الأجانب » (٦٨) ، فهو يشبه

(*) بيتوم : مدينة مصرية قديمة كانت تقع على الفرع الشرقي للنيل ،
 ومعناها «بيت الاله آمون» ، وهي إحدى مدينتين كبيرتين استخدمتا في
 تخزين الحبوب والغذاء في مصر قديما .

(**) رعمسيس : هي كذلك مدينة مصرية قديمة كانت تسمى أحيانا
 (بن - رعمسيس) أي بيت الاله رعمسيس ، ويقال أنها مدينة الشمس
 المحرقة ، وأنها نسنة للاله رع ، وأن الذي شيدها هو رعمسيس الثاني .

المدن الروسية آنذاك بالمدن المصرية القديمة ، كلاهما ظالم ، وكلاهما يستغل شباب اليهود لصالحه الذاتى دون النظر الى أولئك « العبيد » المسخرين للبناء ، وما يلاقىه اليهود فى روسيا ، هو ما لاقاه بنو اسرائيل فى مصر ابان حكم الفراعنة . وهكذا يعنف بياليك قومه ويواصل زجره الشديد لهم ، فلعل صراخه يجد صاغيا ، وتعنيفه يجد تائبا أو نادما من أولئك اليهود الذين اندمجوا فى الشعوب الأوروبية ونسوا « قضية شعبهم » .

وفى قصيدة קראו לנושים نادوا الأنعامى يصرخ الشاعر صرخة شعب « استؤصل من أرضه » ورمى به فى مجاهل الصحراء الجذباء ، وهى صحراء ملبدة بالغيوم ، غارية قاحلة ، لا رحمة فيها للإنسان الاسرائيلى ، فتمنى الأخير أن يموت ويفارقها ، يقول بياليك :

וְקָלוּ מֵיָכֶם בְּשִׁמְשׁוֹן בְּעִירֵם וּבִיבֶשׁ עַל־
וּשְׂאֵלָתָם אֶחָד-נִשְׁשָׁכֶם לְמִוְת וּבְהִדְלִי מֵיָכֶם מִן־עֵדִי.

קראו לנושים נישא ונשחקכם עד-לב השמים.
(٦٩)

כי הנה נמקד מן-בְּרַכְּכֶם, נמקד בְּנִשְׁאִיִּים וְרוּחַ,

الترجمة :

ذبلت فى البيد حياتكم فى عرى وجفاف بنى كل شئ،
فتمنيتم لو متم ، وصرختم من ألم طاغ
نادوا النور فتحمل صراخكم الى كبد السماء
فلقد ذكرت صحراؤكم وامتلات غيما ورياحا

فالشاعر يخاطب قومه بأنهم لا بد خارجون من « صحراء العالم »
التي لاقوا فيها الأهوال ، كما سبق لأجدادهم أن خرجوا من « صحراء

سیناء » بعد أن ذاقوا الأمرين ، والصحراء فى الحالتين قاحلة مقفرة
 ملبدة بالغيوم . ومما تجدر الإشارة اليه أن تشبيه عالم الشتات وأهواله
 — بأنه امتداد لأهوال صحراء سيناء — لا يقتصر على آحاد هاعام وبياليك
 فقط ، بل امتد الى العديد من الأدباء العبريين ، حتى كاد لفظ « الصحراء »
 يفرغ من مضمونه الحقيقى فى الأدب العبرى ، ليكتسب دلالة جديدة
 تتعلق بمعاناة بنى إسرائيل فى صحراء سيناء ، فها هو شاول تشير
 نيكوفسكى^(٧٠) שאול צדניחופסקי ١٨٧٥ — ١٩٤٣ .

يواصل استخدام « الصحراء » بدلالاتها الجديدة فيقوكون فى قصيدة
 بعنوان מגידה معزوفة :

מנגינה לי ונגינה לי
 מימים משקבר.
 ממדבר ים, מקרן אור.
 ממחזות על נהר קבר.

נעולה היא ופורצה היא
 ער סגור הלב הקס,
 שיר דמי הוא, שיר נצחי הוא.
 שיר מלא עז ורם.
 מי אתם דמי רווחים בי?
 דמי דור המדבר? קה!

الترجمة :

معزوفة ولحن لى
 منذ أيام قد خلت
 من صحراء مترامية ، من شعاع نور
 من مشاهد كانت على نهر
 تخرج منفجرة
 فتدخل الى كل قلب طاهر
 شعر يقطر دما ، شعر خالد
 شعر يفيض جراءة وسموا
 من أنت أيتها الدماء التى تغلى فى عروقى ؟
 هل أنت دماء جيل الصحراء ؟

فالشاعر يشير الى أن الغضب الذى اندلع فى صدور جيل الصحراء
 من بنى اسرائيل يتوارثه أبناؤهم جيلا بعد جيل ، وأن هذه الأجيال لن
 تنسى ما حدث لأجدادهم فى صحراء مصر ، مهما تجولوا وطافوا فى
 صحارى أخرى .. ولم ينس الشاعر أن يصف الانسان اليهودى بأنه
 ذو « قلب طاهر » ولكنه يقتردهما من هول ما رأى منذ بدء التاريخ .

وإذا كانت الصحراء قد اتخذت شكلا سلبييا دائما عند كل من أحاد
 هاعام وحاييم نعمان بياليك وغيرهما ، إلا أنها اتخذت عند — أورى
 تسفى جثيفبرج^(١٢) ١٦٦٨ ١٦٦٩ ١٦٧٠ ١٦٧١ — الشكلين معا : السلبي
 الذى سبق الحديث عنه — والايجابى الذى يعبر عن « نور » هذه
 الصحراء « وبهائها » حين هبط فيها الوحي على موسى ، وهو نور الهى

أضاء الكون وبين طريق الحياة أمام بنى اسرائيل ، فالصحراء — فى
معناها الايجابى عند جرينبرج — بقعة ظاهرة شهدت تحول مجموعات
من العبيد الى شعب حين تجلى نور السماء لموسى . يقول جرينبرج فى
قصيدة על דעת לסוף عن معرفة الطريق •

האור בדורי הרי גם כלפני מתן דת
לא סיני זה החר לפנין הפוער ועשן
כי אם הגורל העליז הבוער ומצא

الترجمة :

الأجواء فى جيلى حبلى بالمعجزة كقبيلى نزول الوحي
ليس ما أمام جيلى هذا طور سيناء المضطرم بالنار والدخان
بل القدر الأعلى المتأجج المرسوم

فطور سيناء — الذى يضطرم « بالنار والدخان » فى القصيدة
السابقة — لا يضطرم قتلا وابداء لليهود . ولكنه يضطرم نورا وحقا حين
تجلى الله على موسى ، فهى نار اليه تجلت على اليهود بالشريعة
والاستقامة (٧٢) ، ولكن هناك صورة أخرى « لسيناء » التى تضطرم فيها
نار الشيطان وأهواله ، تتخذ فيها سيناء صورة نار المحرقة وأفران
معسكرات الموت ، ففى قصيدة « مسالك النهر » يقول جرينبرج •

شيب وشبان ، أمهات وكنات
وكذا أطفال رضع يتهيئون كى يصعدوا
الى سيناء الأهوال
والى غيابة الجب ينزلون
كى يرقدوا مع الجميع وبذا ينتهى الموت

ان صعود الشعب قديما على طور سيناء أيام موسى ، حيث تجلى الله وأنزل التوراة ، كان موقف الخلود للامة ، ومصدر كل خير لها ، أما الكارثة والابادة فكانت صعودا على « سيناء الالهال » التي أصبحت موقف الخزي والانكسار للامة مما يتناقض مع الموقف القديم .

وخلاصة القول أن أدباء العبرية فى العصر الحديث أخذوا يصمون مصر بسيل من الصفات السلبية التى استمدوها من موروثاتهم الدينية فقط ، وهى صفات تتطوى على تناقض كبير مع بعض الأحداث الواردة فى تلك الموروثات ذاتها ، ولذا فهى تفتقد الى أساسيد ودلائل من التاريخ العام .

وقد دارت هذه الصفات جميعها حول محورين أساسيين :

أولا : اذا اتصف فرد أو عدة أفراد بصفة معينة ، فان هذه الصفة تنسحب تلقائيا على الشعب الذى ينتمى اليه هذا الفرد أو هؤلاء الأفراد ، فلم يكن هؤلاء الأدباء ينظرون الى الأحداث فى شكلها الفردى المحدود ، فما يتسم به يوسف من غفة وطهاره ، وما يتسم به موسى من جلال ووقار ينسحب بدوره على بنى اسرائيل ، وما تنصف به « زليخة » من كرية الصفات ، وما يتسم به « فرعون موسى » من ظلم وجبروت ينسحب أيضا على مصر والمصريين .

ثانيا : ان ادباء العبرية كانوا يميلون غالبا الى عقد المقارنة بين المصريين وبنى اسرائيل فى هذه الصفات ، ومن البديهي أن تكون الصفات السلبية كلها من نصيب مصر ، بينما تكون الصفات الايجابية من نصيب بنى اسرائيل ، فمصر هى أرض الجهل والجهالة بينما بنو اسرائيل هم شعب الثقافة والنور ، ومصر هى العنف والظلم ، بينما بنو اسرائيل هم الوداعة والمسالمة ، ومصر هى بيت العبيد ، وبنى اسرائيل هم الشعب المقدس ، ومصر هى القحط والافتقار ، وبنى اسرائيل هم الخصب والنماء ، ومصر هى الرائحة الكريهة ، وبنى اسرائيل هم شذى الورد وعبيره ،

وغير ذلك من الصفات والصور التى تنطلق جميعها من عقيدة واحدة
تسببت فيما لحق بهم — من العالم كله — عبر العصور ، بل تسببت فيما
حدث للإنسانية كلها من أهوال ، وهى عقيدة « شعب الله المختار » ...

أما آن لهؤلاء القوم أن ينظروا الى ما تحت أرجلهم من أديم
الأرض وما فوق رؤوسهم من رجوم السماء فيقبلوا العالم حتى يقبلهم
العالم ؟ !! *

الفصل الثانى

مصر الفرعونيه

تظهر مصر فى هذه الصورة فى أوائل القرن التاسع عشر حين فرغ العالم الفرنسى الشهير شمبليون من فك رموز حجر رشيد عام ١٨٠٢ ،
فقد بدأت الحضارة المصرية تفصح بجلاء عن مكوناتها التى ظلت حبيسة
آلاف السنين ، وعلى اثر ذلك توالى البعثات العلمية الأثرية الأوروبية
الى مصر عساعا أن تساعد فى الوصول الى أسرار هذه الحضارة التى
بهرت العالم كله .

وفى تلك الفترة كان الشعب المصرى قد ولى محمد على حاكما فى
البلاد ، فقام بالعديد من الانشاءات والاصلاحات ، وأرسل العديد
من أبناء مصر الى أوروبا لينهلوا من معين الثقافة الحديثة وعلومها
العامه ، وهو ما يطلق عليه المؤرخون « الانفتاح المصرى على الغرب » .
وكان لهذه الأمور الثلاثة — فك رموز حجر رشيد ، والبعثات الأوروبية
الى مصر ، والبعثات المصرية الى أوروبا — الأثر الكبير فى تعريف العالم
كله بالحضارة المصرية القديمة وعمقها ومعارفها وفكرها ، حين عادت
البعثات الأوروبية الى بلادها دونت ما وصلت اليه فى عدة مؤلفات ، كما
دونت البعثات المصرية الى أوروبا العديد من المؤلفات التى تتحدث عن
هذه الحضارات . وكان لهذا الفيض الهائل من المؤلفات أثر كبير فى
انفتاح العالم على الحضارة المصرية وسعيه لمعرفة المزيد عنها .

وقد انعكس ذلك كله على الآداب الأوروبية ، وما فتئت الروايات
والمنظومات والمسرحيات وشتى فروع الأدب — التى تتناول حياة الفراعين
وحضارتهم — أن غمرت الساحات الأدبية فى أوروبا ، وبات فى مقدرة

العديد من القراء ان يغوصوا فى أعماق وأسرار هذه الحضارة عن طريق المؤلفات العلمية تارة ، والمؤلفات الابداعية الأدبية تارة أخرى •

ولما كان الأدب العبرى — فى تلك الفترة — يعيش فى كنف الآداب الأوروبية ، ينهل منها اتجاهاتها وأساليبها ومضامينها ، يتأثر بما تتأثر ، ويحاكيها محاكاة كاملة ، فقد غزته تلك المؤلفات بنوعها العلمى والأدبى ، ولم يكن فى مقدوره أن يتجاهل هذه الحضارة ، وهى التى بهرت العالم كله وجذبت إليها العين والقلم • فبدأ أدباء العبرية يتناولونها فى مؤلفاتهم ، وهم فى تناولهم لها لم يشذوا عن أدباء العالم وكتابها حين تناولوها تقييماً لها ، وانبهاراً بقوم كانت صنعتهم الأولى الحضارة •

وإذا كانت مصر التوراتية قد ظهرت جلية فى المرحلة الأولى من الأدب العبرى الحديث وهى مرحلة التتوير (الهسكالا) فإن مصر الفرعونية تجلت بشكل واضح فى المرحلة الثانية من ذاك الأدب وهى التى أسماها النقاد « مرحلة الأحياء القومى »^(١) والتى تمتد من تسعينات القرن المصيرم وحتى الحرب العالمية الأولى ، حيث أخذت الكفة ترجح بين اليهود لصالح التيار القومى انذى أخذ يتبلور ويشتد عوده تدريجياً فى شرق أوروبا نتيجة لعدة عوامل من بينها :

١- استعاضم قوة التيار القومى لدى الأمم الأوروبية حتى أطلق على القرن التاسع عشر « قرن القوميات » •

٢ — انتكاس دعوة الهسكالا التى فشلت فى خلق اليهودى المثالى الذى يجمع بين الثقافة العامة والانتماء القومى •

٣ — تصاعد موجات العداء لليهود ق أوروبا الشرقية وخاصة فى روسيا القيصرية •

وقد أدت هذه العوامل وغيرها الى سريان التيار القومي بين جماهير اليهود ، وباتوا يعملون على انشاء وطن خاص بهم يحميهم من كل اضطهاد ويدراً عنهم الاتهامات والشبهات .

واذا كانت مصر الفرعونية قد بدأت تظهر مع بدء مرحلة الاحياء القومي ، الا أنها لم تنته بنهايتها ، بل اننا نعثر عليها في فترة ما بين الحربين : وخاصة عند الشاعر يعقوب كاهان^(٢) : ١٩٦٠ - ١٨٨١ .

ورب قارئ يحدث لديه شيء من الخلط والتشويش بين مصر التوراتية ومصر الفرعونية على اعتبار انهما تنتميان الى العصر القديم ، بيد أن هذا الخلط يزول ويتلاشى اذا ما علم أن المقصود بمصر التوراتية هو ما ورد عن مصر والمصريين في التوراة ، بينما المقصود بمصر الفرعونية هو ما يتعلق بفروع الحضارة المصرية القديمة والتي أجمع العلماء على أن وصفها يجلب عن وصف أية حضارة أخرى في أية بقعة في العالم^(٢) . ولا بد لمن يكتب عن مصر بهذا الوصف أن يكون ملماً بقدر واف من المعرفة عن تاريخ مصر القديم وعقيدتها ورموزها وعاداتها وأعراقها ، فإذا ما أضاف الكاتب الى هذا العنصر الواقعي عنصره الذاتي متمثلاً في الفلسفة والفكر والأسلوب ، لاخرج لنا عملاً أدبياً متكاملًا ذا مذاق خاص .

وعلى سبيل المثال نجد آحاد هاعام^(٤) ١٨٥٦ - ١٩٢٧ يكتب مقالا تحت عنوان ם״כ ם״כ ם״כ בין المقدس والعلماني^(٥) ، ليفند فيه بررات الاصلاحيين^(٦) في دعوتهم أن تتم الصلاة اليهودية باللغة الألمانية بدلا من العبرية ، فعقد مقارنة بين الأشياء المقدسة والأشياء العلمانية ، وتوصل الى أن الأشياء المقدسة تكسب كلا من مظهرها وجوهرها القدسية والاجلال والبقاء ، بينما تكسب الأشياء العلمانية هذه القدسية لجوهرها فقط فيقول : « في الشيء العلماني نحتفظ بالقشرة من أجل ما بقلبها ، فإذا أكلنا ما في هذا القلب ألقينا بالقشرة ، أما في الشيء المقدس فإننا نرفع من قيمة القشرة الى نفس قيمة ما في قلبها »^(٧)

وسعيا وراء أسانيد تاريخية يؤيد بها وجهة نظره ، نجده يستعين بالقدماء المصريين ، على محافظتهم على جوهر طقوسهم ومظهرها فيقول :

המצרים הקדמונים היו משתמשים בימי חגים ידועים רק בכלי אבן. מנהג זה נשאר להם לנחלה מאבותיהם הראשונים שחיו „בזמן האבן“, בזמן שלא ידעו עוד בני אדם להשתמש בחמרים אחרים והיו עושים כל כליהם מאבן (Lubbock). ואעפ"י שלמדו אחרי כן לעשות להם כלים מחמרים יותר טובים, החליפו אמנם בנקל בימות החול את האמצעי הגרוע בטוב ממנו, אבל בימי קודש לא נועזו להוציא ישן מפני חדש, כי פה היה האמצעי עצמו לדבר שבקדושה, וכהני מצרים בודאי בקשו ומצאו לדבר טעמים גדולים על פי הסוד, כלומר, בקשו ומצאו מטרות חדשה לאמצעי שנתישן, תוך חדש לקליפה שנתרוקנה.

(א)

لقد كان القدماء المصريون يستعملون في أعيادهم الأواني الحجرية فقط ، لقد ظلت هذه العادة لديهم كارت ورثوه عن آباؤهم الذين عاشوا في العصر الحجري ، في الوقت الذي لم يتوصل فيه الإنسان إلى استخدام مواد أخرى فكانوا يصنعون كل أوانيهم من الحجارة . . . وعلى الرغم من أن المصريين قد تعلموا — فيما بعد — أن يصنعوا الأواني من مواد أفضل من الحجارة ، واستطاعوا — في الأيام العادية — أن يستبدلوا تلك الأدوات الرديئة بأدوات أفضل منها ، إلا أنهم — في الأيام المقدسة — لم يجرؤوا أن يتخلصوا من القديم في سبيل الجديد ، فهذا أصبحت تلك الأواني مقدسة في حد ذاتها ، ومن المؤكد أن رجال الدين المصريين قد بحثوا ووجدوا أسبابا كثيرة لهذه العادة ، أي بحثوا ووجدوا هدفا جديدا لتلك الأواني التي عفا عليها الزمن — عن قلب جديد للقشرة التي أصبحت خاوية » .

فأحادي عام يشير عنا الى تمسك المصريين القدماء بديانتهم وطقوسهم . ولم يكن هذا التمسك من حيث المضمون أو الجوهر غلط ، وإنما امتد الى المظاهر والأشكال . فقد تمسكوا بالأواني الحجرية تقديسا واجلالا . بالرغم من التقدم الذى أحرزوه فى صناعة الأوانى من خامات أكثر متانة وجمالا من الحجارة . كما أنه يشير الى استمرارية الخلق والابتكار التى كانت تميز الحضارة المصرية القديمة . والهدف من استلهاه هذا المثلواضح وبين . فهو يتخذ من المصريين رمزا أمام شعبه كى يتمسكوا بدينهم وطقوسهم ولغتهم ، فلم لا يحافظ اليهود على أكثر الأمور الدينية هامشية مثلما سبقهم المصريون الى ذلك أولم لا يتمسك اليهود بصلواتهم مضمونا ولغة ولماذا يتركون اللغة العبرية — ففى صلاتهم — الى غيرها من اللغات ؟

واذا كان مقال احاد عام ينتمى الى مرحلة الاحياء القومى ، فان مسرحية يعقوب كاهان | יצחק יעקוב קאהן وعنوانها זמן הפירמיות بالقرب من الأهرامات » تنتمى الى مرحلة ما بين الحربين حيث نشرها عام ١٩٣٩ . وهى من المسرحيات الفلسفية التى حلق فيها كاهان بخياله وغاص عميقا فى تربة الحضارة المصرية القديمة وأعمدتها الرئيسية وتفرعاتها العديدة . وقد لعبت الأساطير والرؤى والواقع والألوان دورا هاما فى أحداث تلك المسرحية^(٩) كما يتجلى فيها أثر التيار الرمزي الذى يستبطن النفس ويستشف الروح معتمدا على الإشارة والتلميح لا الافساح والتصريح .

والفكرة الرئيسية التى تدور حولها المسرحية هى فكرة « الخلود » ، وهى فكرة قتلها الانسان بحثا منذ فجر التاريخ وسعى وراء تحقيقها لذاته . وحين تطأ ذكر « الخلود » على السطح فلا بد أن يكون للمصريين القدماء مكان بارز ورئيسى فيها ، حيث تضعهم حضارتهم القديمة موضع الريادة فى البحث عن هذا الخلود وطبيعته والهدف من الوصول اليه ، وتشهد على ذلك أهراماتهم التى نسيدها والتى تعتبر أبرز الأدلة المادية القديمة لبحثهم عن الخلود^(١٠) ، كما يؤيده أيضا العدد الكبير من المومياءات وتحنيط جثث الموتى التى يقف العلم الحديث أمامها عاجزا

منبها ، ناهيك عما خلفوه من أوان وآثار نادرة ما زالت تسترعى الانتباه
وتثير اعجاب الانسان في كل مكان وزمان .

ويعبر كاهان عن هذا كله في صورة شخصيات ، تلعب كل منها
دورا معيناً في تحقيق فكرة الخلود ، وتبدأ المسرحية بوصول شخصية
القائه - الذي يرمز الى الانسانية التي هامت على وجهها منذ بدايتها
وحتى الآن^(١١) - الى منطقة الأهرامات في الجيزة ، فشعر وكأنه قد
وصل الى « دار الخلود والأبدية » ، مما شجعه على البقاء فيها ولو
لليلة واحدة ، يسريخ فيها من غناء السفر والترحال الطويل ، خاصة وأن
هذه المنطقة خالية من ضجيج الحياة وصخبها ، فيقول :

הנה כן אעמד סוף סוף ואין איש עמי
לסני נצורות המדבר וחידת הקדומים -
חולות סלעים , מצבות - אכן לענקים ,
וליל המדבר , קדמון ושאיא לאיר-חקר ,
אשר הקוים על ראשם , על ראשי .

פה אכה לטח .

לו לילה אחד זה לטח מרעש חמיד -

פה אכה להטח . ואולי יגב אלי

מרחשי הדורות ההם , הווי הנצח .

(١١)

لاترجمه :

هأنذا أقف في النهاية وليس معي أي انسان
وأمامي أسرار الصحراء ولغز الأقدمين
رمال وصخور وتماثيل حجرية ضخمة
وليل الصحراء ، قديم وعظيم بلا حدود

يطبق بالأسرار على وجوههم ووجهي
 هنا أود أن استريح
 ولو لليلة واحدة ، أستريح فيها من صخب الحياة
 هنا أريد أن أتأمل
 همسات تلك الأجيال ، فلاسفة الخلود

وفرض عليه سكون المكان وشموخ الأهرامات، وكتل الجلاميد
 المتناثرة ، والمقابر المتعددة ، وما يعرفه عن تاريخ النائمين فيها ، بعضا
 من التساؤلات التلقائية التي تراود كل من يذهب الى تلك المنطقة، هل
 حقاسيفنى الانسان الذى أحسن الله خلقه وتصويره دون أن يترك
 أثرا يخلده خلودا أبديا ؟ وهل فكرت الأجيال السابقة فى ذاك التساؤل ؟
 والام توصلت من نتائج ؟ فيقول :

הַאֲמֵנָה יִבְלַעַ , בְּלִי הַשְׂאִיר שְׂרִיד , הַמָּוֶת
 אֲשֶׁר יֵצֵר אֱלֹהִים בְּהַבְחָה רַבָּח ?
 מִה-יִרְמֹז הָאוֹרוֹת הַסְּלָאִים מְלַמְעָלָה ?
 מִה-יִלְאֵם הָרוֹחַ הַבָּא מִבְּנֵי-חַעֲלֹמֹת ?
 מִה-יִגִּיד לֵב אָדָם בְּמַשְׁכִּיזוֹתָיו פְּנִימָה ?
 מִה חֲלֹמֵי דִּירוֹת-הַקְּדוּמִים הָהֵם נִצָּאִים ,
 מִקִּימֵי אֱלֹה מְבַצְרֵי-עוֹלָם שֶׁסֶת הַמִּדְבָּר ,
 וְהָהָה לְחֹלֹמָם -

(١٣)

هل حقا سبييتلع الموت ، دون أن يترك له أثرا
 ذلك الذى أحسن الله خلقه ؟

والام ترمز الأنوار المبهرة فى العلا ؟
 وبم تهمس الروح القادمة من جنح الأسرار ؟
 وماذا يروى قلب الانسان فى خلجاته الداخلية
 بم حلمت تلك الأجيال الفخوره
 التى شيدت هذه الحصون القوية عند حافة الصحراء
 وما نتيجه حلمهم ؟

وبينما تراوده هذه التساؤلات ، غلبه النعاس من جراء متاعب الحياة
 ومشاق الطريق وامتنالا لسكون المكان وهدوئه ، نام فى عالم آخر يختلف
 عن عالم الانسان ، فربما يسمع همس الأجيال السابقة وهى تفكر فى
 الخلود ، وربما تصل الى مسامعه أسرار أولئك الذين شيّدوا أضخم وأبقى
 صرح فى التاريخ الانسانى ، وبينما هو نائم أمام الاهرامات ، وإذا
 بالملوك الثلاثة بناة الاهرامات يستيقظون من سباتهم الطويل ويتجلون
 أمامه بلباسهم الملكى ، فيردد فى نفسه ، أولئك الذين رفعوا اسم مصر فى
 أنحاء الدنيا كأنها وفى كل الأزمان ، أولئك زاحوا قوة ، وسجدت عند
 أقدامهم الكثير من الممالك والشعوب ، ولكنهم — بعد ذلك كله — آلوا الى
 الموت ، ولم يكتب لهم الخلود ، وماهم يستيقظون ليجدون الأرض كما
 هى ، ما زالت الاهرامات قابضة فوق الهضبة ، وما زالت النجوم لامعة
 براقعة فى السماء ، حتى ظنوا أنهم لبثوا يوما أو بعض يوم ، ويتحدث
 كل منهم مع الآخر ، وينصت التائه لهذا الحديث الذى تناول فيه كل ملك
 انجازاته وانتصاراته ، ثم يتساءلون عما إذا كانوا قد نجحوا فى التغلب
 على الزمن ومشاكله وعلى التغيرات التى تطرأ عليه حينا بعد حين ، وعما
 إذا كانوا قد نجحوا من الفناء ، وهو عنصر رئيسى فى الحياة ، ولكنهم لم
 يستطيعوا الوصول الى اجابة شافية ، فأيقظوا الكهنة وجماهير الشعب
 وجنود الجيش عليهم يستطيعون الاجابة ، ولكن دون جدوى ، وفجأة يبرق
 ضوء شديد وتصدح الأجراس بموسيقاها الصاخبة ويظهر اخناتون ،
 فيثور الكهنة والملوك فى وجهه ويتهمون به بالكفر والاتحاد وتدنيسه لشريعة
 آبائهم وأجدادهم وانتهاكه لكل مقدساتهم بالديانة التى نشرها بين أبناء

الشعب في عصره ، ثم ينصرف الجميع عنه ، ولكنه يهدى من روعهم جميعا حين اعترف بأن كل شيء مآل إلى الموت ، وأنه لا جدوى من خصام يعكر صفو النفوس القاسية تحت الثرى ، ويقول :

אל-נאז אי-טו פֿחַמַת קנאַתֶּכֶם תְּהִדָּסְתִּיו
לא כְּאַתִּי לָרִיב עִמָּכֶם - וְזֶה כִּי נָרִיב
הָאֵם לא אֶחָד הַנָּזֵל, מִצָּא גַם אֶתְכֶם
גַּם אוֹתִיו לא עֲכָרְטוּ אִישׁ אִישׁ קִבְרֵי דוֹכֶם אֶת-שַׁעַר
הַמַּעְרָב ז -

(١٤)

لاترجمه :

لا • لا تصدوني بلهيب كراهِيتكم
فأنا لم آت لأختصم معكم ، فما معنى أن نختصم ؟
ألم يلحقكم ذات المصير
الذى لحقنى أيضا ؟ ألم ننتقل فردا وراء الآخر الى
الباب الغربى (المقبرة) (*)

فيأمر خوفوا بقية الملوك والكهنة بأن يسمحوا لاختاتون بالحديث ،
لمعسأه أن يجيب على ما يراودهم من تساؤلات فُشلوا جميعا في التوصل
الى اجابة عليها ، واسترسل اختاتون في حديثه حتى أجاب عنها جميعا
اجابة ترضى المؤلف نفسه فيقول :

(*) اعتاد المصريون - منذ القدم - أن يدفنوا موتاهم ناحية الغرب
حيث تغرب الشمس ، كإشارة لغروب الانسان عن الدنيا .

מעולם ועד עולם. דור הולך ודור בא
 וכל-דור וכל-איש וקלע ברכקה, קולע
 במו-הדין בה חלקו, אם מעט ואם רב.
 אשרי האיש, קלע בה נפשו לחסארת!
 עמד מעמד. התפארת הזאת לעולם
 וכל יריעת החיים בקבודה תפדה.
 אם גדול אם קטן חלקי, אחת הדעות;
 עבדתי באמתה, ומסעל חיי,
 מסעל האמת, קים ועומד לעד.

(10)

من الأزل وإلى الأبد ، جيل يمضى وجيل يأتي
 وكل جيل وكل فرد يشكل خطا في نسيج ، ويحدد
 دوره بنفسه ، ان قليلا أو كثيرا
 فطوبى للإنسان الذي جعل الجمال والمجد هدفا
 فسوف يبقى هذا المجد الى الأبد
 وسيوفره نسيج الحياة كلها
 إذا كان دورى كبيرا أو صغيرا ، فذات مرة عرفت
 أننى عملت باخلاص . وأن صنيع حياتى هو
 صنيع الحقيقة ، قائم وباق الى الأبد

فاخناتون -- فى هذه المسرحية -- رمز لحد التاريخ الانسانى وتعاقبه
 وهو رمز للانسان ذى كل مكان وزمان ، ذلك الانسان الذى يشكل حلقة فى

سلسلة طويلة هي عمر البشرية ، حلقة تصل ما قبلها بما بعدها ، وبدونها تنفصل السلسلة بعضها عن بعض ، ويتوقف اتصال الأجيال ، وما على الانسان في حياته الا أن يكمل ما بدأه سابقوه وورثه عنهم ، ثم يترك هذا الارث لمن بعده ليقوموا بدورهم باستكمالهم ، وبهذا يكون الانسان قد شكل من نفسه حلقة اتصال بين الماضي والمستقبل ، بل يكون قد أدى دوره في تاريخ الجنس البشرى ، وهذا هو الخلود في رأى اخناتون •

والنتيجة التي توصل اليها اخناتون تتطوى على عزاء للانسان التائه الذي أتعبته دروب الحياة وأغيبته قضاياها ومشاكلها ، فلم ير فائدة فيما يبذله من مجهودات ومشاق ليحظى بذلك الخلود ، فالانسان يمضى ويفنى ولا يبقى له سوى أعماله التي ينفع بها الأجيال القادمة من بعده ، والتي سيذكره الناس عنى مر العصور من خلالها •

ومع بزوغ الفجر يستيقظ التائه من نومه ، فيتدخل عليه الأمر فيما اذا كان ما رآه وسمعه حلما أم حقيقة فيقول :

חלום! וְעַם כְּנָן-אֲדָר מְקֹרֶם וְאֵינִי.
אֲדָר יֵשׁ חֲלוֹם-לְיִלָּה וְהָא אֲמַתִּי מִן חֲלוֹם...

(١٦)

لاترجمة :

حلم تلاشى مع أول خيط من الصباح ولم يعد له وجود
ورب حلم فى الليل أكثر من علم فى الصباح

ثم يواصل التائه تجواله فى الدنيا ولكن بمنظور جديد ورؤية مغايرة استلهمها من القدماء المصريين الذين فكروا فى الخلود منذ فجر التاريخ ، وتركوا من الشواهد المادية ما يؤيد هذا الفكر •

وهكذا يشير الكاتب الى أن المصريين القدماء قد توصلوا — منذ
آلاف السنين — الى ما يشغل الانسان حتى اليوم • لم لا يكتب للانسان
الخلود ؟ وهل اذا مات لا يبقى له ذكر أو أثر ؟ وهى أفكار عالجتها
الأديان — فيما بعد — من اتجاهات متعددة ركزت جميعها على خلود
الاعمال وسمدية الأرواح وفناء الجسد •

وقد ضمن يعقوب كاهان المسرحية بعضا من مفاخر ملوك مصر
بإنجازاتهم ، فيتحدث عن سفنهم التى مخرت عباب البحار ، وخيولهم
التى دكت رمال الصحارى ، وقضائهم التى جابت الأرض طولا وعرضا ،
وحضارتهم التى بهرت العالم شرقه وغربه ، فيقول :

أنا ، سخورع ، أوني وناضاي .
بنى لى ، آل هاليم ، ومكدي رزونو ،
أشرك هاليم مصلو ، هيكلي-عנקيم
هكيمو ، ناون مسعلو هرب يسرو .
أناو أتم-شم مخرم هندلو ، هركينو
هيكو وعشركو ، راسونم نبوكه كركنو ،
وعل مكرهبي عركوت-لوك دكو كركينو ،
وعد حوسي هلكون سمينو هركو .

(١٧)

للاترجمة :

أنا سخورع ، أنا وذريتي
سلالة رع ، اله الآلهة
نحن الذين حكمنا كآلهة ، وشيدنا قصور اضخمه
تتحدث عنا أمجادنا الكثيرة التى حققناها
نحن الذين عظمنا اسم مصر ، وضاعفنا
بأسها وثراءها ، وانطلقنا عبر حدودها الأولى
وطار فرساننا الى صحراء ليبيا المترامية
واقترحت سفننا البحر حتى حدود لبنان

ثم يقول على لسان تحتتمس :

מְנַשֵּׁר אֲדִיר כְּנָסִי הַרְחַבּוֹת פְּרָשָׁתִי
מְבַשֵּׁשׁ וְעַד גְּדוֹת פָּרָת. עֲשִׂים כְּרַעֲוִי
לְרַגְלִי, עָרִים נִסְלוּ, יָם גָּבֹל יַחֲתִימִם,
מִבְצָר־אֲדִירִים קָדְשִׁי, לְפָנַי וְשִׁבְרִי.

(١٨)

كنت كنسر قوى بسط جناحيه العريضين
الكوشيين وحتى ضفاف الفرات • ركعت شعوب
عند قدمي ، وسقطت مدن • وحدود الحيثيين
التي كانت حصنا لفرسان قادش ، تهاوت أمامي •

ويقول على لسان رمسيس :

מִכָּל הַמְּלָכִים לְפָנַי הֶאֱרַכְתִּי יָמִים
עַל כִּסְאִי, מִקְדָּשִׁים וּמַצֻּדוֹת לְבָנֹת הַרְצִיתִי
מִכָּל הַמְּלָכִים, אֲנִי, רַעַמְסֵס הַגָּדוֹל,
מְחִיר־הַבְּחִירִים לְאַמֶּן, הִיוּ לִבִּי יָמִי
יָמִי וְהָרָשָׁה שֶׁלֹּא נִשְׁלַח לְמִצְרַיִם!

(١٩)

عن كل الملوك الذين سبقوني ، طالت أيام
حكمي ، فأكثرت من تشييد الهياكل والقلاع
أكثر من سائر الملوك ، أنا رمسيس العظيم
أحب خلان آمون ، كانت معظم أيامي
أشراقا وهدوءا وقوة وسلاما على مصر

فیرد خوفو علیهم جمیعا قائلًا :

אֶכֶן הַנִּדְלָתָם עָשָׂה, מְלָכִים אֲדִירִים!
עוֹד לְדוֹר אֲחֵרוֹן יִסְפָּר שְׁעֵלְכֶם עַל אֶרֶץ.
(٢٠)

لاترجمه :

حقًا ، لقد أحسنتم العمل أيها الملوك الاجلاء
ولسوف تظل أعمالكم تروى على الأرض حتى الجيل الأخير

ومن الحق أن نقول ان يعقوب كاهان قد بذل جهدا كبيرا ليغوص في
اغوار التاريخ المصري ، في الأسماء ودلالاتها وألقابها وخصائصها الدينية
والسياسية والاجتماعية ، حتى انه أورد في بداية المسرحية قائمــة
بالشخصيات المشتركة فيها ووظيفة كل شخصية منها في مـسـيرة
التاريخ المصري ودورها في ارساء أسس الحضارة الانسانية ، ثم
أضفى على ذلك كله من نظريته الفلسفية الذاتية الجردة ، ما خرجت المسرحية
على هذا النحو من الجودة .

ولا يقتصر ذكر مصر الفرعونية على مسرحية يعقوب كاهان ومقالات
آحاد هاعام ، ولكنه يمتد الى كثير من الأعمال الأدبية العبرية في العصر
الحديث ، فيأتي أحيانا كموضوع رئيس يدور العمل الأدبي كله حولها ،
كما يأتي — أحيانا أخرى — كموضوع ثانوي لا يشكل بنية أساسية في
هذا العمل ، وعلى أية حال فحين تذكر مصر الفرعونية كموضوع أساسي
أو ثانوي ، فإنها تذكر بالتقريب والانبهار .

وإذا كانت فكرتا الموت والخلود هما الشاغل الأكبر للإنسان «المتجول»
في مسرحية يعقوب كاهان ، فإنهما عند يهودا عميحاي (٢١) «יהודה עמיחי»

في قصته 781082 7507 سد أسوان» (٣٣) شكلتا أيضا الموضوع الرئيسي في القصة ، فكيف يتأتى لأديب مثل عميحاي أن يكون بجانب آثار الفراعين في صعيد مصر ولا تسيطر على وجدانه فكرتا الموت والخلود ؟

فقد وفد عميحاي الى مصر عام ١٩٤٢ ضمن جنود الجيش الانجليزي في الحرب العالمية الثانية ، ومكث فيها لمدة عامين للاشتراك في معركة العلمين ، وهي فترة استطاع خلالها أن يكثر من اطلاعاته والمامه بتاريخ الأدب العبري ، مما ساعد على صقل شخصيته الأدبية . وقد عبّر عن ذلك عميحاي نفسه في مقابلة أجرتها معه مجلة بروزا 7177B | الاسرائيلية (٣٣) حيث قال : « في تلك السنة ١٩٤٢ كان الألمان يقتربون من منطقة العلمين المصرية ، وكانت ثورة رشيد على الكبري في العراق ، وكان الاحساس بالاختناق يسيطر على وجدان مواطني فلسطين ، وتم انضمامي للجيش البريطاني ، كما تم توزيعي على مصر » (٣٤) . ثم يضيف — بعد ذلك — قائلا :

« مكثت في مصر لمدة عامين ، لم تكن هناك حرب ، وكانت كل أعمالي تتركز في تهريب السلاح لجماعة المهاجاء في فلسطين . وفي تلك الفترة ترددت كثيرا على المكتبة الخاصة بنادي الجنود اليهود في مصر ، فقرأت الكثير عن الأدب العبري قرأت كل ما وصل الي من كتب ، وبذلك اطلعت على معظم آداب الهسكالا وفي الحقيقة كانت فترة وجودي في مصر فرصة كبيرة انتهزتها في القراءة والاطلاع ليلا ونهارا . . » (٣٥)

وعود الى قصتنا « سد أسوان » حيث يظهر فيها عميحاي أحد ثلاثة يهود انضموا للجيش الانجليزي في الحرب العالمية الثانية ، وقد قدر لهم أن يلتحقوا باحدى الوحدات القتالية في مصر ، وكان ثلاثتهم يعملون بالطبوغرافيا العسكرية حيث يقومون بتصديد الاتجاهات الأساسية وتوضيح الظواهر الجغرافية التي تميز مناطق العمليات ، ثم يقطع عميحاي سير الأحداث وينتقل فجأة من الماضي الى الحاضر فيذكر أن أحدهم قد قتل بعد ذلك في حرب ١٩٤٨ ، بل انه لا يذكر

לה אסמא , ואנא אכתפין בן יכתיב بقوله « ذلك الذي قتل في حرب ١٩٤٨ » ،
 ثم يعود مرة أخرى الى أعماق ذكرياته ، فيروي أنهم انتهزوا فرصة
 وجودهم في مصر فقرروا القيام بجولة سياحية لرؤية معالمها ، فكيف
 يقدر لهم أن يكونوا في هذا البلد — الذي يفد اليه المسائحون من كل
 حذب وصوب لينتمتعوا بطبيعته وآثاره القديمة — فلا ينضمون الى ذاك
 الרכב الطویل من الزائرین •

לפנות מרב טיחנו במסדנות הארוכים והרקים של המלון
 הגדול. בימי שלום מהחללים כאן רזונים בינלאומיים. ועשירי
 . שלום ודחוקות ושירותי אנגליות שבאות לחיות את קסם העולם
 הקדום ואת הדבר, חוקר הן שהיות בסביבה מצרית, לשחק
 (٢٦)

قبل أن يرخى الليل أستاره ، تجولنا في الدهاليز الطويلة الخاوية
 لذاك الصندوق الكبير • في زمن السلم يطوف هنا حكام دوليون ، وأغنياء
 العالم ، وفتيات انجليزيات ، جاعوا جميعا ليثسعروا بسحر الدالم القديم
 وليحسوا بالصحراء •

وبالفعل بدأوا رحلتهم من مغاراتهم وخنادقهم « التي بنيت من
 حجارة الأهرام » (٢٧) ، واستقلوا القطار الى مصر العليا ، « الى حيث
 يربض أبطال العالم القديم » (٢٨) • وأثناء ذلك تعرفوا على فتاتين
 انجليزيتين فرافقوهما أثناء الرحلة ، حتى وصلوا الى « وادي الملوك »
 فاستهوته آثارهم وآثارت انتباهته فقال في مشهد لأحد التماثيل
 الفرعونية :

הצללים היו יתיקים כמשליכיהם. לגברים היה זקן מלבני
 וארוך כדבנך בסנטרם. הנשים היו מרגיעות אותם. כלך אחד
 ישב והתוהך בידו את כפתחיהחיים. מאחוריו עמדה אשתו
 הנביטה והרעידה אותה. נדמה היה. כי אם לא הייתה עושרת
 מאחוריו וניחה כלפי גופו ומבצעת בו בקצה אצבעותיה, כשאצ-
 בעות ידך הדנייה נתונות ככסעיות על שפתיה, היה אותו
 רעמסס אכזר מהפזי והרף כנפשו כל חבא אל ידו.
 (٢٩)

« كانت الظلال قديمة كأصحابها ، كان للرجال لحى مستطيلة
تلتصق فى أذقانهم ، وكان النساء يلاطفنهم • ويجلس أحد الملوك ممسكا
فى يده بمفتاح الحياة ، بينما تقف خلفه زوجته لتخفف عنه وتلاطفه •
وبدا أنها ان لم تقف خلفه وتميل نحو جسده ولامسته بأطراف أناملها
بينما ترسل يدها الأخرى على شفاها لتسكتها ، فان رمسيس القاسى
سينفجر ويقتل بغضبه كل من تصل اليه يده » ••

ولا يفوتنا ما ترمى اليه عبارته « مفتاح الحياة » فى العبارة السابقة ،
وعلاقتها بفكرة الموت والخلود ، فبالرغم من أن الملك يمسك به ، إلا أنه
آل — فى النهاية — الى الموت ، وبات أمامنا أثرا بعد عين ••

ثم يقول عن تعبد الملكة حتشبسوت :

لبنى يث بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو
رعبى بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو
بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو
ألا سبأى بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو
أبى بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو
بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو
بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو بمررتو

(٣٠)

« فى الصباح زرنا المعبد الصفرى للملكة حتشبسوت ، سلسلة
شاهقة الارتفاع تصعد من الفيل عند قواعد المعبد • وأحجار مدهشة
كانت بتناثر فى المنطقة ، كأنها كلمات فى رأس شاعر •• ولكن هنا أصبح
المبنى قديما ، ولحق الدمار بالملح وما يقع خلفه • وفوق أحد الأحجار
المربعة ظهرت يدان تمسكان باصيص زينتة نقوش بارزة حتى منتصفه ،
أمسكت إحدى اليدين الاصيص من أسفل ، أما الثانية فكانها تحرس
شعلة نار حتى لا تنطفىء » •

أما الشعلة التي تحرص اليدان على عدم اطفائها ، فهي تشير الى
الحرص على الحياة والخلود ، ولكنها انطقت في النهاية كما ينطفئ
كل شيء ويؤول الى نهاية .

وبعد أن تنتهي الرحلة ، يعودون جميعا الى القاهرة ، فيفترقون عن
عن البتاتين الانجليزيتين ويذهبون الى خنادقهم ..

ومن يقرأ القصة مليا يدرك أن عميحاي قد شغله موضوع الموت ،
وهو ما اشتهر به في انتاجه الأدبي بشكل عام^(٣١) ، فقد استلهم قصته بالحديث
عن رفيقه الذي قتل في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وحين استقل القطار
ممسافرا الى صعيد مصر أسهب في وصف المقابر التي صادفته في
الطريق ، كما أنه أصر على الذهاب الى وادي الملوك ومدينة الموتى ،
وأفاض في وصفها ، وحين اتقى وأثار البراعنة في الاقصر كان يفكر في
الموت الذي مضى متمثلا في أولئك الملوك ومن دفن معهم تحت الثرى ، بيد
أن تفكيره في الموت — هذه المرة — كان مبعثه فشل هؤلاء الملوك في الفوز
بالخلود ومآلهم في النهاية — الى الموت ، وبعد ذلك كله نجده يفكر في
الموت القادم له نفسه فيرمز الى ذلك بقوله :

וכן גם ישבנו במסעדת "מטרת" הנסעיה. המדונה כשבתה הוות
ביום שהיונו צעירים. לא עמדו מאחורינו ירכה בית של עבר. אלא
זכרונות של עתיד. שהפסדנו בקיומו. כי ידענו שלא נושא
יחזיק. יחד היו כוננות זו על זו. ויד האמן בשארה על כתף
אשת האמן שעל הקבר.

(٣٢)

« جلسنا وقتا طويلا في الشرفة . كانت الشعلة البترولية تتحرك كلما
داهمت الرياح . ونظرا لأننا كنا صغارا ، فاننا لم ندخر ذكريات من
الماضي وراءنا ، بل ذكريات المستقبل التي فرقت فيما بيننا ، لأننا أدركنا
أننا لن نبقي معا . كانت يداي ملقاة احدهما فوق الأخرى ، واليد الحجرية
ما زالت باقية على المرأة الصخرية التي فوق المقبرة » .

فعميحاي استهواه الحديث عن الموت وجلاله ومآل الانسان اليه ، فراح يذكر به القارئ كلما وجد فرصة لذلك ، وقد ساعده على ذلك الجو العام الذى تدور القصة حوله ، فقد أتى الى مصر محارباً يعرض نفسه للموت ، كما وجد فى مقابر الملوك ما يشبع رغبته ويحقق مأربه ويمده بأسانيده ودلائله ، حتى بعد أن انتهت الرحلة ، عاد الى مغارات الحروب وخنادقها ، فربط بين موت الماضى الذى شاهده فى آثار المصريين القدماء ، وموت الحاضر الذى تعبسه القوى المتحاربة فى الحرب العالمية الثانية ، وموت المستقبل الذى ينتظره ، فأحياء اليوم هم موتى الغد ، وعالم الموتى بات مختلطاً بدنيا الأحياء الذين يعيشون فى مقابر الملوك فى الكرنك .

وها هى باتيا كهانا^(٣٣) בחיה סנהה تحكى فى احدى قصصها بعنوان ספינס أبو الهول — عن أمجاد فراعين مصر التى يتضائل أمامها — كما قالت — أى مجد حققته الأجيال الحديثة فى العالم كله^(٣٤) . والقصة المذكورة هى احدى قصص المجموعة التى تحمل عنوان ספרות עץ החיים عند ازدهار شجرة الحمضيات ، والتى تجرى أحداثها أثناء الهجرة الثالثة ، وتدور حول حياة أسرة مكونة من الزوجين « رنا » و « أوريال » وابتنتهما راعوث وأم الزوج . ثم يدخل على هذه الأسرة دافيد جروس ، وهو صديق « رنا » منذ الطفولة ، ويتسم « بدماثة الخلق » وثراء العيش ، فيحاول أن يقنعها بالذهاب معه بعيداً عن المستعمرة التى تعيش فيها وتمارس أعمالاً شاقة كى تحصل على قوت يومها ، ووعداً أن يوفر لها حياة يسيرة دون تعب ودون بذل أى مجهود ، وفى نهاية القصة ترفض « رنا » ويفشل دافيد جروس فى اغرائها ، فعادت الى زوجها وعملها الذى كانت تمارسه فى المستعمرة . وكان دافيد جروس يحكى لها — على سبيل الاغراء — بعضاً من القصص التى وقعت أحداثها فى مختلف مدن العالم ، وفى اطار هذه القصص حكى عن مصر قصة « أبو الهول » وهى تدور حول رغبة سائح فى زيارة « أبو الهول » بعد أن زار متحف الآثار المصرية والأهرامات الثلاثة ، وبينما كان فى طريقه لتحقيق ذلك التقت به احدى النساء فتناولا عبارات الاعجاب ونظرات الهوى ، وركنا الى أحد المنازل ونسى هدفه الرئيسى من الذهاب الى هضبة الأهرام ، وبالقالى لم تتحقق

له أمنيته التي راودته بزيارة « أبو الهول » ، وفي نهاية القصة تربط
الكاتبة بين السر الذي تحمله هذه السيدة والسر الذي يحمله «أبو الهول»
والذي لم يفسح كل منهما عنه .

والقاريء للقصة يكتشف — من الوهلة الأولى — أن الكاتبة لا تقصد
سرد الأحداث — في حد ذاتها — بقدر ما كانت ترمي الى وصف مشاعرها
وأحاسيسها عند رؤية كل أثر من آثار هؤلاء الفراعين العظام ، فهي
تستهل القصة بقولها :

— הבא למצרים ואינו רואה את הספינקס למי הוא דומה ? למתארח
בבית ואינו רואה את בעליו, או לעובר ביער ואינו רואה את חשציו,
ואכן, בביקורי הקצר בקהיר של מצרים, חלכתי לראות את חידת
חדורות שלה, את הספינקס.

(٢٥)

بم نشبه ذلك الذي قدم الى مصر فلم ير « أبو الهول » ؟ انه يشبه
ذلك الضيف الذي حل ببيت فلم ير أصحابه ، أو ذلك الذي مر بغابة فلم
ير أشجارها ، ولذا ففي زيارتي القصيرة لقاهرة مصر ذهبت لأرى لغز
أجيالها « أبو الهول » .

فأبو الهول — في رأيها راعى هذه المنطقة وحامياها ، وهو وحده
الذي يملك أن يبوح بأسرار الأقدمين ومكنوناتهم التي واروها معهم
تحت ثرى مصر ، وهو الذي دافع عن هذه الهضبة وتصدى لكل الهجمات
والغزوات الشرسة التي كانت تستهدف الأهرامات وما يحيط بها من كنوز
وما تكتنفه من أسرار .

ثم تبث مشاعرها وأحاسيسها حين زارت متحف الآثار فتقول :

«סיירתי את בית-הנכות סיור' חטוף, הסתכלתי בסלילים ענקיים
זכרניהם חוצרים, ביקרתי גם את מלכי מצרים במחלקת העליונה,
חם קיבלוני בסבר פנים יפות ושקטות, כמנהגם משנות-קדם. הסאר
העתיק חסימיני חוציבני; כי ידיעותינו במדעים המדוייקים במלאכת,
באמנות, בטכניקה — מה חם לעומת חסוד הגדול, סוד חגיגתה, שהעם
חזק תורידו אתו לקברו?»

(٢٦)

أما هي... زرت أيضا ملوك مصر - في الجناح العلوي -
فما تقدم... بوجه بشوش جميل هادئ كعادتهم منذ العصور القديمة .
استأنف... القديم بلبي كما آتسى أيضا : لأنه ما قيمة ما نعرفه من
معلومات... في الصناعة والفن والتكنولوجيا إذا ما قورنت بهذا السر
العظيم... التدنيط الذي وراه هذا الشعب في قبره ؟ »

فالكاتبة تعبر عن انبهارها بما وصل اليه المصريون القدماء
منذ آلاف السنين - من علوم ومعارف تفوق ما وصل اليه العالم
كله من علوم حديثة في كل ميادين الحياة ، وكفاها أن العالم الحديث
- بما وصل اليه من نظرات واختراعات واكتشافات - لم يستطع
الوصول الى سر التحنيط الذي دفنه ملوك مصر معهم في مقابرهم .
وبرغم ما وصل اليه هؤلاء العمالقة من تقدم حضارى - كان يمكن
أن يكون باعنا على الكبرياء والغرور - الا انهم اتسموا بالتواضع ،
فقد استقبلها هؤلاء الملوك « بوجه بشوش جميل هادئ كعادتهم منذ
العصور القديمة » .

ثم تتوقف الكاتبة عند التابوت الزجاجي الذي تسجى فيه مومياء
رئيس الثاني ، فتتظر اليه مليا وتتحدث الى نفسها بصوت غير
مسموع فتقول :

« בלב פועם עמדתי לפני ארגז הזכוכית שבו שוכן פרעה, רעמסס
השני, מראה פניו המצומקים אינו מיוחד. רק כוחו רגלו החסוד
משהו, וחלכרכים עבשים למחצה. חזה פרעה הגדול והאביר, המדביר
עמים וארצות? הדרו האריך ימים בצורת הגופה החנוטה. »
(٢٧)

« وقفت بقلب يخفق أمام الصندوق الزجاجي المسجى فيه الفرعون
رئيس الثاني ، لم يفزعنى مظهر وجهه الجاف . فقط ابهام قدمه
المفتت قليلا والأربطة المتعفنة بشكل جزئى . هل هذا هو الفرعون
العظيم الجبار الذى أخضع شعوبا ودولا ؟ ها هو مجده يستمر طويلا
فى صورة الجسد المحنط » .

فأمجاد الفراعين كتبت لها الحياة من خلال تلك المومياوات
العديدة التي تترى بها متاحف الآثار في مصر ، ومن خلال ما تركوا من
آثار تبهر العالم كله ، ثم تصل الكاتبة الى ذروة مشاعرها الذاتية
فتقول :

”בן-אדם, כח אתה ומה ערכך למראה כל זה? חבל ורעות-דות, ומה
תכלית לגופך לאחר מותך?”

(٣٨)

» يا ابن آدم ، من أنت وما هي قيمتك حين ترى كل هذا ؟ باطل
وهباء . وما هو مصير جسدك بعد وفاتك ؟ « .

وهكذا توصلت باتياكهانا الى ما سبق أن توصل اليه يعقوب كاهن
من خلال الحضارة المصرية القديمة ، جسد الانسان زائل وعمله باق
الى الأبد .

وعلى أية حال فان احساس باتياكهانا بتضائل الحضارة الحديثة
أمام الحضارة المصرية هو احساس سائد بين معظم الأدباء العبريين ،
شأنهم في ذلك شأن معظم أدباء العالم وعلمائه ، فمثلا دبوراً بارون
دבורا تارون تعبر - في قصتها (*) المنفيون הגולים - عن هذا
الاتجاه مباشرة فتقول :

מנחם גוט, עד שהאחרים התעסקו בכל אלה, הלך ומצא לו
אבן ליד אחד התלים והתישב עליה. מכאן היה ומבוטל בעיני
עצמו לבין ענקי-עולם אלה שמסביב.

(٣٩)

» وفي الوقت الذي انشغل فيه الآخرون بهذه الأمور ، ذهب مناحم
جوت فوجد حجرا بالقرب من أحد القتال وجلس عليه ، جلس منكمشا
واضعا في اعتباره أنه شيء تافه أمام عمالقة الدنيا المحيطين به .

(*) سنتناول هذه القصة بالتفصيل في الفصل الخاص بمصر في
أدب الرحلات .

وَنَسْتَعِذُّ بِعَصْرِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ بَعْدَ آخِرِ عِنْدِ دَاوِيدَ شَمْعُونِ (٤٠) ٦٦٦
 וְנִסְתַּעֲזֵב בְּעֶשֶׂר הַפְּרַעְוֹנִיָּה בְּאַחֲרֵי עִנְדֵי דָּוִיד שְׁמַעוֹן (٤٠) ٦٦٦
 « تَمَثَّلُ » ، عُدَّ شَاهِدَ شَمْعُونِ — بِطَرِيقِ الصَّدْفَةِ — تَمَثَّلِينَ لِأَبِي
 الْبَهْلُ فِي أَحَدَى السَّاحَاتِ الْفَرَنْسِيَّةِ . فَأَخَذَ يَشْبِهُ « الْأُمَّةَ الْيَهُودِيَّةَ
 الْإِنْفِيَّةَ فِي أَوْربَا » بِهَذِينَ التَّمَثَّلِينَ . فَكَلَاهُمَا اجْتَثَ مِنْ أَرْضِهِ وَوَضَعَ فِي
 أَرْضِ غَرْبِيَّةٍ عَنْهُ !! ، وَكَلَاهُمَا يَحْمِلُ فِي دَاخِلِهِ شَمْسَ الشَّرْقِ الدَّافِقَةِ ،
 وَرَغْمَ ذَلِكَ يَعْزَى مِنْ بَرْدِ الشَّمَالِ الْقَارِسِ يَقُولُ الشَّاعِرُ .

מגדות נילוס

מחברוני המדבר הלוחם

הובלו שי הענקים הפלאים

אלי גלי הצפון הנרגה

יומם גולים ערירים כמוני

המה שקועים בערפל מות

(٤١)

من ضفاف النيل

من حرارة الصحارى الملتبحة

نقل العماليق المدهشين هدية

الى أطلال الشمال الكتيب

يقضون نهارهم في عزلة مثلي

ويغوصون في ضباب الموت

وهذان التمثالان لم يستطيعا أن يأتلفا ويتكيفا بالبيئة الجديدة ،
 ويئنان من وحشة الغربة ويتوقعان للعودة الى أحضان الأرض الأم ،
 فيشكوان حالهما كما يشكو بنو إسرائيل . فَكَلَاهُمَا — حَسْبَ رَأْيِ
 الشَّاعِرِ — اجْتَثَ مِنْ أَرْضِهِ وَوَضَعَ فِي أَرْضِ الْغَرْبَاءِ ، وَهُوَ تَشْبِيهِ لِمِ
 يَسْبِقُهُ أَحَدٌ فِي اسْتِخْدَامِهِ .

وهكذا ذكرت مصر الفرعونية بالتقريز والاعجاب ، ولم يعثر أدباء
العبرية فيها على ما يعينهم على تصويرها بالصور السلبية ، حسبهم في
ذلك ما تضمنته العديد من المؤلفات العلمية والأدبية العالمية اطراء ومديحا
لهذه الحضارة التي وقف العالم أمامها — وما زال يقف — مشدوها بها
وبما وصلت اليه منذ آلاف السنين ، حتى بات بعض أدباء العبرية يشبه
بنى اسرائيل بأبى الهول ، وهو تنسبيه لم يكن الشاعر ليقوله الا اذا كان
المشبه به يسمو بقدره وفكره الى مرتبه « شعب الله المختار » !! وهو
ما يعكس انبهار الشاعر واجلاله لهذه الحضارات العريقة .

* * *

الفصل الثالث

مصر والمنفى

توصف مصر بهذه الصورة حين يتعرض بنو إسرائيل لأزمات أو تحل بهم مصائب أو كوارث أو يحيق بهم اضطهاد ، وتوصف مصر في هذا الاتجاه على أنها عدو قديم جبل على تدبير المكائد والمؤامرات لكي يفتك بالاسرائيليين ويلقى بهم بعيدا عن « أرضهم ووطنهم » ، وهم في ذلك متأثرون بما قُبِعَ في أذهانهم عن مصر التوراتية وما ترسخ في فكرهم بأن من يتعرض لهم بالشر أو التنكيل سيقسم الله ظهره ويبلوه بعظائم الأمور ! فكأنما صارت لهؤلاء القوم « لعنة » تحل بكل من يحاول التصدي لأفكارهم العنصرية أو سلوكياتهم المتفردة ، وهي لعنة — أدعت توارثهم — أنها حلت بمصر والمصريين أبان عصر موسى ، حيث أصيبوا بعشر ضربات أو لعنات أنزلها إليهم « يهوه » على المصريين كي يمثلوا لتعاليم موسى وهكذا باتت مصر رمزا مجسدا للاضطهاد والتنكيل ، وبات كل ما يتعرضون له من نكبات وكوارث تكرارا لما لحق بهم في مصر أثناء موسى ، وصارت مصر قالبا تتكرر — من خلاله — أحداث الاضطهاد وأحداث العقاب والتقويم أيضا ، فما حل بمصر من كوارث ولعنات نتيجة عصيانها لتعاليم موسى سيحل أيضا بكل أمة أو شعب يعصى مطالب بنى إسرائيل أو ياكل بهم !!

وهكذا كثر تصوير مصر بهذه الصفات في أعقاب المذابح الروسية التي تعرض لها اليهود في ثمانينات القرن الماضي ^(١) ، وكذلك في أعقاب قيام السلطات النازية بطرد بعض اليهود من تل أبيب أثناء الحرب العالمية الأولى ^(٢) ، كما اشتدت هذه الصور ريسوخا أثناء الاضطهاد النازي لهم في ثلاثينات هذا القرن ^(٣) ، وكذا في أعقاب الثورة العربية في فلسطين عام ١٩٣٦ ، وغير ذلك من الأحداث التي ليس لمصر أى دور فيها ، فما بالنا بالأحداث التي لعبت فيها مصر دورا رئيسيا ورائدا بدءا

من حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، ومروراً بحربى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ونهاية
بملحمة أكتوبر الخالدة ، هذه الحروب التى خاضتها مصر قائدة لأمتها
العربية ودفاعاً عن أرضها وحققها فى الحياة ، والتى ما خاضتها الا لكى
يسود العدل والسلام فى المنطقة ، ماذا نزن بصورة مصر فى الأدب
المعبرى بعد هذه الأحداث وغيرها : لا شك أن الصورة تصبح أكثر ظلاماً
واظلاماً .

وقد أثر الأدباء الذين يتناولون مصر بهذه الصورة أن يتبعوا
الرمزية فى كتاباتهم ، فبعض الأدباء يرى أنه بدلاً من أن يتناول الكارثة
التي يتعرض لها من منطلق واقعها الملموس ودوافعها الحقيقية — مما قد
يضاعف اضطهاده — فإنه يهرب الى الرمز ، فعساه أن يعبر عما يريد
دونما عنت أو تكيل ، فينقل الكارثة الى غير زمانها أو مكانها ، وبذلك
يطلق لقلمه حرية التعبير دون خوف أو فزع ، ولولا ذلك لما استطاع أى من
هؤلاء الأدباء أن يعبر — أثناء حكم هتلر مثلاً — عن أحاسيس اليهود
ازاء ما حل بهم من نكبات وكوارث ، ولو فعل لكان نصيبه من الاضطهاد
أشد وأعنف ، ولذا فهو يخلق بالكارثة بعيداً عن مكانها وزمانها ، الى مصر
القديمة ، ليقول ما يريد . ولذا اقتصر ذكر مصر على هذا النحو فى
الأدب الرمزي الذى يؤمن بأن الحقيقة يجب أن تكون باطنه خفية ، وبأن
المشاهد الواقعية فى المجتمع ليست الألوأنا من التمويه والتلميح خاصة
حين تهدد الملمات أديب الواقعية اذا التزم بالحقيقة الماثلة .

واذا أردنا أمثلة على ذلك ، فإن « قصائد ضربات مصر » ^١ ستكون أكثر الأمثلة

التي نظمها ناتان ألتمان ^(٢) . ستكون أكثر الأمثلة
توضيحاً لمقصدنا ، فقد استلهم الشاعر أحداثاً قديمة وقعت فى مصر فى
عصر موسى — طبقاً لما ورد فى التوراة — وجعل منها أحداثاً تقع فى
العصر الحديث .

واذا أردنا بلوغ مدركات الشاعر والوقوف على مقاصده فيما نظم
من قصائد ، يجدر بنا أن نعطي لمحة سريعة عن الخلفية التاريخية

لتلك الضربات التي تتسلل بنا قويا في نفوسنا . في عند هؤلاء ، فالمقصود بضربات مصر — في القصيدة — على تلك الحوائط التي حاقت بمصر والمصريين ابان عصر موسى طبقا لما ورد في سفر الخروج ، وفي أكثر الأحوال المذكورة فان هذه الضربات ما هي الا وباء أو مرض أصاب المصريين ، ويبلغ عدد هذه الضربات عشر ضربات ، شملت البلاد كلها عقابا على عدم امتثال مصر لمطالب موسى وتعاليمه . وكانت كل ضربة من هذه تحدث في أعقاب كل مطلب لموسى ، وبذا يكون موسى بدوره قد كرر مطلبه عشر مرات ، وأولى هذه الضربات هي حادثة تحويل مياه النيل الى دم أو شيء مثيل له (الخروج ٧ : ١٤ — ٢٥) والثانية ضربة الضفادع التي انتشرت في كل مكان في مصر فالتهمت خيرها كله (الخروج ٨ : ١ — ١٥) والثالثة ضربة البعوض (الخروج ٨ : ١٦ — ١٩) والرابعة ضربة الدباب (الخروج ٨ : ٢٠ — ٣٢) والخامسة الوباء الذي لحق بالحيوانات فنفق معظمها (الخروج ٩ : ١ — ٧) والسادسة ضربة الدمل والتقيحات التي أتت على الانسان والحيوان (الخروج ٩ : ٨ — ١٢) والسابعة ضربة البرد (الخروج ٩ : ١٣ — ٣٥) والثامنة ضربة الجراد الذي أتى على كل شيء (الخروج ١٠ : ١ — ٢٠) والتاسعة ضربة الظلام (الخروج ١٠ : ٢١ — ٢٩) والعاثرة موت الأبقار (الخروج ١١ : ١ — ١٢ : ٣) . وطبقا لما ورد في التوراة ، فان كل ضربة من هذه الضربات كانت تلحق بمصر حكما ومحكومين في أعقاب رفض كل مطلب من مطالب موسى .

وقد استلهم ناتان الترممان الأحداث السابقة — وهي من قبيل الثقافة المتوارثة — ونظم منها قصيدته وهي من القصائد التي يطلق عليها بالاداء (*) وتخيّل هذه الأحداث وكأنها لا مفر واقعها

(*) بالاداء : هي قصيدة شعبية صالحة للغناء ، وغالبا ما يستبد موضوعها من أحداث التاريخ ، وهي تهتم بابرار النواحي الدرامية في هذا لتاريخ ، كما تكشف عن صراع الانسان مع نفسه ومع المحيطين به . والفرق بينها وبين الملحمة ان بالاداء صورة قصصية شعرية تتسم بالتركيز وأحيانا بالتعقيد ، بينما تهتم الملحمة بالحديث عن الأبطال والبطولة في المعارك والحروب بأسلوب يؤدي الى الملل أحيانا ، وبأسلوب ساذج وخال من كل تركيز أو تعقيد .

على الانسانية كلها فى العصر الحديث نظرا لما اقترفته مع اليهود من آثام
شبيهة بما انتدبه المصريون مع موسى وقومه ١١

ويقسم ايلي شافيد^(٥) ٦٦٨ ٦٦٧ القصائد التى تتناول
الثقافات الموروثة الى قسمين : نوع يمكن ادراك مغزاه ومضمونه عند
قراءته منفردا لأول مرة ، ونوع آخر لا يمكن ادراك مقاصده ومضامينه
الا فى اطار مجموعة متكاملة من القصائد تقرا بشكل كلى من بدايتها حتى
نهايتها ، وبمعنى آخر فان هناك قصيدة يمكن فهمها فى اطارها الخاص والمحدد
بينما هناك قصيدة أخرى لا يمكن فهمها الا فى اطارها العام وخطوطها
العريضة مرتبطة ببعض القصائد الأخرى . ويتميز البوع الأخير بنزوعه
الشديد الى الرمزية والتمويه ، وتنتمى قصائد ضربات مصر — التى
نحن بصددنا الآن — الى هذا النوع . فاذا قرأنا كل قصيدة منها منفردة
لبدت غامضة مبهمه ، بينما اذا قرأناها مرتبطة بما بعدها من قصائد لزال
هذا الغموض واتضحت المعانى وتجلى المقصد .

وقد أجمع معظم النقاد^(٦) على أن ألترمان قد نظم هذه القصائد
ابان الحرب العالمية الثانية ، فجاءت لتصوير ويلاتها على الأمم والشعوب
وما أحدثته من سفاك لدماء الانسان على أنه انتقام من هذه الأمم
والشعوب ، وعلى أن التاريخ يعيد نفسه لما فعلته هذه الشعوب مع اليهود ،
وهو انتقام يشبه الضربات العشر التى وقعت للمصريين القدماء فى عصر
موسى . أما الدوافع الأساسية التى حدثت بالترمان أن يكتب هذه
القصائد هى ما أحاط باليهود من أحداث فى تلك الحقبة ، فمع نشوب
الحرب العالمية الثانية تفاقمت الأمور من جميع الاتجاهات ، فمن جهة
كان الاضطهاد النازى يحكم قبضته على اليهود فى أوروبا ، وفى فلسطين
احتدم الصراع بين الشعب العربى الفلسطينى والمنظمات اليهودية من
ناحية ، وبين هذه المنظمات وسلطات الانتداب البريطانى من ناحية أخرى .
وكان على شاعر مثل الترممان أن يعبر عن موقفه تجاه تلك الأحداث جميعا
فقرض هذه القصائد ، قرضا — كما تقول نورييت جوبرين^(٧)
لدى يعبر عن المحنة التى تمر بالانسان ،

الإنسان في كل مكان وفي كل الأجيال وخاصة جيل الحرب العالمية
 الثانية ، غرق في سديم سفك الدماء . ثم انهميار لأركان المجتمع الأساسية
 وتلك الشعب تتأيد السلطة وانتقامه من حكامه الذين أنزلوا به
 حتى النوع حذب . وفي النهاية يسود الدمار الذي المطلق . فالأساس
 المستند منه هو الاستعرازية والتكرار : وما حدث للمصريين من انتقام
 يحدث للعالم . الآن . يحدث متهللا في ويلات الحرب الثانية وكوارثها
 التي لم يفتت منها شعب من الشعوب . غرق القصيدة صعود من الضامن
 التي الظلم ومن الفرد إلى المجموع نقاشا يتخطى مساعر « الإنا »
 القومية واليهودية . ويصعد إلى الإنسانية جمعاء ، منها أياها ألا تنسى
 ما فعلت قديما أو حديثا حتى لا يتكرر لها ما حدث من مصائب « وضرابات »
 متتد يدلت تعف ضد مطالب اليهود وأمانهم ، وبذا يرتدي الحاضر ثوب
 الملقى .

يقول أنترمان مخاطبا مدينة نوآمون (*) في إحدى هذه القصائد ،
 وتقول لها
 في درب نوآمون :

אֲנִי הָיִיתִי בְּיָמֶיךָ
 בְּיָמֶיךָ בְּיָמֶיךָ בְּיָמֶיךָ
 בְּיָמֶיךָ בְּיָמֶיךָ בְּיָמֶיךָ
 בְּיָמֶיךָ בְּיָמֶיךָ בְּיָמֶיךָ

(*) نوآمون . نو ، آمون نو : هي مدينة آمون (الآنصر الحالية) .
 وكانت تسمى طيبة في أيام الإمبراطورية المصرية ، وكانت طيبة قديما معقل
 الوطنية ومهد الروح القومية ، خرج منها الثوار الوطنيون الأبطال الذين
 طردوا الهكسوس الغزاة من مصر ، وجعلوا منها إمبراطورية عظيمة ،
 كعصم والرعامة العظيم ، كما كانت العاصمة الدينية ومركز عبادة
 « الشمس » عبدة آمون الذي أطلق اسمه عليها وأصبحت تعرف باسم
 بعينة آمون .

נא-אבוק, או עקרת בד סתר
 עקרת ראסוקה בלי עד.
 קמי אשר רץ אל עמר
 עקרת כרובי לבית.

נחשקת עקרת, עיר עקרת,
 נחשקת עקרת עקרת.
 עקרת בד נחשקת

(٨)

الترجمة :

يا مدينة نوآمون ، من مقصلاتك الحديدية
 اجتثت أبواب وسط النواح
 وأتت ضربات مصر
 لتحاكمك في اللبس
 يا نوآمون ، ارتفعت آنذاك الى القمر
 أول صرخة ، ولكن لم يشهدا أحد
 حتى من بقى حيا وعدا نحو الباب
 مات أثناء عدوه
 وأحاطك الصراخ يا مدينة الملك
 وحركتك هزات عجيبة
 من القصر وحتى ذرة الملح

ובשבת ויום כיפור
 ויום כיפור ויום כיפור

ביום כיפור ויום כיפור
 ביום כיפור ויום כיפור

ביום כיפור ויום כיפור
 ביום כיפור ויום כיפור

ביום כיפור ויום כיפור
 ביום כיפור ויום כיפור

ביום כיפור ויום כיפור
 ביום כיפור ויום כיפור

וביום כיפור ויום כיפור
 וביום כיפור ויום כיפור

וביום כיפור ויום כיפור
 וביום כיפור ויום כיפור

וביום כיפור ויום כיפור
 וביום כיפור ויום כיפור

וביום כיפור ויום כיפור
 וביום כיפור ויום כיפור

ومن التاج حتى بالى الأسمال
 من بين القصص القديمة المتوارثة
 تلتهب قصتك المنبوذة
 كلظى لا يمكن الدنو منه
 تنهضين أنت من غابر الزمان
 وذكر الذنوب والعقاب
 فى لباس ملطخ بالدماء
 نهضت ووقفت دون أن تتعفى
 ووقفت فى بداية طرق السعوب

فالشاعر فى هذه القصيدة يوقظ أحداث الماضى ، وهى أحداث كالنار
 المستعرة التى لا يمكن لأحد أن يقترب منها أو يتحمل لهيبتها ، يوقظ مدينة
 آمون من سباتها العميق منذ غابر الزمان لتصبح رمزا حيا وتحذيرا دائما
 أمام الانسانية التى لا تستجيب لمطالب اليهود ١١ رمزا للمقتل والصراخ
 والسقوط والسمير والدماء واللعويل ، ثم يواصل خطابه الى المدينة قائلاً :

את נל-כר לה-עני הנצח
הסוקרים נכבות נאי
ערי-איש, די חובות רעם,
כך רואות את עצמן כרזני.

את נל-ער ל-ערב ירדך.
הנאים אהלם על נכיל.
רזאים אל חבל, קחך.
לה-עני לה חיוך הומל.

לה-עני לה כודח ערית
ול-עני לה כודח המון.
נעל כך ורלכות ערית.
כבלסיד, כמכות אסון.

זו חותיה לנאים מהנאים
והנאים כח כבל-נעל
לה-עני על מכות מרזים
את עניו של מוסר-תכל.

והנך אסססיו תכל
והנך תאדמה עמו
לתלוח כקרים נכיל
ולקרקו מעוררי עצמו.

יבהכות על ראשים, כחון.
האמות עוראו כחוק.
יכעור לעני-כל, כחון.
אממות עוראו כחון --

(9)

الترجمة :

أنت تذكّر للضربة الغاضبة
التي وصل صداها إلى اليايس والماء
ومدن الانسان إذا ما أغرقها الغضب
فإنها ترى نفسها إذا ما نظرت في مرآتك
أنت أطلال شاهدة على الذباب والطاعون
الذي نصب خيامه عند الحدود
وخرج إلى الدنيا أسرابا
لتمثل أمامها مسرحية الانتقام
لتظهر أمامها خيانة وزرائها

ولما ظهر أمامها خيانة الشعب
وبذا تنتشر الضياء على مدنها
خانها شعله — بضربات أمون
حينئذ حزم زعماءهم الدينيون خصورهم
وضربوها بقطعة من عصا
ليضيفوا الى ضربات مصر
غقاب الدرس المستفاد
وتجمع غوغاء المنطقة
يحملون قيود الاتهام الحديدية
ليكبلوا بها الوزراء والملك
بعد أن حلوها من أعناقهم
وكأنها حجر يضرب على الرؤوس
بدت المعجزات الساحرة
وكثيران أضربت في قش
بدت المعجزات الساحرة

فالشاعر يصرخ قائلاً بأن مدن العالم الحديث اذا ما حاق بها غضب
اليهود فستصبح مثل مدينة آمون بلدانها اذا نظرت الى مرآة (نوآمون)
فلن ترى الا نفسها ، جزاء على ما اقترفته من ذنوب نوآمون ، فكان
مدينة نوآمون قالب صبت فيه كل مدينة حديثة يضطهد فيها اليهود .

ويرمز الشاعر الى العصرين القديم والحديث بحوار يجري بين أب
وابنه ، يشكو فيه الابن مما يلاقيه من عنف واضطهاد وما يشهده من
مظاهر الخراب والدمار في المدن التي يعيش بين ظهرانيها ، فيرد عليه
الأب مؤكداً أن هذا ما حدث في غابر الزمان في « نوآمون » ، ويقوم
الأب بتفسير معنى كل ضربة ، والابن يبكي ويتوسل ، لكن كليهما — الأب
والابن — مرتبط بهذا الواقع المرير وهما يهويان نحو الموت (٢٠) ، وبهذا
أعطى ألترمان صفة الاستمرارية للدوافع التي أدت الى هذه الضربات (١١)
يقول الشاعر :

אָבִי, אַיִן קִז, אָבִי, אַיִן קִז לִצְמָאוֹן.
פּוֹכֵב גֵּרִים, בְּכוֹרִי, זוֹהָר עַל עֵיר אָמוֹן.
מִימִיָּה, אָב, קָמִים קָאָשׁ בְּכִדְיָהֶם.
דְּמִיָּה, בֶּן, סוּמִים וָאֵנֶּה בִּידְיָהֶם.

אָבִי, אַיִן קִז, אָבִי, לִילֵל וָלֶאֱסוֹן.
בְּלִיל צִסְרָדֶּע, בֶּן, קוֹרֶסֶת עֵיר אָמוֹן.

אָבִי, אָבִי, דְּמִי בּוֹכִים בְּקוֹל הָמוֹן.
עֶסֶר הָאָרֶץ, בֶּן, טוֹרֶף אֶת עֵיר אָמוֹן.
לִילָה גְדוֹל, אָבִי, דּוֹמֵם וְכֵל יְמוֹט
לִיל נִקְמוֹת, בְּכוֹרִי, גְדוֹל לִיל נִקְמוֹת.

(א)

الترجمة :

أبتى لا نهاية يا أبتى للظلم
نجم الغرباء يا بنى يسطم فوق مدينة آمون
ماؤها يا أبتى يملأ قدورها وكأنه لظى
دماؤها يابنى سامه ونحن تحت وطأتهم
أبتى لا نهاية يا أبتى للتوايح والبلاء
فى ليل الضفادع يابنى تجثوا مدينة آمون
أبتى ، أبتى ، دمائى تبكى بصوت صاخب
أديم الأرض يابنى يفترس مدينة آمون
ليلها طويل يا أبتى ، وصامت لا ينقشع
انه ليل الانتقام يا ولدى البكر ، وليل الانتقام طويل

فحين اقتربت السفينة التي يستقلها من شواطئ مصر أصيب
الشاعر بحالة من الغزع عبر عنها قائلا :

האם לא בני ישראל הם אלה
העובדים במקד
ונאמנים ובורחים
מן העבודה
במקלות שלוחה קדמם
דלקת עלי מנודה
ומרקיבני בדקס
נכדתי את דיני
אחוזות הקנקה
בזקנב טקסן:
אורים ארמים
דקרו על פני טים
חרקו שלשלות כרנל
סירות הוסיעו באסל וצדור
בפסזם לתטו מכבים
ומכל העברים דקקו קללו התרוננו
מזנום
צר לי צר לי להקנד
במרתדף. טים
צר לא לקה הכמד
לא בק סעמקה לקרמדיף. טים
צר לי להקנד בים.
די אם סאסר ננצ עיבני ונדא
וסאסר די קשה לי
בשלסל את טרביטלף על קמפי
קשה לי
לזאת שנית סתאי הצר וסדאם
אל שאון העולם
בלהות סדקרים סקאקרים

נדקדקו אלי סתאם
 כשעלת סלולת.
 סקר ספריר קרום סלולת
 הוי'שב סכסר ל'אדקב
 חסם 'עגית קרנע כענע סדחי סלוקס.

צני בסצנים.
 ,סרביים בזות קנה
 סביסות אלי
 ססיז ספ'בידות!...

الترجمة :

هل حقا نهضوا من قبورهم
 المصريون القدماء
 ليصموا آذاني
 بصرخاتهم الهمجية؟
 اليس هؤلاء بنى اسرائيل
 الذين يعانون الاضطهاد
 ويتعهدون ويصرخون
 من المعاناة
 في ظلام الليل الدامس
 جاءني صرخه
 فافزعني من فراشي
 حدقت، بعيني
 اللتين يغالبهما النعاس

من النافذة الصغيرة
 أنوار حمراء
 تعدو فوق سطح البحر
 صللت سلاسل حديدية
 وظهرت ذوارق في الظلام ثم توارت
 وفي السماء التهببت النجوم
 ومن كل صوب صرخت ، لعنت ، صغبت
 مصر
 وا أسفاه ، وا أسفاه على فراق
 أرجائك أيها البحر
 ولكن لا .. لماذا أخفى ؟
 أن أسفى ليس فقط لأنى أحب أرجاءك أيها البحر
 ولكن لتعبى وأنهماكى
 حين تراح جبال الالب من فوق كاهلى
 سيكون من الصعب على
 أن أخرج ثانية من زفزانتي الضيقة الصامتة
 الى مخب العالم
 نوائب الظهر الاغبر
 تطل على فجأة
 فى بهيم الليل
 الوسادة الباردة بسبب رياح الليل
 التى تهب عبر النافذة

سذنت ثانية فى الترحين لامست جبهتى الملتبحة

اننى فى مصر

أرية آلاف سنة

تنظر الى (النواوب) من فوق قمة الأهرامات !

ثم يشير الكاتب الى استمرارية اضطهاد بنى اسرائيل ومعاناتهم
منذ خرجوا من مصر وحتى الآن فيقول :

מה לי ולפרךמידות?

רַבּוּבוֹת מְאוֹת שָׁנִים: מְבִיטוֹת אֶלְיָנוּ

מְשִׁיא הַשָּׁמַיִם הַבָּחֳלִים.

مالى والأهرامات ؟

عشرات الآلاف من مئات السنين تحديق فينا

من قمة السماء الزرقاء

ثم ينتقل الشاعر من اضطهاد الماضي الى انتقام الحاضر ، مثله فى ذلك مثل ألترمان ، فيها هى مصر ، التى اضطهدت بنى اسرائيل فى الزمن الغابر ، تعاني من قسوة الحياة ومرارة العيش فى الزمن الحاضر ، ويعبر الشاعر عن ذلك ببعض العلماء الذين دفعتهم الحاجة الى أن يتساجروا ويثقنوا كي يفوز كل منهم « بتتظيف حذاء الشاعر » حين كان يجلس على المقهى فى بور سعيد ، وكأن لسان حاله يقول : ها ان الشعب الذى ألحق بأجداده شتى أنواع الأذى ينحنى أمامه لينظف له الحذاء ، لعل فى ذلك تكفيرا عما اقترفه أبناؤه من ذنوب !! كما يعبر عن ذلك بالاعرابى الذى يعتلى الجمل ولا ينشد سوى الأغاني الحزينة التى

תפסח ען מררע העיש וקסוע העייע , ובעד אן ירי זעא וזאק תסטריר
נפסע ותעדא חרירע 11

נערס שערקסרס , שווסס , לבושס קרעס ורעקס .

ער עס עליצות ולדות קעקיקס נשחורות

יחמרו זה קנה בשל נעלי סמזקקות .

שכל עקד רועה לעקעקן .

עקסט אל עליצות-ולדותם , אשר לא הקפיקו עוד סססס כבותה .

עקסע אל רענסי קעקב של מקדרי סזון

נעקא על דעקשע קמלו .

עקסס אל סקססס סקקלים , קעקקסס .

ווענס .

עלבסן סער מסעוען : ירטדון חרקה , וועועי

ויעלרעם ממה עי אעסנעם הסודע מן מרח الطفولة

الا أن كلهمهم يتنافس مع الآخر بسبب هذا الذي يعطوه الثراب

فكل منهم يريد أن يلعبه

وأنا أرقب مرح طفولتهم الذي لم تستطع الحياة إطفاءه

واستمع الى الأغاني الحزينة من المصري العجوز

الذي يمتطي سنام جملة

فأنظر الى السماء الزرقاء العميقة

فأستريح 11

أما الرحمة والشفقة التي « افتقدتها » المصريون قديما في تعاملهم
مع بنى إسرائيل ، فأنهم يفتقدونها الآن في تعاملهم مع أنفسهم ، ويعبر
الشاعر عن ذلك بصورة كلية مكانها أحد شوارع بور سعيد ، يظهر فيها
شخص عجوز كفيف البصر يطا بقدميه شخصا صغيرا أعرج ، فيصرخ

الأخير ويلعن العجوز ، غيتشاجران ويتقات ، ، ولا شك أن هذه الصورة ترتبط ارتباطا وثيقا بالصورة السابقة لها ، فكلتاها تشيران الى أن المصريين « لم يعرفوا » الشفقة والرحمة مع غيرهم أو حتى مع أنفسهم عبر تاريخهم الطويل .

הַצִּיר נָקָה בְּגָלִים

וְזָמַן.

הַצִּיר קִסְרָף אֶת הַזָּמַן. עַל אֲשֶׁר נִקְאִיב לוֹ

בְּדֶרֶכוֹ עַל בְּגָלִים. הַפְּצוּצָה.

הַזָּמַן קִסְרָף אֶת הַצִּיר, עַל אֲשֶׁר לֹא פָנָה לוֹ אֶת הַדֶּנֶר.

صغير أعرج

وعجوز

الصغير يلعن العجوز لأنه آله

حين داس على قدمه المكسورة

والعجوز يلعن الصغير لأنه لم يفسح له الطريق ..

ويصل الشاعر — فى النهاية — الى أنه من الصعب التعايش مع شعب احتفظ بهذا، الخصال الفظة طيلة تاريخه دون محاولة منه للتخلي عنها بولذا فقد استمر الصراع التاريخى الطويل والمرير بينه وبين بنى إسرائيل ، وهو صراع لن يتوقف لأنه « أسهل أن نربط بين بحرين من أن نربط بين قلوبين ، كما أن الطريق من البحر المتوسط الى المحيط الهندى أقصر وأسهل بكثير من طريق نفس الى نفس » .

ובלילה
בדדדי על גשר תפלת סואץ
לקני ספל לסקס
למפתי לו סרס:
קל לסבר שני נמיה
מפער לקרב שני לרבות.
וסדרך חים. מתיכון לאוקנוס חדו
היא קאנה ובלה לאין צורך מדרד נסח לנסח.

وفى الليل
حين كنت أقف عند جسر قناة السويس
أمام تمثال ديليسبس
همست له
الربط بين بحرين أسهل
من التقريب بين قلوبين
والطريق من البحر المتوسط
أقصر وأسهل كثيرا من طريق نفس الى نفس

حرب أكتوبر واستمرارية الاضطهاد :

إذا كانت الأزمات والنكبات العالمية التي مر بها اليهود في العصر الحديث، قد حثت أدباء المبرية على استلهم الماضي الزائف الذي لصقوه بمصر والمصريين ، والذي صارت مصر بمقتضاه رمزا لكل مكان تعرضوا فيه لاضطهاد أو تحجيم . فإن الحروب التي خاضتها مصر ضد الصهيونية والاستعمار العالمي دفاعا عن أمتها العربية بوجه عام والقضية الفلسطينية بوجه خاص ، كانت أكثر حثا ودفعاً لهؤلاء الأدباء ، فمسأل لعبهم وتفتتت قريحتهم عن أسوأ الاتهامات ، فأنهالوا على مصر رجما بالنعوت السلبية والصور الكريهية ، فما بنا بحرب أكتوبر الخالدة وما تركته في نفسية الإنسان الإسرائيلي من ضرورة إعادة حساباته من جديد ، تلك الحرب التي كانت بمثابة زلزال مدمر هز الأرض تحت أقدامهم فصاروا كالسكارى من هول المفاجأة ، والتي أحدثت هزة عنيفة في الاستقرار السياسي وأدت الى انشقاق وتناثر بين مختلف الاتجاهات السياسية والاجتماعية ، ناهيك عما سببته لاسرائيل من انهيار اقتصادي عبر عن نفسه في صور عديدة مما دفع الجماهير الاسرائيلية لرفع راية الدعوة الى التغيير وهو ما وصل الى ذروته بصعود اليمين بعد الحرب بثلاث سنوات بعد أن كان قابعا في الظل منذ قيام الدولة . ولم تكن المساحة الأدبية العبرية أقل حظا من المساحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فهذه المساحة التي عاشت بـ قبل حرب أكتوبر — فترة — لا بأس بها — في نشوة الانتصار ، آلت بعد هذه الحرب الى انكسار أدى بأحد النقاد العبريين الى أن يستنكر تلك الروح السائدة بين الأدباء العبريين فقال : « لقد أدت الحرب الى حالة من الارتباك الشديد وهو ارتباك ينسحب على الأدباء كذلك ، اغنى لا أستنكر الحيرة أو الارتباك . . غير أنه لا بد وأن نقرر أن الحائرين المرتكبين ليس في مقدورهم أن يكونوا هداة أو مرشدين للحائرين . ان الأدباء مازالوا مستمرين في اظهار استجاباتهم تجاه الاحداث التي وقعت كل حسب وجهة نظره . . . وبينهم قلة تجاهد لكي تشجع الشعب وتوازره في محنته . . . غير أن هناك في نفس الوقت

آخرين عديدين يصيغون أحزاننا الى أحزان . لقد اهترت ثقتهم اهترانا شديدا فراحوا يزرعون اليأس حولنا ، الأمر الذى ينطوى على خطر شديد يهدد مستقبلنا » (١٣) .

وانطلاقا من الذعر الذى أصاب مختلف التيارات والاتجاهات من جراء حرب أكتوبر ، انبرت الاقلام الأدبية العبرية تكتب عن الماضى الرهيب وعلاقته بالحاضر المفزع والقادم المخيف ، وربطت بين هذا كله فصورته مصر على أنها « عدو أبدي دائم » .

وهذا هو أيهود بن عيزر 71777 72 71777 (١٤) ، وهو ابن شقيقه الأدبية استيراب التى سنتحدث عنها بإسهاب فى الفصل الخاص بمصر فى أدب الرحلات والتى أحببت مصر وعشقت ترابها وسماءها وهواءها وأرتبطت قويا بأهلها وانحنت أمام تاريخها ، والتى تحمل لمصر كل طيب من الذكريات روتها كتابة وشفاهة ، هاهو ذا قد كتبت قصة تحت عنوان : *ליל שימורים* ليلة تذكارية واحدة نشرها عام ١٩٧٨ ، أفاض خلالها فى وصف مصر بالأوصاف السلبية دون ذكر فضيلة واحدة ، فأسفد ذكريات خالته التى ما فتئت تتباهى وتتغنى بها ، مما أغضبها ودفعها لاتخاذ موقف سلبي منه (١٥) .

وتدور القصة حول احدى الليالى التى أصاب الأرق فيها بطلة القصة « راحيل » فعاشت فى أوهام الماضى وربطت بينها وبين الحاضر من خلال انطباعاتها الشخصية ، وهى انطباعات تنظر الى مصر باعتبارها « عنصرا يبعث الذعر والخوف والأرق » سواء فى تاريخها القديم متمثلا فى أهراماتها ومتحفها « الكائن فى ميدان التحرير » أو فى تاريخها الحديث متمثلا فى حرب أكتوبر . وكثيرا ما ترى راحيل — حين تأخذها سنة من النوم — أحلاما مفزعة ، وحين تستيقظ نجدها تستمع الى اذاعة القاهرة تذيع خطابا للرئيس السادات متعلقا بحرب أكتوبر ، وقد تكررت هذه العملية كثيرا فى ثنايا القصة ، أحلام مفزعة يتلوها خطاب للسادات من اذاعة القاهرة ، بحيث نستنتج — من خلالها — اصرار المؤلف على الربط بين مشاهد الرعب والفزع فى الأحلام وبين ما يثيره خطاب لسادات فيها

מן מחאופ . עכין אסאבא הארק וגארק הנומ גפגפא אסטמט אל
הסאדאט יקול פי אדאע « קול קאער » אדאע הקאהרה

“החחייכתי בפני אללה ורחחייכתי בפניכם, בדיק היום לפני
שלוש שנים, לא להשאיר את משימת שיחרורה של האדמה
הכבושה לדור הבא, חאת אני מקיים”

(11)

לעד התרמט אמאם אללה והתרמט אמאמם — פי מלל הזה היום מנד
סלאל שנואל באלזבט — אלא אטרק מהמה תחריר הארץ המעטבה ללגיל
הקאדמ והאנזא אפי במאועדת .

ובינמא פי תסמח אלל דלל אכזתה סנה מן הנומ פראט פי המאם
ואזא בהא פי מדינה « פאיד » המרית דאכל אכסד מעסקראת הגיחש
המרק בין המדראת ודאנאל המדאפ ותחת אריז המאטראת הלי תדאק פי
סמא המנקה , ואזא באלגנוד ילקון בקנבלתי תגאמה ולקנמה לא תנפגראן ,
פיסטב בה אלוף ותבאגתה אכדאל המאלי , פתעוד באפארהא אלל הורא
חין קאנל פי ממר , ויפסטב בה דלל אלוף מן גרא מא שיהדלה פי
מתחף האאר או חין דלל אלל דאכל ההרם האקר . פתקול :

פרקי חיה במצרים עולים לפני

בבהירות מכאבה . קחיר . בית-הנכאל . בלל פועם היא עומד
לפני ארגו-הזכוכית שבו שוכן פרעה רעמסס השני . מראהו אינו
מפחיד כל עיקר . הפנים צומקים , יבשים . רק בוק-רגלו
התפורר , משהו , התכריכים העושים את גופו עבשים-
למחצה .

(12)

« תזכר בוזוח פסול חיהתה המלה פי ממר . הקאהרה . המתחף
.. חיה וקלל בקלל ירתיג פאמא התאבות הזגאלי הלי יפגלי פי
הפרעון רמסיס האני . למ יכן מנפרה מליפא מן אסאס , פאלוגה

جاف ومتجمد . لم بتحطم منه سوى ابهام قدمه ، أما الإكمان التي تلفه فانها متعفنة الى حد ما . »

ثم تستيقظ بعد ذلك مباشرة ، فتستمع — مرة أخرى — الى اذاعة القاهرة والى السادات وهو يردد قائلا :

”התחייבתי בפני אללה והתחייבתי בפניכם, לתוכיח קבל
העולם, שמה שאידע בשנת 1967 היה דבר חלוף ולא בדי-
קיימא, זאת אני מקיים. תוך שלוש שעות, ב-6 לאוקטובר,
הצו מצרים האומה הערבית כולה, את מחסום הסדר — “
(١٨)

لقد التزمت أمام الله وأمامكم ، أن أثبت أمام العالم أن ما حدث
فى عام ١٩٦٧ كان أمرا عارضا لا يدوم ، وهأنذا أنفذ ما وعدت . فخلال
ثلاث ساعات فى السادس من اكتوبر عبرت مصر والأمة العربية كلها حاجز
الخشوف . »

فتهمس راحيل لنفسها بأنين مكتوم قائلة :

אסמע מני, יא סאדאט, אלקוד סגלו קסיר — שפע ספרי,
יא סאדאט, חבלו של השקר קצרו
(١٩)

« اسمع ياسادات ، الكذب حبله قصيرا »

وهكذا فان كلمات السادات ، ومومياء رمسيس ، تثير فيها الخشوف
والفزع ، فاللقاء السادات ورمسيس الثانى هو اللقاء لأجيال مصرية
بثت الذعر بين صفوف بنى اسرائيل ، ولا يقتصر الامر عند بحكام الشعب
فقط ، بل ان لواءها بالباة الجائلين والمرشدين السياحيين — عند هضبة
الاهرام — ينطوى ايضا على ذكريات مخيفه حيث تقول :

רק העיגה בף רגלה על הקרקע, ומיד סבבוה המן מורי-דרך
ומוכרי-קמיעות. היא נבהלה. אך טרד מיחר לחלצה מן המצוקה.
מרים קול. זקק בערכית. גוער.
(21)

» وما أن وضأت قدماها الأرض حتى أحسّاط بها جمع من المرشدين
ويائعي التماثم . فدعرت . ولكن « تود » أسرع ليخلصها من تلك الورطة ،
فرفع صوته وصرح بالعربية موبخا إياهم » .

ויתפץ נוד - והו השחשיה השניה עי القصة - مع ثلاثة من
المرشدين ليتجروا معهما داخل الهرم ، وما أن دلفت قدماها الى الداخل
حتى ارتجف جسدها واستبد بها الخوف

הם נכנסים לתוך המירמידה. היא חשה חלחלה. ואין פלא.

להיות סגורה וחסומה בתוך מיכנה האבן העצום. אילו נחש
פרעה היאופס הגאה. שכעבור שלוש אלפי שנים חצי
מנוחתו הנצחית. שהבין לעצמו בעודו בחיים נערה פשוטה. (22)
בת סחח-חקה. להיכנס למקום .

«لقد دخلوا الى الهرم . وشعرت هي برجفة : ولا عجب في ذلك فقد
خشيت أن تصبح سجيناً أو حبيسة هذا المبنى الضخم ، فهل كان يمكن
للفرعون خوفه المتعطر أن يتنبأ أنه بعد ثلاث آلاف عام تجرؤ فتاة
بسيطة من بتاح تكفا أن تدخل مرقده الأبدى الذي شيده حين كان حياً » .

והכזא פאן الخوف يشكل عنصراً رئيسياً في أحداث القصة ، وهو
خوف قادم من ماضٍ سحيق متمثل في مومياء رمسيس وفي الأهرامات ،
وما زال مستمر إلى اليوم متمثلاً في كلمات السادات وهجوم المرشدين
السياحيين والباعة الجائلين .

ثم فجأة نتخيل أن منطقة الأهرام قد تحولت الى بركان ثائر وأنها لم تعد ترى تود، بل انها تشعر بحرارة اللهب الصادر عن البركان على وجهها :

ובחלומה היא רואה במקום הפירמידה הר-געש לוחם.

את פניו של טוד אינה רואה, רק כרגישה על לחייה

(٢٢)

את נשימתו החמה והעזה.

» وقد رأت في المنام وإذا ببركان ملتهب يثور في منطقة الهرم ، ولم تعد ترى وجه تود ، ولم تغد تشعر سوى بالهواء الساخن الملهب نحو وجهها « . ويبدو أن الكاتب ربط من هذا الحلم وبين اندلاع الحرب وحدوث زلزال أكتوبر ، فقد ذكر - بعده مباشرة - أن الظواهر السورية تحلق في شمال فاسطين وأن الجيش المصري يعبر القناة ، ومرة أخرى تستمتع راحيل الى صوت السادات يردد نفس العبارة السابقة ، فيقول الكاتب :

היא רוצה לצעוק: היא את הערכים מכירה. איך להאכין להם.

(٢٣)

הם רוצים לשחוט את'כולנו, עד אחד.

» انها تريد أن تصرخ ، فهي تعرف العرب . لا أمان لهم . انهم يريدون أن يذبحونا جميعا حتى آخر فرد فينا « .

وهكذا استمادت بطة القصة الاوهام اليهود وخيالاتهم القديمة وربطتها بالحاضر وربما المستقبل ، فشعرت أن نهايتها قد اقتربت ، ثم تستيقظ وينتهي الكابوس وتكتشف أنها ما زالت على قيد الحياة ، وأنها ما زالت في انتظار كابوس آخر يعيد لها نفس الأحداث ، فتلتصق بمصر والمصريين نفس اتهم ونفس الصور !! . الاضطهاد والعنف والوحشية ، وهو استمرار لنفس الصورة القديمة ، وامتداد للاوهام التي ورثوها جيلاً بعد جيل ، والتي تظهر مصر خلالها باعتبارها سبباً رئيسياً لكل ما حاق بهم من كوارث ونكبات سواء في الماضي البعيد أو الحاضر القريب .

الباب الثاني

- ١ - مصر في أدب الرحلات •
- ٢ - مصر كموطن للميلاد •
- ٣ - صورة مصريي الأرض المحتلة •

الفصل الأول

مصر في أدب الرحلات العبري

كان لتشتت اليهود في معظم دول العالم أثر كبير في ازدهار أدب الرحلات عندهم ، فقد وفرت لهم ظروفهم العيش والاختلاط بالعديد من شعوب العالم ، وبالتالي كثرت معارفهم ومعلوماتهم عن كل أمور الحياة في البلاد التي عاشوا بين ظهرانيها ، وهذه المعارف هي المادة الرئيسية في أدب الرحلات . ولذا طفق كل أديب يكتب ذكرياته عن البلد الذي يعيش فيه ، فتوفر للأدب العبري خضم هائل من أدب السيرة والرحلات يكاد يغطي معظم دول العالم وشعوبها .

ولم تنقطع علاقة اليهود بمصر في أي عصر من عصور التاريخ ، حيث كانوا ينددون إليها مهاجرين أو هاربين من اضطهاد أو زائرين ، ومن هؤلاء الزائرين من كان يطيب له المقام فيستقر فيها متمتعا بدفئتها وما تنسم به من سماحة وتعايش للاديان ، ومنهم من كان يعود إلى بلاده على أثر زيارته فيروي أو يكتب عما رآه أو خالجه شعوره حين كان في مصر .

وكلامنا هذا لا يقتصر على العصر الحديث فقط بل أنه ينطبق أيضا على العصور القديمة والوسيطة ، فها هو يهودا بورلا^(١) יהודה בורלא يروي قصة حياة يهودا اللاوي^(٢) יהודה اللاوي . — الشاعر العبري الكبير في العصور الوسطى — وزيارته لمصر عام ٩٩٧ وسعاده الغامرة وانفعاله الشديد برؤية طبيعتها الساحرة ونيلها العظيم وحضارتها الشامخة وأهلها الكرماء حتى أنه قرض فيها العديد من قصائد الوصف والمديح الذي لا ينح كتابنا هذا لتناولها^(٣) .

أما في العصور الحديثة فقد تعددت هجرات اليهود وزياراتهم لمصر ، وكانت جميعها تنطلق من ستة محاور هي :

١ — المحور الأول :

نشأ هذا المحور في سبعينات وثمانينات القرن المنصرم على أثر تزايد الحملات المعادية لليهود في الامبراطورية القيصريّة ، والتي تخفّت تحت ستار الوطنية أو الحرص على الدين ومصالح الكنيسة ، بالرغم من أن الدافع الأساسي لها كان غالباً محاولة السلطات القيصريّة الاستبدادية الهاء والجماهير المنهورة وشغلهم عما يعانونه من بؤس وتخلّف ، بالإضافة إلى محاولة الطبقة البرجوازية الروسية التخلص من منافسة التجار اليهود لهم ، ولقد وصلت هذه الحملات إلى ذروتها مع سلسلة المذابح الموجهة ضد تجمعات اليهود وأحيائهم والمسماء بوجروم . ١٩٠٥م ؛ وقد كانت هذه المذابح دافعا رئيسيا لأن يؤسس اليهود العديد من الجمعيات الصهيونية التي تتبنى قضاياهم وتشجع الهجرة إلى فلسطين فرارا من هذا الاضطهاد (*) . وما أن انتهى ذلك العقد من الزمن حتى تدفق اليهود بكثرة إلى فلسطين أملا في خلاص أو طمعا في احتلال ، وكان هؤلاء المهاجرون يمرون ببلاد المنطقة وهم في طريقهم إلى فلسطين ، فمنهم من مر بسوريا ولبنان ، ومنهم من مر بالعراق والأردن ، وكثير منهم من مر بمصر عن عمد ليُشاهد — عن قرب — تلك الحضارة التي لا يعرف عنها سوى ما سمعته أذناه أو قرأته عيناه ، فعاش العديد منهم في مصر فترات محدودة من الزمن ولكنها تركت في نفسه العديد من الذكريات .

(*) من هذه الجمعيات جمعية بنى موسى التي أسسها أحاد هاعام سنة ١٨٨٩ ، وجمعية بيلو التي أسسها بعض الطلاب اليهود من أعضاء جبة صهيون في روسيا عام ١٨٨٢ وهي جمعيات كان هدفها الأول تشجيع الهجرة إلى فلسطين .

٢ - المحور الثاني :

ينطلق هذا المحور من تلك المزيارات التي كان يقوم بها يهود شرق أوروبا الى مصر ، حيث كانوا يشكلون أفواجا سياحية ضخمة ، تضم فيما تضم اليهود وغيرهم ، فتأتى هذه الأفواج الى مصر للاستمتاع بشمسها الدافئة ورؤية آثارها القديمة ، وكان ذلك فى أعقاب انتشار العلوم والمعارف الأثرية فى أوروبا ، وعند عودة هذه الأفواج الى بلادها كان أعضاؤها من الأدباء يكتبون عما خالج شعورهم أثناء الرحلة .

٣ - المحور الثالث :

يتأسس هذا المحور على النشاط المالى والتجارى الذى يمتعنه اليهود ويفضلونه على سائر الأعمال الاقتصادية ، والذى يلزم المشتغلين به أن يجوبوا بلاد العالم مجيئا وذهابا بحثا عن الصفقات والأرباح ، فأتى تجارهم الى مصر ، وكانت لهم أدواتهم فى التعبير عما حملوه من ذكريات .

ونتيجة لهذه المحاور الثلاثة فإن الصحف اليهودية - التى كانت تصدر آنذاك فى شرق أوروبا - فاضت بالمقالات والقصائد والقصاص والأخبار التى تدور جميعها حول مصر وحضارتها وطبيعتها وأهلها . وقد أولت تلك الصحف لمصر هذا الاهتمام انطلاقا من أمرين ، أولهما تأثرها بتلك المعارف الأثرية، وثانيهما أن هذه الصحف كانت تهتم كثيرا بالتجمعات اليهودية فى بلاد الشرق ، فتتبنى قضاياهم ومشكلاتهم^(٤) ، وهو ما أدى الى اهتمامها أيضا بالبلاد التى تعيش فيها هذه التجمعات ، وهكذا توفرت لتلك الصحف المادة الخاصة بمصر سواء عن طريق المهاجرين العابرين أو الزائرين العائدين .

٤ - المحور الرابع :

ويرجع الى الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، حيث
فر بعض اليهود من القدس الى مصر تجنباً لقوانين الرقابة التركية ،
واستطاعوا أن يصدرُوا فيها العديد من الصحف باللغة العربية مثل
المقطم والمقتطف ، وباللغة الفرنسية مثل *La Renaissance Juive*
النهضة اليهودية^(٦) ، بل وباللغة العبرية أيضاً مثل مجلة *הפועל הצעיר*
العامل الفتى التي كانت تصدر في أول عهدها في القدس^(٧) . وقد
عاش هؤلاء الإنفيون أو اللاجئون حياتهم بكل أبعادها ، بل انهم أصدرُوا
صحيفة جديدة نعبّر عن طائفتهم تحت عنوان *בבית* في
الغربة^(٨) ، أشرف على تحريرها يوسف أهارونوفيتس *הארץ*
^{אברהם דבורא} وزوجته دבורا بارون *דבורה בארון* .^(٩)
وبعد احتلال بريطانيا لفلسطين وأثناء الحكم العسكري ، وبسبب الرقابة
العسكرية البريطانية ، طبعت في القاهرة - ولدة عامين - صحيفة
חדשות מארץ הקודש أنباء من الأرض المقدسة ، وملحقها الأدبي
שיל של ספרות هدية الأدب^(١٠) ولا شك أن النهضة الصحفية
التي صاحبت هؤلاء اللاجئين أدت الى نوع من الازدهار الفكري والأدبي
بينهم ، كما تبوّأت مصر - باعتبارها المكان الذي تصدر فيه الصحف -
مكافئاً كبيراً وملاءماً فيها .

ثم اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ فجلس على
عرش مصر السلطان حسين كامل . فتدفق آلاف اليهود الى مصر قادمين
من الشرق والشرق ، وبخاصة من سوريا وفلسطين ، فأوتهم مصر ووضعت
حكومتها العديد من الامكانيات تحت تصرفهم^(١١) . وكان لذلك كله أثر كبير
في أن يكونوا فكره شاملة عن مصر شعباً وحكومة .

٥ - المحور الخامس :

نشأ هذا المحور ابان الحرب العالمية الثانية التى أتاحت فرصة كبيرة أمام اليهود لزيارة مصر ، فقد كانت البلاد تفتح بالعديد من اليهود المتطوعين فى جيوش الحلفاء ، والذين تلقتهم الطائفة الاسرائيلية فى مصر بالترحاب ، فأقاموا فى مصر فترة من الزمن تجولوا خلالها فى العديد من مدنها وقراها ، وانخرطوا مع أهلها ، وعاشوا طبيعتها ، وشاهدوا آثارها وحضارتها ، وحين حطت الحرب أوزارها وخلا كل منهم الى نفسه بدأ العديد منهم بكتب ما ادخرته ذاكرته عن مصر .

٦ - المحور السادس :

وهو يرجع الى ما بعد توقيع اتفاق السلام المصرى الاسرائيلى ، حيث تدفقت الرحلات الاسرائيلية الى مصر كتنشاط سياحى أو تجارى أو سياسى أو صحفى ، وهى زيارات لم تستطع — فى مجملها وحتى الآن — أن تمحو ما علق بأذهان بنى اسرائيل عبر التاريخ — من صفات سلبية لمصر ..

وعلى أية حال فقد كانت مصر ملهمة لكل من قام بزيارتها من أدباء العبرية ، فكتب عنها ما كتب ، ابجاءا أو سلبا ، تقريرا أو تجريبا ، وفقا لطاقتها الشعرية التى يبعثها فى موضوعه الأدبى ، وطبقا للقيمة الفنية التى يضمنها تعبيره ، ولذا فإن وصف مصر — عند هؤلاء — شكل أحد العناصر الرئيسية والمركبات الأساسية فى أدب العبرية ابان تلك الفترة (١٣) التى عاود بنو اسرائيل فيها اتصالهم بمصر سواء بمحض إرادتهم أو رغما عنها ..

وذا أتينا الى صفات مصر التى ذكرها هؤلاء الكتاب نجد أنها انقسمت بين 'السلبية والايجابية' . وهذا أمر طبيعى اذا ما أدركنا

العلاقة الوطيدة بين الحالة النفسية للأديب وبين صورة وتشبيهاته ، فليس من الطبيعي أن يصور الأديب مكانا ذهب اليه عنوة وفسرا بأنه جنسة الله في الأرض ، حتى ولو كان المكان ذاته كذلك ، لأن الارتباط النفسي للأديب بهذا المكان هو ارتباط سلبي ، ولذا تخرج الصفات والصور سلبية بدورها ، فينتج الأديب العبرى — من هذا النوع — الى استقاء الرمز من الصفات التوراتية ، أو بمعنى آخر استلهم الصور التي وردت مصرعها في كتاب العهد القديم وتضمنها مقطوعته الأدبية، ويزداد الأمر سلبية واجبا إذا لم يكن ذلك الأديب ملما باللغة العربية ، فهنا يتضاعف لديه شعوره بالغربة والوحدة وقسوة الحياة ومعاناتها ، وينطلق فكره هنا وهناك منقبا عن أكثر الصفات سلبية ليصور بها مصر .

وعلى العكس من ذلك فان الأديب الذي قدم الى مصر عن طيب خاطر — سائدا أو تاجرا أو غير ذلك من الأمور — وتنفس هواءها ، واستمتع بدفعها ، وشاهد حضارتها ، واختلط بأهلها وأدرك حب شعبها أكرام الضيف وميله نحو مساندة الضعيف ، ولمس بنفسه تعايش الأديان وماحتها ، واطلع على تاريخها بعمقه وثقافتها بعراقتها ، هذا الأديب سيصور مصر تصويرا ايجابيا حقيقيا ينطوى على معايير تخالف ما ورد من صفات سلبية في كتاب العهد القديم ، ويزداد الأمر ايجابية ومصادقية اذا كان الأديب على دراية باللغة العربية واستطاع الاتصال مباشرة بأفراد الشعب واطلع بنفسه على ثقافتهم وتقاليدهم ، هنا ينأى بنفسه تماما عن الرمزية السلبية التي احتضنها أدباء الوصف التوراتي ، وينخرط في خضم الصفات الايجابية الحقيقية ، بل يمكنه آنذاك أن يصف مصر بأنها جنة الله في أرضه^(١٣) . ولفرق كبير بين من وضع عصاة على عينيه فرأى الدنيا ظلاما حالكا ، وبين من ترك عينيه حرة فرأى الدنيا نورا بهيا . ولنقتطف اللباب من أقوال إحدى أدبياتهم عن مصر حيث تقول : « هناك احساس يحس به كل من يأتي الى مصر غريبا ، وخاصة في أوقات السلم ، هذا الاحساس هو أن يظل هذا الفرد متمسكا ومتشبها بهذه الأرض ، محبا لها ولخيرها ولبشاشتها وجهها وخاصة اذا

ما أبعد عن ذهنه أنها أرض المنفى أو بيت العبيد أو العدو التاريخي ،
هنا سيصفها بإيجابية ، بل وربما بحماس بأنها جنة عدن » (١٤) .

وهكذا اتخذت مصر في نظر زائريها صورتين ، صورة سلبية رمزية ،
وأخرى واقعية حقيقية ، وتضاربت كل منهما مع الأخرى طبقا لتضارب
الحالة النفسية عند كل أديب ، وعلى سبيل المثال يوسف حاييم برنر
הַסֵּפֶר הַחַיִּים בְּרֶנֶר (١٥) ودبور بارون طردا الى مصر فاختلفت
لديهما الصور الرمزية بالصور الواقعية وباتت مصر لديهما « توارثية »
الصفات . وفي مقابلهما نجد استير راب אסתר ראב (١٦) تصف
مصر بإيجابية شديدة ، بل وأنها « جنة عدن » وذلك لأنها عاشت في
مصر حياة ظبية كريمة في ظروف عادية تتسم بالأمن والاستقرار ،
واختلفت الرمزية وسلبيتها من انتاجها الأدبي تماما . وسوف نرى ذلك
كله من خلال مناقشة بعض الأعمال الأدبية .

قصة עצבים أحزان للكاتب يوسف حاييم برنر :

كتب برنر هذه القصة عام ١٩٠٩ ، ليروي فيها قصة هجرته الى
فلسطين ، ولكنها لم تتوقف عند ذلك الهدف ، بل خرجت على نحو يحكى
قصة الهجرة اليهودية في عمومها الى فلسطين ، وما ترتب به من رحلات
شاقة وما لاقته الجماعات المهاجرة من صعاب وأزمات . ولذلك فان هذه
القصة تجمع بين الانطباع الشخصي لدى كاتبها والانطباع العام لدى
قومه ، فهي حافلة في سلسلة طويلة تسيطر عليها الأحوال العامة التي
مر بها اليهود آنذاك .

أما الأحداث الواردة في القصة فليس من الضروري أن تكون أحداثا
واقعية حقيقية : مر بها الكاتب ذاته ، ولكنها يمكن أن تكون أحداثا

وقعت ليهود آخرين أيضا . ثم استقاهما الكاتب كنماذج معينة ليوضح — من خلالها — ما كان يحدث لليهود أثناء مجرتهم . وهو حين يذكر هذه النماذج فانما يذكرها في اطار الصراع بين الخير والشر : وهو أسلوب تتميز به قصص برنر بشكل عام^(١٧) ، ولا شك أنه جعل عنصر الخير متمثلا في الجماعات اليهودية المهاجرة ، كما جعل الشر متمثلا في الآخرين .

وفي القصة يظهر برنر في مدينتي الاسكندرية وبور سعيد اللتين كانتا آنذاك محطتين رئيسيتين يمر بهما العديد من المهاجرين الى فلسطين^(١٨) . ويروي الكاتب ما حدث له ولأسرته في كل مدينة منهما ، ففي الاسكندرية تجلى الشر متمثلا في اثنين من اليهود أحدهما أعرج : ويرتدي الثاني قبعة : جاءا الى ميناء الاسكندرية ليساعدا المهاجرين اليهود الذين يكتنفهم الارتباك والحيرة في هذا البلد الغريب ، والذين بدا عليهم الاعياء بعد أن بذلوا مجهودات شاقة وتعرضوا للعديد من العثرات الصعبة في ألمانيا قبل أن يستقلوا السفينة مبشرين الى الاسكندرية . ويروي الكاتب أن هذين اليهوديين تظاهرا بمساعدتهم وتذليل عقبات الخروج من الميناء أمامهم . ولكنهما — في حقيقة الأمر — كانا يخططان لخداعهم وسرقتهم . حيث تسلما من المهاجرين العملات الألمانية بغية تغييرها الى عملات مصرية . فسلبا منها جزءا كبيرا ووضعاه في جيوبهما ، وأعادا للمهاجرين جزءا بسيطا ، كل ذلك وهما يتشدقان باسم الصهيونية وخدمة مصالح اليهودية ، ويرفعان لواء المساواة ويتباهيان بأنهما يهوديان .

وعملية الخداع هنا عملية حقيقية وليست رمزية ، ذلك أن الخداع الرمزي — في الأدب العبري — يكون دائما من الشعوب الأخرى — وفي مقدمتهم العرب — لليهود ، وليس من اليهود للشعوب الأخرى ، أو من اليهود لليهود وهو ما حدث في الفصة . فالخداع هنا خداع من يهودي ليهودي ، وهو ما لم يتناوله الأدب العبري — حتى عصر برنر — الا لماما ، وهي فكرة من الأفكار التي تدور في غلك « شعب الله المختار » .

ولما كانت الاسكندرية — فى نظر الكاتب — هى المسرح الذى تمثل فيه الشر دون وخز من ضمير . فان صورتها فى القصة تتسم بالسلبية والاجفاف . وينسحب عليها ما انسحب على اليهودى المخادع . وينبع ذلك من خلال التوافق بين الانسان والمكان : فحين تظهر فى قصص برنر — شخصية سريرة فان المكان الذى تعيش فيه هذه الشخصية يظهر بدوره شريرا وسيئا وقبيحا . والمكس اذا ما ظهرت شخصية طيبة خيرة فان المكان الذى تعيش فيه يكون بدوره جميلا رائعا . وقد ظهرت هاتان الحالتان فى كل من الاسكندرية وبور سعيد : فاللقاء الأول بين المهاجرين ومصر يتسم بالسلبية حيث يقول برنر :

لألكسندرية بائس كعلوت الكوفة. بخوف الحنسلو علينا
عربايم، بمكنסים دומيس לשמלת אשה, בהסצרותיהם המאיימות
להיות לנו לעור. אבל מה אני מספר לך? הלא גם אחת
נסעת כמוני ויודע אחת את המנהגים. בקיצור, בעוד שאנו
עומדים מבולבלים ואיננו יודעים מה לעשות במקום החדש,
הקולנו, הסראי, ניגש אלינו יהודי חגר אחד והתרה בנו
לבלי תח חסצינו לערביאים, משום שאחר-כך ידרשו אלה
ממנו בעד הנשיאה יותר משוים של כל החסצים. מיד נמלאנו
אני, אבי המשפחה, חיבה וקורבה להאח הזה, והחיגר לקח ערבי
עם עגלה, סקר לערבי לשים על עגלתו את כל חסצינו ולקובלנו
לבית-הנתיבות. חוצות אלקסندריה המוזהמים ככל חוצות
ארץ-הקדם.

(١٩)

« قدمنا الى الاسكندرية مع اشراقة الصباح ، وعلى الشاطئ
انقض علينا عرب يرتدون سراويل تشبه فساتين السيدات ، وناشدونا
— بالترغيب والترهيب — أن يكونوا لنا معاونين ، ولكن ماذا أقول لك ؟
فلقد سافرت بدورك مثلى وتعرف تلك السلوكيات . باختصار بينما كنا
نقف مرتبكين لا نعرف ماذا نفعل فى هذا المكان الجديد المغمم بالضجيج
والمتمسم بالوحشية ، تقدم نحونا يهودى أعرج وحذرنا من أن نعطي
أمتعتنا للعرب . لأنهم سيطلبوننا — بعد ذلك — بأجر أكثر مما تساويه
الأمتهة كلها وعلى الفور امتلأ قلبى — أنا رب الأسرة — حبا
واقترابا من هذا الشقيق واصطحب الأعرج عربيا مع عربته ، ثم أمر

العربي أن يضح فوق عربته أمتعتنا وأن ينقلنا الى محطة السكك الحديدية . كانت شوارع الاسكندرية قذرة كسائر شوارع منطقة الشرق » .

فالاسكندرية - في نظرة - تتسم بالوحشية والصخب والضوضاء ، كما أن شوارعها قذرة ملوثة ، أما أهلها من العرب فهم مستغلون يملأ قلوبهم الجشع ويطالبون بما لا يستحقون ، وهكذا تتضح - من خلال هذه الصفات السلبية - الرابطة القوية بين الشخصية والمكان في قصص برنر .

وإذا كان الشر قد ظهر على مسرح الاسكندرية على يد يهودي ، فإن الخير قد ظهر بدوره في بور سعيد على يد يهودي أيضا ، فحين وصل المهاجرون الى بور سعيد ، التقى بهم يهودي من أهل المدينة ، فتقاضى منهم أجرا زهيدا مقابل نقلهم وأمتعتهم الى الباخرة التي ستبحر الى يافا ، فلم يكن مستغلا أو مخادعا ، بل ظل حريصا على تذليل كل عقبة تواجههم حتى أبحروا الى فلسطين ، ولذا وصفه برنر بأنه «ملاك» و«أسطورة» .

وانطلاقا من الارتباط بين الشخصية والمكان حظيت بور سعيد - في القصة - بالصور الايجابية حيث يقول برنر :

המים היו צלולים. בלי גלים, השמש האירה, ונעימה היתה
הנסיעה בסירה.
(٢٠)

« كانت المياه نقية شفافة ، خالية من الأمواج ، كما كانت الشمس ساطعة ، وكانت الرحلة فوق السفينة جميلة وممتعة » .

أما صورة العربي في المدينتين فلم تتغير ، حيث أخذت طابعا سلبيا سيئا ، فبالرغم من أن المهاجرين لم يتعاملوا معهم أثناء رحلتهم ، إلا أن الكاتب وصفهم بالجشع والاستغلال . ولو كان الكاتب قد اقتصر على وصف عرب الاسكندرية بهذه الصفات السلبية لأرجعنا ذلك الى الرابطة القوية بين المكان والشخصية كما سبق ، ولكنه وصف عرب بور سعيد بنفس الصفات بالرغم من أن بور سعيد هي المسرح الذي ظهر عليه عنصر الخير في القصة : فالعرب سيئون حتى ولو اتسم المكان نفسه بالخير

والجمال ، وبعدا اخرج برنר العرب من دائرة الارتباط بين الشخصية
والمكان وذكرهم بأسوأ الصفات حتى انه قال فى عرب بور سعيد :

מובילנו לזו סר מעלינו, כל הדרך רב עם הערביאים בעלי-הסירות,
שהאשימוהו בלקיחת שוחד מאתנו, הוא מצדו האשימם, כי אין אלוהים
(21) בלבכם.

» لم يفارقنا مرشدنا، كان الطريق مليئا بالعرب أصحاب الذوارق
الذين اتهموه بتفاسد الرشوة منا ، ومن ناحية أخرى اتهمهم هو أيضا
أنهم لا يعرفون الله « ثم يقول منى مكان آخر :

הערבים פושטים את העור מעל העצמות, בעד הנפשות
והחפצים ידרשו בוודאי שלושה פנקים ואולי ארבעה(22)

» ان العرب يسلخون الجلد من فوق العظام ، وبالتأكيد سيطلبون
ثلاثة فرنكات أو أربعة مقابل نقل الأشخاص والامتعة .

ولم تسلم القاهرة من سلبية الصفات التى خلع الكاتب بعضا
منها عليها فقال :

בקהירה, בשעת העברה ממסע למסע עיי עליות ותחתיות
ארוכות ומשונות לאין סוף, כשמשני עבריך נחלים עליך
הסבלים לשרתך ולשאת לך את משאך, ואתה מתנער מהם
כמו מזבובים וצועק בלי תמוגות ובגרון נחר: „לא, לא, לא —
עלמה שוב מתחת הקרקע אותה הבריה! :
(23)

» فى القاهرة أثناء الانتقال من سفر الى سفر ، ومن خلال مرتفعات
شاهقة ومنخفضات عميقة ليست لها نهاية ، يتعلق بك الحمالون ليخدموك
ويحملوا عنك حمالك ، ولكنك تنتفض. بعيدا عنهم كما لو كانوا ذبابا وتصرخ
دون توقف وبصوت أبح لا لا لا : فى هذا الوقت ظهر ذلك المخلوق مرة
ثانية من تحت الأرض ! «

وعلى أية حال فإن نصيب مصر من الصفات السلبية فى القصة أكبر من نصيبها من الصفات الايجابية، على اعتبار أن الكاتب لم يأت اليها طائعا مختارا يبغي سياحة مثلا أو تجارة ، فسطور معدودة من قصة حياته تشير الى أنه فر من روسيا خشية أن يجند فى الجيش . وأنه ذهب الى لندن ، الا أن السلطات الروسية استطاعت أن تضيق عليه الخناق هناك أيضا ، فحاصره الفقر والضيق ، فاضطر الى الهجرة الى فلسطين مروراً بألمانيا — التى واجهته فيها الكثير من الصعاب — حتى وصل الى مصر . فالحالة النفسية للكاتب لم تكن مهياً آنذاك للتعبير عن الجمال — إذا ما لاقت جمالاً — بل ربما يمكنها أن تنظر الى ذلك الجمال بمنظار سلبي أسود ، فما باننا لو قدر لها أن تلتقى بالشر والآلام؟ لا شك أنها ستنظر الى ذلك بمنظار أكثر سلبية واكتئاباً .

بيد أننا نأخذ على الكاتب أنه ربط بين المكان وبين كل الخير والشر ، ذلك أن الأمر يتعلق بالإنسان وسلوكياته بصرف النظر عن البقعة التى يعيش فيها ، فرب بقعة طيبة يخرج من بين أهلها شخص منحرف ، ورب بقعة قبيحة يخرج من بين أهلها شخص خير وعادل . فنزعنا الخير والشر لتعلقان بالإنسان وليس الأرض ، بل أن العلماء والفلاسفة كادوا أن يجمعوا على ضرورة أن يعيش المتناقضان فى آن واحد ومكان واحد حتى تستمر تعادلية الحياة وتوازنها ، ولذا فمن الطبيعى أن يحتوى المكان على عنصرى الخير والشر فى آن واحد ولا يمكن لأحدهما أن يعيش منفرداً فمصر فى القصة مكان للمتناقضين (الخير والشر) على اعتبار أن من قاما بالخير والشر هما من أبناء الاسكندرية وبور سعيد ، ولكن هل هناك أرض تعيش فى خير مطلق أو شر مطلق ؟ فنفيض عليها بمعسول الصفات أو نهبط بها الى الدرك الأسفل ؟ لا نعتقد ذلك ، فكيف يتأتى لنا أن نطلق حكماً عاماً بالخير والجمال على مكان مجرد أن يظهر فيه انسان خير وصالح ، أو بالشر والفساد مجرد أن يظهر فيه انسان شرير ؟ ألا يمكن لهذا المكان أن يحتمل وجود الاثنين معاً ؟

ولم يقتصر تناول برنر لمصر عند هذه القصة فقط ، بل تحدث عنها فى فصل قصير من كتاب للرحلات تحت عنوان

٥٦٧٢٧٥

من مصر نشر عام ١٩١٥ . بيد أنه يقلل - في هذه القصة - من الطلاق
الصفات السلبية على مصر والمصريين . بل انه يصور عالمية المدن المصرية
الرئيسية . كما يتحدث عن تعايش مختلف الجنسيات في هذه المدن في
أمن وسلام . وأنهم يحافظون على عاداتهم وتقاليدهم . ويتحدثون بلغة
أوطانهم دونما ضغط من أهل البلاد عندهم . وأن الهدف من مقدم هؤلاء
الناس الى مصر هو الارتقاء والثراء ثم العودة مرة أخرى الى بلادهم ؛
وقليل منهم من يقيم في مصر بصفة دائمة فينشج المصريون لهم الصدور ،
ثم يقول برنر :

!לא, אלה אינם הבעלים האמיתיים של מצרים!
אלה לא יקומה ולא יבנוה לעתיד לבוא

(٢٤)

« لا ليس أولئك هم أصحاب مصر الحقيقيون ، أولئك لن يعمرها
أو يبنيوها في المستقبل » أما أصحاب مصر في رأيهم :

!אנשים גבוהי-קומה, בעלי צווארים חזקים, הררי-
שרירים על השכם. פנים שזופים ביותר ועינים
גדולות פקוחות לרווחה ומפיקות בהירות וכדיבות.
באדרות רחבות, כהות וכחולות, ממעל לחלוקים.
ארוכים ומתנוצצים בשלל צבעים, שאזורים רחבים
חדקו אותם במתנים, התהלכו האנשים האלה, חשובים
וגאים, והתרבושים עם המטפחות פרצופיהם דומים
לפסלים אשר במוזיאון של קהיר. הלכנות, החבושים
בראשיהם הזקופים כולם אמרו מלכות!

(٢٥)

« أناس طويلو الهامة ، ذوو أعناق قوية ، على كاهلهم جبال من
الآثار ، وجوعهم سمراء للغاية ، عيونهم واسعة مفتوحة عن آخرها
ويشع منها النور والسقاء والكرم ، ترتدى نساؤهم عباءات واسعة ،

فقد كتبت دبوراً بارون قصة بعنوان ٥٦٦٦٦ المنفيون : تناولت فيها فترة وجودها في مصر وخاصة في الاحتكارية في الفترة من ١٩١٥ وحتى ١٩١٩ ، وقد صورت مصر في قصتها تلك على أنها « منفي جمل » تتوفر فيه كل أسباب الراحة والرفاهية والأمن والسلام ، ولكنها برغم كل ذلك « منفي » لها ، لأنها لم تأت إليها طائفة مختارة لتستمتع بها وبجمالها وطافسها وحضاراتها ، إنما جاءت من فلسطين طريدة ، فلم تكن حالتها النفسية معدة كي تستمتع بما ترى أو تشعر به . ورغم كل ذلك فإن قصة « المنفيون » تعتبر أكثر قصص دبوراً بارون تعبيراً عن السعادة ورسماً للابتسامة ، فإذا كانت الموضوعات التي تناولتها دبوراً بارون في قصصها يغلب عليها الحزن والمأساة والمصادفات المفجعة ، إلا أن الابتسامة عادت إلى وجهها — بعد فترة طويلة من الأحزان — في قصة « المنفيون » (٣٩) ، ذلك أن الجو العام الذي كتبت فيه هذه القصة يختلف تماماً عن الجو الذي كانت تعيش فيه قبل ذلك ، والذي كتبت فيه سائر قصصها الأخرى (٣٠) .

ولا شك أن ادخال دبوراً بارون الطبيعة إلى عالمها القصصي مكنتها من صقل شخصياتها وتبيان أنفسهم ، فتغيرات الطبيعة هي التي تكون مزاج الشخصيات ، وليس هناك من ينكر بأن هناك مشاركة داخلية ونفسية قائمة بين الإنسان والطبيعة .

ولو قرأنا القصة ملياً لأدركنا أن أحداثها قد وقعت في الحرب العالمية الأولى ، وهي الحرب التي أصابت مراكز اليهود في شرق أوروبا بصورة شديدة (٣١) ، والتي اضطرت اليهود أزاءها إلى البحث عن ملاذ يأويهم وملجأ يكفيهم مئونة الخوف والذعر الذي سيطر آنذاك على وجدانهم ، وكانت مصر أحد الحصون التي أوى إليها هؤلاء اليهود من سائر البلاد . ولذا نجد أن دبوراً بارون قد التقت في الاسكندرية بالعديد من اليهود من مختلف الجنسيات ، جاءوا إلى مصر فراراً من أهوال الحروب ، ولذا صورت مصر في القصة بأنها « حصن جين ندرت الحصون » .

ולقد تناولت דבורא בארון مصر ומדנה וחזרתה ותקלידה ואכראם
 שבעה ללפיד . פמער מלאז לכל משהד או מלומ , משר מי
 בית האיתאם . ומאוי מן לא מאוי לה : פמוריש ליף — תאגר הקטן —
 רגל משרי אסנבלהם מרגבא חין ופדוא אל משר מרגבא מן הצפ
 والاضطهاد , וחין طلبوا منه أن يكون مرشدا لهم في الإقامة والتجوال
 داخل مصر ومدنها لم يتردد أو يرفض بالرغم من أعماله التجارية الكثيرة
 التي تستهلك معظم أوقاته ولذا قالت عنه دבורא :

אריב חיה, כמו בבית-המלון אז, וסגר פניו טוב, כשהגיעו לקהיר, ובקשהו
 שיהי להם למורה נדד, והוא איש נכד עסקים. נענה להם וגם בא אליהם
 כשרב למקום אסורם.

(ח)

כאן לטיף כאן פן הפנדק . בשווש הוה , חין ושלוא אל
 القاهرة وطلبوا منه أن يكون مرشدا لهم — وهو ذو نشاطات واسعة —
 لبى لهم مطلبهم وجاء اليهم في المساء في مكان أقامتهم » .
 شخصية الإنسان المصري في قصة « المنفيون » לדבורא בארון
 تختلف كثيرا عما هي عليه في قصة « أحزان » ليوسف, حاييم ברנר , فهي
 عند دבורא طيبة , وديعة , متسامحة , مسالمة , كريمة , محبة لوطنها
 مرتبطة بأرضها ارتباطا شديدا .

וי מחור חדישה מן معالم مصر וصور الطبيعة فيها تقول :

הוא העבירם דרך תוצות אישמעאליה עתידת-הירק. הביאם
 לגן-המלאים אשר באיזכיה ושתה אתם קהוה בביתן עתיק אחד,
 אשר צלמי איחדים עם בני-העמלית שלו הציצו מתוך קירותיו
 וקבוצה של חנוטים עמדה עמידת דום על פתחו. ואחר-כך —
 בחשכת הלילה בין שורות של גנים רוויי-מסתורין, הפליגו יחד ברכיבה
 לארבת החולות של גיזה הביאה אותם לקהירופוליס עתיקת-הימים
 ולקלוואן יפת-הנוף, הסתובבה אתם במשך שעה ארוכה בתוך
 הסבור של שוקי המושקי, הישן והחורש, ונחך עלו עוד לרמס
 הצ'יטל, ראו סה את שעונו של לואי סיליס, ואת מקדשו של
 מחמר עלי, והציצו מנבחי מרומי של זה אל העיר עם כל יער
 המגדלות, ועמם היאור והמדבר המצהיב הרחק שם, מאחריה —
 ומסגוריים מן הוזהר הרב, מתוך סתר-הורח קלה, ירדו לתוך

(ח)

لقد تجول بهم فى شوار الاسماعيليه الغنيه بالخضرة ، ثم جاء بهم الى حديقة العجائب فى الأربكية ، ثم احتسوا القهوة عند كشك قديم تظهر على حوائطه صور أوزوريس وأبناء أسرته ، بينما وضعت مجموعة من المومياءات الصامته عند مدخل الشك ، وبعد ذلك وحين أرمى الليل أستاره ، أقنعوا جميعا فوق ظهر مطية ذاهبين عبر صفوف من الحدائق الغنية بالآسرار الى الأرض الرملية فى الجيزة ٠٠٠٠ ثم أتى بهم الى هينوبولس الضاربة فى أعماق التاريخ ، وإلى حلوان بطبيعتها البهيجه ، ثم تجول معهم وقتا طويلا داخل أزقة أسواق الموسيقى ، القديم منها والجديد ، ثم صعدوا بعد ذلك الى مضبة القلعة ، وهنا رأوا ساعة فيليب ، ومسجد محمد على الذى تطله مآذنه من عليائها ومعها مجموعة هائلة من المآذن الأخرى - تطل جميعها على المدينة وعلى وادى النيل والصحراء الصفراء التى تلوح من بعيد ، ثم هبطوا بعد ذلك الى الظلمات ، الى عمق الأعماق فى بئر يوسف .

فهى تذكر جمال الاسماعيلية التى تكسوها الخضرة ، وكذا القاهرة بحدائقها الغناء وطبيعتها الرائعة فى حلوان ، وآثارها التى تعبر عن ماض مجيد شهدت له الدنيا ، سواء الآثار الفرعونية المتمثلة فى المومياءات أو تمثال أوزوريس أو فى الآثار الاسلامية المتمثلة فى قلعة محمد على وما يعاوها ويحيط بها من مآذن تنظر فى شموخ الى الوادى الخصيب فى أسفلها ..

والاسكندرية نفسها توصف بأنها « نور فائن »^(٣٤) وأنها مدينة « بشوشة الوجه »^(٣٥) أمام المنفيين ، دمة الخلق عند مقدم الضيوف^(٣٦) وأنها « المنفى المريح »^(٣٧) و « رصعت حدائقها بالأصداغ التى أخذت شكل الضفائر والأزهار ومياها تبرى تحت الشمس »^(٣٨) .

وقد أشارت القصة الى تعايش مختلف الأديان والجنسيات فى الاسكندرية فى جو من السلام والأمان ، فهناك أسرة ألمانية تعرفت عليها بطة القصة^(٣٩) ، وصاحب البيت الذى تقيم فيه يونانى الجنسية^(٤٠) ،

والطبيب الذى يتولى علاجها ايطالى^(٤١) . والطبيب المرافق له فرنسى وغير ذلك من الجنسيات والطوائف، التى وفدت الى الاسكندرية بحثا عن الأمن والثراء والاستقرار وهو ما عبر الجو العام للقصة عنه ..

ولو نظرنا الى القصة نظره عامة لأدركنا أن الكاتبة تؤكد على تعادلية الحياة . وهو ما زخرت به كتاباتها . فالاضطهاد ففى منطقة يقابله ويتعادل معه الأمن والسلام فى منطقة أخرى (شرق أوروبا ومصر) . حتى فى الوصف والتصوير نجدهما تلتزم بذلك المبدأ ، فحلوان التى يلفها الاخضرار يقابلها ويتعادل معها هضبة الأهرام ورمالها الصفراء ، وماذن القلعة تطل من عليائها على وادٍ سحيق فيه بئر يوسف ، والأهرام تطل فى شموخ من فوق هضبتها على المروج المنتشرة أسفلها ، الى غير ذلك من الصور التى تبرر ايمان الكاتبة بالتعادلية بين المتناقضات .

وكاتبة أخرى هي استير راب סטיב ראב ،
تعتبر الشاعرة الاسرائيلية الأولى من يهود الصابرا^(*) ،^(٤٢) حيث ولدت فى بتاح تكفا عام ١٨٩٩ . وعاشت فى القاهرة خمس سنوات من ١٩٢٠ حتى ١٩٢٥ مع زوجها التاجر اسحق جارين אשכנזי סטיב

سجلت قصة وجودها فى مصر شعرا ونثرا ، أما الشعر فقد كان خلوا من كل عنوان ، ولكنه يدور حول الطبيعة الجميلة التى تتسم بها صاحبيصة حلوان ، حيث كانت آنذاك قبلة لمن أراد استمتاعا بالطبيعة أو تأملا فى قدرة الخالق ، ناهيك عن أن استير راب صنفت فى الأدب العبرى على أنها من شعراء الطبيعة والوصف^(٤٣) ، حيث أفاضت فى وصفها بشكل عام ، وانبهرت كثيرا بطبيعة بلاد الشرق وخاصة مصر وفلسطين ، ولذا جعلتها ركنا أساسيا لا غنى عنه فى أشعارها العاطفية القصيرة ، بل جعلت تلك

(*) الصابرا من الكلمة العبرية
فلسطين ..
شاب يهودى من مواليد

الطبيعة الخلابة رمزا للحب والتهاب انعاضة , فهي تتغنى بالطبيعة المصرية
في احدى قصائدها قائلا :

נוף התקרים
דקקו בו הצעירים
זאת בין גננים —
עמודי-הוד —
הם מתבדרים.

בענקי פרחים
עלי גבעולים דקים,
צפוח ממעל העמדות
כרידשא, ציורי-הנוף
תוף האורות אובדים —
נוף החלום לתועי-הדרך,
יגור שוב כבד-נרוע,
כפלה יצוקה,
בין התקרים

ילחך שטח, שטח:
וממעל רקיע,
בעין קלאופטרה,
ירוק-כהה עם בוא הערב

(٤٤)

ياجمال النخيل
حين يتعلق به السعف
أو حين يتناثر في هواء
عند الجذوع الثابتة في شموخ
كورود عملاقه
تقف على سوق رقيقة
وتطل من العلياء الفياض
ومروج تظهر كأنها أحلام
تضيق وسط الأنوار

كالعلم بمنظر ضبيعة عند تائهي الصحراء

ويمر النيل بين النخيل ككتسيج مزروع

أو كفولاذ مسبوك

فبيداع الأرض شيئاً فشيئاً

ومن فوقه سماء

كعين كليوباتره

ويصبح لونه الأخضر قاتماً عند المساء

فالشاعرة تطل علينا بصورة فنية كلية يشكل النخيل عمادا رئيسيا فيها ، فتشبه « السعف » بالزهور و « الفيافي » بالبحلام ، و « النيل » بالنسيج أو الفولاذ المسبوك ، وتربط بين هذا كله وبين ذكريات تاريخية مثل « التائهين في الصحراء » ، وكليوباتره .

وأما القصتان فهما رديت شونيم مربى الورد تحت الكافور في حلوان . وإذا ما قرأناها أدركنا أن الكاتبة اهتمت فيهما بوصف الطبيعة وبهائها أكثر من اهتمامها بالأركان الأساسية للقصة من أحداث وشخوص وحبكة أو غير ذلك ، وكأنها كتبت هاتين القصتين لتصف جمال الطبيعة المصرية فقط ، ففي قصة « مربى الورد » شغل وصف الطبيعة أكثر من ثلثها ، حيث تتنى في مقدمتها على الطبيعة المصرية قائلة :

يوني-البر هوميوت كحور عزي-الفيلسل المسوربليس. השמש עולה
זמזיבה את הגגות השטוחים; דקלים חותכים שמיים בעמודי-
גועיהם. הגינות שלפני הבתים מריקות את שארית ריחות-הלילה
טרם יגבר היום. היסמין — לח עדין. מטעם פוקח שפע עיניים
על פני הגדרות; צל טחוב עוד מסתחר בין סבכי ורדי-הבר ועצי
המנגו.

يرسل الحمام هديره وسط أشجار النفل المتشابكة ، وتشرق الشمس فتجعل البساتين المنبسطة ذهبية اللون • ويمانق النخيل السماء بجفوعه الثابتة • وتنفوح الحدائق المنبسطة أمام المنازل بشذاها ليلا وقبل أن يبرز النهار • ولم يزل الياسمين ناضرا ، يتسلق على وجه الحائط فاتحا عينيه الواسعتين ، وفي ندى يتخفى بين سيقان الزهور البرية وأشجار المانجو •••

ثم تصف منظر النيل وهو يخترق الصحراء بينما مجموعات من الصيادين تنهل من خيره فتقول :

שמי-המידבר, שקופים ורחבים לאין-קץ.

بمسילה העולה מן הנילוס, על פני סדין החול הצהוב של המידבר,
זוחלת שיירה של אנשים, נשים וחמורים; שקוף ורחב האוויר
וחנועת השיירה נראית לכל פרטיה; כעדת-נמלים

(١٧)

كانت سماء الصحراء صافية وممتدة الى غير نهاية ، وترحف قافلة من الرجال والنساء والحمير عبر ذلك الطريق القادم من النيل ، ترحف على وجه البساط الرملي الأصفر الذي يغطي الصحراء ، كان الجو نقيا صافيا ، وتبدو حركة القافلة بكل تفاصيلها كسرب من النمل ••

ثم تنتقل الكاتبة الى موضوع القصة وهو وصف ليوم اعداد مربي الورد ، وهو - كما قالت - يوم لذيذ ، وهو وصف يتكرر كثيرا عند الحديد من أدباء العبرية الذين عاشوا في مصر فترة معينة من الزمن • ففي هذا اليوم استيقظت الفتاة كلمنتين مبكرا لتشارك في اعداد مربي الورد ، وفي هذا اليوم عادة ما كانت رائحة العبير تنتشر في كل أركان المنزل ، ألا ان رائحة الفتاة كلمنتين كانت تفوقها في التأثير على أنوف الرجال والفتيات ، فكانت تثير غرائزهم ، فحين كانت تهبط درج السلم الى الدور الأرضي لتحضر بعض القوارير الزجاجية لتملأها بالمربي ، نزل خلفها الفتى « محمد » - الذي تشبهه الكاتبة باله مصرى

قديم يقبع في متحف الآثار بالقاهرة - فلم يستطع أن يكبح غريزته حيث اعترض طريقها وحاول أن يمد يده نحوها ، ولما كانت الفتاة مخطوبة لفرد آخر - لا ترغب فيه ولا ترى فيه فتى أحلامها بل تنتظر اليه على أنه مصدر بؤسها وتعاستها - فقد استجابت للعلاقة بينها وبين الفتى ، وحرصت على أن تكون العلاقة سرية ، إلا أن الكاتبة قطعت سير الأحداث وانتقلت ثانية الى وصف الطبيعة ، فتواصل وصفها للنيل والخضرة والنخيل ، وكان الطبيعة - كما سبق القول - ما هي الا رمز للحب والهوى بين بطل القصة وبطلتها .

وفي قصة « تحت شجرة الكافور في حلوان » تشير الكاتبة الى أن مصر هي حصن الأمان ومصدر الطمأنينة لمن يفتقد الأمان والاطمئنان ، فأحداث القصة تدور في الفترة ما بين عامي ١٩٢٠ - ١٩٢٥ ، وهي الفترة التي أعقبت ثورة ١٩١٩ التي قادها سعد زغلول ، وبالرغم من هدير المظاهرات وزئير الجماهير التي ملأت شوارع مصر كلها ، والتي أفقدت نظام الحكم آنذاك اتزانه وأضعفت هيمنته على زمام الأمور وأتسعت في البلاد جوا من عدم الاستقرار ، إلا انه لم يحدث أذى لأي أجنبي على أرض مصر ، بل عاش الأجانب حياتهم اليومية العادية دون أن يجبروا على فعل شيء ودون أن يلحقهم أذى أو يحدث لهم ما يعكر صفوهم ، وتشهد الكاتبة على ذلك حيث قالت :

« זה היה זמנו של נג'לול, ונוער מתמרד היה שורף קרונות-הטראם
ברחובות וצועק: "יחזקו אל נא" - ישבתי כמהגרת בארץ זו -
בלייתם לא בעייתי.

(٤٧)

كانت هذه هي فترة « سعد زغلول » ، حيث كان الشباب الثائر يقوم باشغال النيران في عربات الترام في الشوارع وهم يهتفون « يحيا الوطن عشت مهاجرة في هذا القطر ولم تكن قضاياهم هي قضايای ، وفي مكان آخر تقول :

שוטטתי בלי כל פחד בין רועי העצים, סיגלתי לי את הניב המיוחד
שלם, ולא היתה להם כלל חמיהה שאישה אידופית משוטטת
לכדה — היו הרבה אנגליות, תיירות, שעשו זאב
(14)

תגולת דון דון פחד בין רעה המאז • تعلمت اللهجة الخاصة بهم :
ونم يندھشوا حين رأوا سيدة أوربية تسير بمفردها ، فقد كانت سائحات
انجليزيات كثيرات يفعلن ذلك ••

فالكاتبة هذا تشير الى حرص المصريين على عدم احداث ما يعكر
صفو الأجانب المقيمين بينهم ضيوفا ، مما يجعل هؤلاء آمنين على
أنفسهم من كل خوف •

وبأسلوبها الفصמי وحبها لوصف الطبيعة ، أفاضت استيراب —
في هذه القصة أيضا — في وصف طبيعة القاهرة وأحيائها المختلفة ،
بل أفرطت في الوصف حتى بدا اهتمامها بابرار أحداث القصة وأركانها
هزيلا اذا ما قورن بالاهتمام بالوصف والتصوير ، بل اننا نكاد نقول
ان الكاتبة كانت تعتمد الى توزيع أحداث القصة على أماكن مختلفة
حتى تتمكن من نصوير هذا المكان ، فوصفت منطقة الأريكية « وحديثها
الدهشة ونخيلها الشاهق الذي يعانق السماء » ، كما وصفت منطقة
وسط المدينة « ونظافتها وعبر زهورها ونشاط التجارة فيها » ، أما منطقة
حلوان فهي مسرح القصة وهي الحي الذي كانت تقيم فيه الكاتبة ،
وليست بمستغرب على استيراب — أديبة الطبيعة — أن تستأثر طبيعة
حلوان بلها فتسهب في الوصف فتقول :

מצאנו לנו בית בודד על קצה המידבר, וכודך וגדול האהיל עליו
אקליפטוס ענק, זר לסביבתו, חרין מתמרים ועצי מנגו אין רואים
עצים. הלכתי שבי אחרי האקליפטוס ושכרנו את הבית — העתיקות,
הצמחים המיוחדת, גדות חנילוס — היו קרובים מאוד, מהלך
עשרה רגעים מהחנילוס. שתי גדותיי נטרעות תמרים ענק שגזעם

חלק ולכן כסיד. ובמורד משוכות עד המים, וכמים על

הגדה דוכרות נושאות צריפי-עץ קטנים, מעון-קץ ליושבי העיר
העשירים הבאים לנפוש ולשאוף קרירות. הנילוס העתיק והכבד

היה מושך מאוד. (٤٩)

עثرנו על בית על חافة الصحراء, בית كبير منغلז תغطيه شجرة
كافور عملاقة, ونحيط به الزهور. ولم نر أية أشجار سوى أشجار النخيل
وأشجار المانجو, وقد استأثرت شجرة الكافور بقلبي فاستأجرنا البيت...
الآثار, النباتات الفريدة, ضفاف النيل كانت قريبة للغاية, كانت
لمسافة بيننا وبين النيل عشر لحظات... كانت ضفتاه مفروشتين بالنخيل
العملاق ذي الجذوع المساء البيضاء كالجص, ضفتان تتحدران نحو
الماء, وفوق مياه الشاطئ ترسو عوامات تحمل أكواخا خشبية
صغيرة تستخدم كمصيف للأثرياء المدينة الذين يأتون ليتنفسوا هواء
باردا... كان النيل العريق العظيم جذابا للغاية.

ويهودا-عميحاي - الذي وفد الى مصر مجندا في الجيش الانجليزي
أثناء الحرب العالمية الثانية ومكث فيها لمدة عامين - تناولنا - في الفصل
السابق - قصته «سد أسوان» من جانبها الفرعوني وما تحتويه من
فكر في الموت والخلود وعلاقتهم بالفكر الفرعوني في القديم,
وما نحن نتناول هنا نفس القصة من جانب تصويرها للطبيعة المصرية
والانسان المصري...
فعلى اثر خروج عميحاي ورفاقه من خنادقهم التي حفروها في
قلب الصحراء, مبتدئين رحلتهم لزيارة معالم مصر القديمة والحديثة,
شاهدوا النيل فأثار بسحره عميحاي الأديب, فطفق يصفه قائلا:

כל נפישתנו נמשכה לאורך הנילוס כמה טוב
לארץ שיש לה ציר מרכזי כמו אותו נהר. סיד יחד עם את
כחוני השכיים ואין סדנים. בארצנו הרבה הרים ועצים מפור
בלום. וכל אחד בצביון לבחון אחר, וצריכים דמאסן או לכוכבי
בהביל להתמצא.

(٥٠)

استمرت رحلتنا على امتداد الدبل ، صوبى البلد الذى يملك محورا مركزيا مثل ذلك النهر ، ذلك أن أهله سيتعرفون فوراً على اتجاهات السماء . ولا يخفائون . أما فى بلدنا فإن الجبال والوديان تشـطـر الأرض . وكـن غرد يـشـير الى اتجاه آخر . ويحتاج أهلها الى بوصلة أو نجوم لكى يحددوا الاتجاه .

وتم سبق لنا القول — فى الفصل السابق — بأن عميحاي كان يعمل فى الطبوغرافيا العسكرية . وهو تخصص يدور حول الملاحظة وتحديد الاتجاهات نهارة وليلا عن طريق البوصلة والنجوم وغير ذلك من الوسائل ، ولذا نجده — فى تصويره السابق للنيل — متأثرا بهذا العمل ، فيشبه النيل بأنه خبر هاد لكل من يضل الطريق ، فهو يحدد الاتجاهات دونما حاجة الى بوصلة أو نجوم ، أما فى فلسطين فإن الجبال والديان تضل، التائهة عن اتجاهه ، لأنها تقسم الأرض وتشطرها فيختلط الأمر بين الشمال أو الجنوب أو الشرق والغرب ، مما يصعب معه تكمله المسير دون مرشد من بوصلة أو نجوم ، ثم يدلل على ذلك ويقول :

שם הייתי

באנגליה כשירדה קטנה והיה קשה עלי למצוא את התימה.

במצרים אין צורך לשאול אם לא דיאים את הנחל שממשי

אנחנו על כל פנים חריר נכחים אליו.

(٥١)

ذات مرة كنت فى إنجلترا . فى مدينة صغيرة ، وكان من الصعب على أن أعر على نهر التايمز ، أما فى مصر فلا حاجة للسؤال . فإذا كنتم لا ترون النهر ، فأنتم تستمعون اليه ، وفى كل الأحوال ستجذبون نحوه . . .

وحين وصل الى أسوان ، وشاهد السد وما يحتجزه خلفه من مياه يتحكم فى تدفقها متى وكيفما يشاء ، شبهه بالأديب الذى يخترن الأفكار بداخله ليكتبها فى الوقت المناسب وبالقدر الذى يريده ، فيقول :

ואני מכילא לא

יכול הייתי להרשיע, אלא להגיד מלים וחברים או לספור אותם
בהנחי. כדי לאומרים אחר דנים רבות בקול רם או בכתב. גם
הספר הגדול באסואן אוגר כך את מימי הנחל וסומרים בסרט
יוציא אותם בהקפדה.

(52)

« ואני מן תלפא נפסי למ אכן אסטיג המסעדה : בל כנט אסטיג
אן אחי קלמא ואשיא או אן אחפזא בדאחלי כלי אקולא בעד סנול
טוילה בסוט עאל או מכותב . ואינא הסד הכיר פי אסווא ידער
מיה הנחל ויחפזא קבל אן יחרגא באחקאם » .

וגיר דלכ מן אמלה הנתי יריבט גיחא עמיחאי בדקע בין הזואהר
הסאדיה הטביעה והזואהר האנסאניה המירדה פי אטאר ואחד , פקד טבה
האדיב חין יחגזר אפקארע באלסד חין יחגזר מיהא : כמא טבה הניל -
והו זאהרה טביעה - באלבוסלה הנתי אחרעא האנסאן כלי תחגד !
האטגא , נאחיה , ען העיד מן הצור והתשיבהא הנתי סאר פיחא עלי
נפס הנחל עי בקיע אגזא הקצה .

ונזרא לסיטרה פקרה המות עלי אחאסיס עמיחאי - כמא סבק אן
דכרנא - ובאלרגם מן אנה קאן ייטארק אנזאכ פי הרב העאליה השאניה :
הא אנה ימקת הרב ויעדד מסאויהא עלי אפרד והמגמע⁽⁵³⁾ , פקד קאן
יינעי אן ימות עלי סריירה⁽⁵⁴⁾ , וקאן ינזר אלי הרב נזרה מחרטה
ען אקראנע פיקול פי קסטת :

נכנסו חילים מצריים, הנדחקו נפחדים במינה, אף-על-פי שזו
היתה ארצם וזה היה קרונם. נעולים היו מיני נעליים חצאיות
גסות, לראשיהם חבשו כיפות עגולות בצבע חאקי. אילו
דענו טעתידים אנו להילחם זה נגד זה, ייתכן שהייתי מסתכל
בהם אחרת. אך בודאי הייתי נוחג בהם כמינהגי אז, וכאן שוב

(55)

« دخل جنود مصريون وانكمشوا على الركن خائفين . بالرغم من أنها أرضهم وأن هذا قطارهم : كانوا ينتعلون أحذية نصفية غليظة . يضعون فوق رؤوسهم أغطية مستديرة لونها كاتى . وكنا نعلم أننا سنحارب هؤلاء ، فى المستقبل . وربما كنت شخصيا أنظر انيهم نظره أخرى ... ولكن كنت أسكن معهم سلوكى الطبيعى آنذاك .

فرغم عامه أنه سيحارب هؤلاء الجنود المصريين بعد فترة من الزمن إلا أن تعامله معهم كان تعاملًا حسنًا . ويبدو أن روحه من الداخل كانت ترفض كل أعمال القتل والعنف والصراع . وربما أثر عليه ذلك كله فانضم فى مرحلة لاحقة الى جماعة السلام الآن التى تنادى بتحقيق السلام مع العرب حقنا للدماء .

بيد أن ميجائى لم يذكر لنا مما أو ممن كان « يخاف » هؤلاء الجنود المصريون ؟ هل كانوا « يخافون » من جيوش الاحتلال التى تجثم فوق صدورهم وصدور شعبهم ؟ ليس هذا بخوف ، وإنما غضب وضجر من وضع غير طبيعى ، عليهم أن يتحملوا مسئولية تغييره ، أم أنهم « يخافون » من ثلاثتهم — وهم يهود انضموا للجيش الانجليزى ؟ وليس هذا ايضا بخوف ، ولكنه شعور الحزن والاسى على ما ألم بأرضهم حين وطأته أقدام الغرباء واستباحته شرفه وكرامته .

أما أنهم يخافون ، فليس هذا بوارد فى تاريخ العسكرية المصرية فى أى عصر من العصور . وحسبنا فى ذلك صفحات التاريخ التى سجلت ومازالت نسجك العديد من ملاحم "تضحية والفداء التى تصنعها العسكرية المصرية ... أليس هناك العديد — من غير المصريين — ارتبطوا بمصر فكريا ووجدانيا فآثروها على أرواحهم حين تعرضت للخطر فاستشهدوا فى سبيلها . مثلما فعل الظاهر بيبرس أو طومان باى أو غيرهما ؟ فما بالنا بأهلها الذين ارتبطوا بها تلبا وقالبا ؟ هل هؤلاء يخافون أم يتقزرون ، يهابون أم ينجسون ، يرتجفون أم يملأهم الحزن والأسى عما يحل بوطنهم آنذاك ؟ !

ولم يمر على توقيع اتفاق السلام بين مصر وإسرائيل سوى فترة قصيرة من الزمن . وهي فترة لا تسمح بانعكاس هذا الاتفاق على مجالات الإبداع الأدبي إلا مساماً . ذلك أن الحاجز النفسي الذي يهيمن على وجدان أدباء العبرية لم يتيسر لهم — حتى الآن — اجتيازه ، خاصة وأنه عاش داخلهم يوجه أعلامهم وأفكارهم مئات بل آلاف السنين ، فكيف يتأتى مستويات — لم تتجاوز في عددها أصابع اليد الواحدة إلا قليلاً — أن تمحو ما نقشه ذلك الدهر الطويل في قلوبهم من حقد وكرهية ...

ومع ذلك فقد كتب أقل القليل من القصص ، دارت كلها تقريباً حول « السلام » كمبدأ إنساني يجب على البشرية أن تسمو به وتجعله مناهجاً للتعامل بين أفرادها ، ولتقتطف إحدى هذه القصص لنذكر على ما نقول .

القصة كتبها اسحق بن نبر (٥٦) ٢٠١٤ ٦٢ ٦٢ عام ١٩٧٩ ضمن المجموعة القصصية التي تحمل عنوان ٢٠١٤ ٦٢ ٦٢ . أرض بعيدة . أما القصة ذاتها فعنوانها ٢٠١٤ ٦٢ ٦٢ دافيد أوجست — القاهرة —

فبراير ، وتدور أحداثها في القاهرة في السابع من فبراير عام ١٩٧٨ ، وتدور حول اثنين من الصحفيين المرافقين للوفد الإسرائيلي في مباحثات السلام ، نشأ بين هذين الصحفيين خصومة شديدة ونزاع دائم وصل للدرجة التي كان أحدهما يحبك للآخر خطة انتقام تؤدي إلى تحطيمه نفسياً ، « دافيد أوجست » يمقت زميله « هاردوف » بشدة ، ربما لأنه أكثر منه نجاحاً في عمله الصحفي . حيث يستطيع — بملكاته الشخصية — الاتصال بكبار الشخصيات السياسية والاجتماعية والحصول منهم على معلومات وفيرة ودقيقة ومفاجئة مما يكسبه بريقاً يحسده عليه زملاؤه .

ثم تسرع أحداث القصة ، فنجد أن « هاردوف » كان قد استطاع أن يسلب من « دافيد أوجست » زوجته في الماضي ، ولكنها ماتت

بعد ذلك بقليل بعد أن أصابها مرض السرطان . ثم يتضح أيضا ان « هاردوف » كان مصابا — منذ فترة طويلة — بنفس هذا المرض ، وأنه التقى بـ « دافيد أوجست » عند الطبيب الذى كان يعالج كلا منهما . فلقاءهما كان لقاء شخصين اقتربت نهايتهما المحتومة . وهما يعرفان ذلك . فربما كان فى هذا اللقاء عزاء ومواساة . وهو ما يجعل لقاءهما يخلف عن كل لقاء . ولم يكن « دافيد أوجست » على دراية بهذه التفاصيل . بل كان مشغولا فى مطاردة « هاردوف » فى شوارع القاهرة وحوالياتها . رغبة فى الانتقام . وفى إحدى المطاردات التى قام بها فوجئ بصورة « صفريرا » — زوجته التى ماتت ، معلقة فى أحد حوائط خان الحليلى كما فوجئ « بهاردوف » وهو يتقدم لشرائها ، ويضطرم بينهما الصراع حول الصورة كما اضطرم قبل ذلك على صاحبة الصورة نفسها ، ويذهب كل منهما الى الحانوت خلسة عساه أن يفوز باقتناء الصورة . وفى إحدى هذه المرات نظر « دافيد أوجست » بدقة الى الصورة فتبين ان الأمر قد اختلط عليه . وان الصورة ليست صورة زوجته السابقة صفريرا ولكنها صورة لامرأة غريبة ذات ملامح فظة وقسمات رتيبة . فأخذته الدهشة وانتابه الندم على ما كان يضر من شر لزميله ، وهكذا بدأت الخصومة بينهما يقلل أوارها الى أن انتهت تماما عند سرير « هاردوف » فى فندق شيراتون ، حيث سقط الأخير مريضا فاستدعوا له طبيبين أحدهما مصرى والثانى اسرائيلى ، فبنقلاته سويا الى المستشفى بعد أن ترك وصية ينفى تحقيقها بعد موته ، ويكتشف « دافيد أوجست » من خلالها أن « هاردوف » كان مريضا بذات المرض الذى قتل زوجته ، وأنهما التقيا عند الطبيب المعالج ، فيشتد ألمه ويزداد ندمه ويزول الصراع وتطوى الكراهية بينهما صفحاتها .

ويبدو ان الكاتب قد تأثر — أثناء وجوده فى القاهرة لتابعة مفاوضات السلام — بالجو العام الذى كان يسيطر على المفاوضات ، فكتب هذه القصة ليشير بها الى مصر واسرائيل ، وأنهما التقيا بعد نزاع طويل وخصومة شديدة مثلما التقى « دافيد أوجست » و « هاردوف » ، خاصة وأنه يشير فى أكثر من موضع فى القصة الى « سعادة الشعبين المصرى والاسرائيلى باتفاق السلام » .

وعلى أية حال فإن الكاتب لم تفتحه فرصة وصف القاهرة عن قرب بعد أن كانت جلما يراود عيونه الشمالية ، وصف شوارعها وميادينها . وصف أرضها وسماها ، زرعها ونيلها وآثارها الشامخة ، وصف رجالها ونساءها وأطفالها . وصف عاداتها وتقاليدها وأعرافها . وصف ذلك كله ليلا ونهارا ، وكان وصفه لها ليلا أكثر ايجابية من وصفه لها نهارا ، فهو يصف ميدان التحرير عند الظهيرة قائلا :

ועכשיו אחת-עשרה ושמונה דקות ואני לבד על הגשר העילי המורד הזה, נסחף בין המון-המוני אנשים ללא פנים, ללא צורת יחיד, בבגדים אירופאיים מיושנים-משהו, בגליזות, בחלוקים, בקרעי בד, בחליפות מהודרות, ריחות שחן ונפט, ברכום ושמן טיגון באוויר. צפירות עזות של האוטובוסים החגים סביב עמוד השיש ואשכולות-אשכולות של אנשים חלויים בהם. המדרכה מלוהטת בחום, באמצע החורף.

(57)

« والآن فإن الساعة قد بلغت الحادية عشرة وثمانى دقائق ، وأسير بمفردى فوق ذلك الكوبرى العلوى المغربى(*) ، أنجرف بين جماهير غفيرة ، خلف ظهورهم ، لم يكونوا جميعا فى صورة واحدة ، فممنهم من يرتدى ملابس أوروبية قديمة الى حد ما ، ومنهم من يرتدى الجلبياب أو العباءات أو الملابس الممزقة ومنهم من يرتدى بزة أنيقة ، ونفير صاحب لعربيات الأتوبيس التى تدور حول عمود من المرمر ويتعلق فيها الناس كالضائيد ، والرصيف ملتهب من الحرارة ، بالرغم من أننا فى منتصف فصل الشتاء » .

وفى مكان آخر يصف شوارع القاهرة المزدحمة نهارا فيقول :

טורים-טורים של מכוניות נעים במהירות על הגשר הגדול. פקק גדול , העצום שאינו נח לרגע. הכל מנסים לפלס להם דרך במלוא עוצמת המנוע. תוך בלימות חורקות. מימין ומשמאל. כנף מכונית אחת ניגפת בדלתה של מכונית שנייה. דופן שורטת דופן. מכוניות חובטות ומטלטלות זו את זו. הכל ממהרים ודומה — לשם המהירות בלבד הם ממהרים.

(58)

(*) يتصد الكوبرى العلوى فى ميدان التحرير بالقاهرة ..

فالقاهرة - في رأى الكاتب - جميلة بطبيعتها ، وهبها الله كل مكونات الجمال وفتنته . شمساً دافئة نهاراً ، رياحاً خفيفة لطيفة ليلاً ، طقساً نموذجياً ، ونبتت الكاتب لها بأوصاف سلبية - خاصة في فترة النهار - ينكب أساساً على سكانها . فبعض هؤلاء يفسدون جمالها ويلوثون نسيجها ويفتاون هدوءها ، ويهينون ما حبا الله به مدينتهم من فتنة وبهاء وسكينة بانارتهم للضوضاء واحداثهم للفوضى الضاربة أطناها في الشارع المصرى ، واللامبالاة التى يتسم بها قادة السيارات حيث يبدو كل منهم غير حريص على الآخر . ولذا فحين يخلد هؤلاء جميعاً الى النوم يعود للقاهرة بهاؤماً وهدوءاً وسحرها .

ويشير الكاتب بوضوح الى الأمن الذى يتمتع به زوار القاهرة من الأجانب ، وحرص الدولة على توفير الرعاية الكاملة لهم ، ويؤكد - فى هذا السياق - ان الشعب المصرى شعب مسالم وليس مستسلماً ، وأن حجم الجريمة التى ترتكب فى القاهرة يتضائل أمام الجرائم التى ترتكب فى أماكن أخرى كثيرة من العالم . فيقول بن نير ناعماً أهل القاهرة فى مكان آخر :

סבך הפנים של אנשי המקום. אורך רוחם. "אתה יודע", אמר לו אהרונ
בסליאה כמעט. כמלון. "אשה יכולה ללכת כאן לבדה בלילה ואף אחר לא
יגע בה. זה מפליא. אין כמעט מעשי פשע בקהיר.

(٢٧)

« الوجه البشوش لأهل هذا المكان (القاهرة) ، صبرهم وطول
أناتهم ، أنت تعرف - قال له « هاردوف ما يشبه اللغز فى الفندق
ان المرأة تستطيع أن تسير هنا بمفردها ليلاً ، فلا يمسخها أحد ، وهذا أمر
مدهش ، فليس فى القاهرة تقريبا أعمال إجرامية أو عنف » والحقيقة
أننا أوردنا قليلاً من كثير وصف الكاتب مصر فيه سلماً وإيجاباً ولكنه لم
يخرج عما أوردنا من نقاط الوصف .

القارى ، لهذه القصة يدرك — منذ الوهلة الأولى — افراط الكاتب
فى الواقعية ، فهو مثلا يذكر الأسماء الحقيقية لأعضاء الوفدين المصرى
والاسرائيلى فى مفاوضات السلام ، وكذا أسماء الصحفيين ورجال الاعلام
والأمن والنقل وغيرهم ، بل يذكر الأحداث التى مرت بها هذه المفاوضات
بواقعها الحقيقى .. وعلى أية حال فقد كان لهذه الواقعية أثر كبير فى
كثرة قرائه ومحبيه فى اسرائيل ، على اعتبار أنه يرمى الموضوعية
الخالصة رعاية تامة ، ويرصد التجربة الحية رسدا يقظا ، ويستوعب
ما فى الحادثة أو المشهد أو الشخصية استيعابا دقيقا^(٦٢) مما جعل
انتاجه خلوا من المؤثرات الداخلية لمواطنه وأحاسيسه فعدت قصته
رسما جامدا للشخصيات والمثلثات ، وتسجيلا لظواهر المجتمع
وتصاريف الحياة .

الفصل الثانى

مصر كموطن للميلاد

وضع اليهود فى مصر قبل الهجرة :

يشهد التاريخ — على امتداد عصوره واختلافها — أن مصر كانت ملاذا لليهود من كل اضطهاد ، وانقاذا لهم من الجوع والاملاق ، ولذا اتخذها نفر غير قليل منه مأوى دائما يلوذون بأمنه وسماحته ويتمتعون برغد عيشه ويبتطلون باحترام من الانسان لأخيه الانسان . وكون هؤلاء اللاجئين الى مصر طائفة لا بأس بها ، منحت كل حقوق المواطنة ، لمارسوا حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية دونما ضغط أو اكراه أو تضيق للخنق ، بل أن بعضهم شارك فى الحياة السياسية المصرية ووصل فيها الى مناصب رفيعة المستوى ^(١) .

ولقد شهد القرن التاسع عشر تطورا كبيرا للطائفة اليهودية فى مصر ، حيث فتحت الأبواب أمامهم للهجرة اليها والانخراط فى شعبها ، وقد ساعد ذلك على توسعهم فى بناء المدارس والمعابد ومختلف التنظيمات والانشاءات التى تخصهم دون غيرهم ^(٢) ، وقد نص الدستور المصرى الصادر عام ١٩٢٣ على ضمانات جديدة للطوائف والأقليات ، استفادت منها الطائفة اليهودية الى حد بعيد ، وخصوصا ما أقره الدستور لهم فيما يتعلق بمبدأ المساواة فى الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الأصل أو اللغة أو الدين ، بالإضافة الى منحهم حرية العقيدة والرأى والصحافة والتعليم ، كما كفل لهم تسير امورهم الشخصية طبقا لتقاليدهم وعلى يد زعمائهم الدينيين ^(٣) . وترتبطا على ذلك أحرز اليهود نجاحات ملموسة فى مختلف مجالات الحياة الدينية والعلمانية فأنشأوا

العديد من المعابد (*) والمدارس (**) والأندية والجمعيات الخاصة بهم .

تمتع اليهود في مصر بكل ذلك ، بينما كان يهود أوروبا مطاردين من مدينة الى أخرى ومن دولة لأخرى ، طوردوا في أفكارهم الدينية العنصرية ، وطوردوا في مؤسساتهم الاجتماعية والتجارية والثقافية والسياسية ، بل وصل الأمر الى أنهم كانوا يوضعون أحياء في أفران الغاز ، وأبت معظم دول أوروبا أن تمنحهم حقوق المواطنة الكاملة ، فأصابهم الذعر وهاموا على وجوههم من مكان الى مكان بحثا عن ملاذ أو مأوى .

ورغم ذلك كله ، مضت عجلة الزمان وهاجر معظم أبناء الطائفة اليهودية المصرية الى فلسطين ، وهناك سجلوا سيرة حياتهم وما ترسخ في أذهانهم ووجدانهم عن موطنهم الأول الذي ولدوا فيه ، فمنهم من ذكرها بالخير والتقدير ، ومنهم من ذكرها بالسلبية والتجريح ، وسواء حدث هذا أو ذاك ، فإن المحصلة النهائية هي أن مصر استمرت محافظة على مكانتها في الأدب العبري الحديث ، وبات العديد من أدباء العبرانية - وخاصة ذوو النسأة المصرية - يلقون الصوء على مصر وطبيعتها وحضارتها وتاريخها وأهلها وكل ما ينتمي اليها ، مصر كما عرفوها في طفولتهم وشبابهم .

(*) في احصائية ذكرتها عواطف عبد الرحمن في كتاب (الصحافة الصهيونية في مصر القاهرة ١٩٨٠) قالت ان اليهود أنشأوا في النصف الاول من القرن العشرين ما يقرب من تسعة وعشرين معبدا في القاهرة ، وعشرين معبدا في الاسكندرية .

(**) استفادت الطائفة اليهودية من رعاية الحكومة المصرية ، فأنشأت - عددا من المدارس - بدأها الاشكنازيم عام ١٨٩٥ ، وكانت برامج هذه المدارس اليهودية اوروبية خالصة ، ولغة التعليم الاساسية فيها هي الفرنسية ، وكانت الإنجليزية موضوعا اجباريا . ولذا كان خريجو هذه المدارس لا يعرفون اللغة العربية جيدا . كما اهتمت الطائفة بالتعليم الدينى وبت الفاهيم الدينية في البرامج لدراسية ، وذلك كي يتسنى للطائفة تشكيل اتجاهات أبنائها وضمان ولائهم لطائفتهم ودينهم في المقام الاول .

وبما أنهم من أن كل أديب من هؤلاء الأدباء يكتب انتاجه بشكل فردي ، إلا أنهم يلتقون جميعا حول هدف واحد هو البحث عن الأصل والجذور ، ازدواجية الوطن — التي يعاني منها المجتمع الاسرائيلي أدت بالكثير من الأدباء والكتاب العبريين أن يتحدثوا بأسهاب — في انتاجهم الأدبي والعلمي — عن موطنهم الأول الذي هاجروا منه، وكانهم في حلبة صراع أو تنافس ، أيهم يبين موطنه الأصلي بصورة أكثر وضوحا . على أنه من الحق أن نقول أن الأوصاف التي ترد في مثل هذه المؤلفات لا تنقسم دوما بالاجابية ، بل أن السلبية أحيانا ما تسيطر عليها وتشكل عمادها الرئيسي ، وربما يكون سبب ذلك محاولة كل أديب — من أدباء السلبية — اثبات أنه لاقي من ادمت والاضطهاد أكثر مما لاقي غيره ، أو أنه خاض الطرق الوعرة ثابتا على دينه وعقيدته ومبادئه متحمدا أشق الصعاب ليصل في النهاية الى أرض الآباء فيتوهمون دور بطولة في قصة لا وجود لها ولا أساس !! وعلى أية حال فلا يكاد يكون هناك أديب من أدباء العبرية في العصر الحديث — باستثناء جيل ما بعد ١٩٤٨ — غير حريص على إبراز مواطن القوة أو الضعف في موطنه الأصلي ، وأصبح هذا الأمر طبيعيا ومنتشرا في المجتمع الاسرائيلي بشكل كبير حتى اليوم .

والنموذج الأول الذي سسنتناوله في هذا المجال هو كتاب راحيل مكابي التي ولدت في مصر وعاشت فيها طفولتها وشبابها ، والكتاب بعنوان «מִצְרַיִם» «مصر النني لي» ، وهو كتاب يتجوأ مكانة رفيعة في تصوير مصر تصويرا ايجابيا ينبىء عن حب الكاتبة لمصر وتبأهيا بكل ذرة من ثراها^(١) ، فقد أسهب هذا الكتاب في وصف مصر من الاسكندرية شمالا حتى أسوان جنوبا ، فلم تفارق الكاتبة كبيرة أو صغيرة — مما صادفته على أرض مصر — الا وصفته مدحا وثناء . وحين ينتهي القارئ من هذا الكتاب يتبين أن الكاتبة لم تكن لتخط هذا الكتاب الا لكي تتباهى وتفخر بأرض ميلادها في مواجهة الآخرين المهاجرين من بلاد أخرى ، انطلاقا من التيار السائد في الأدب العبرى منذ وقت غير قليل والذي يتحدث فيه كل فرد عن أرض ميلادهم وذكرياته المنحوتة في وجدانه تجاهها .

ونحن لا يخالفنا شك في أن راحيل مكابي تفخر — في كتابها — بأصلها المصري وبالفرة الطويلة التي عاشتها بين الشعب المصري الذي وصفته « بالنبل وطيبة القلب والمقدرة الهائلة على الصبر وتحمل الكاره » (٥) . لقد تتبعت راحيل مكابي — في صدر كتابها — سيرة أنسابها منذ قدوم جددها لأبيها إلى الإسكندرية هربا من اضطهاد كان يحيق باليهود في شرق أوروبا ، وكذلك منذ قدوم جددها لأمها من فلسطين إلى الإسكندرية فوارا من تكيل مارسه جنود الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت على يهود فلسطين ، وقد كلاهما إلى مصر « فأمنتهم من كل اضطهاد أو خوف وأحاطتهم بانسانية الانسان » (٦) . وعاشت راحيل مكابي بين أسرة ميسورة الحال تتمتع بالرفاهية ورغد العيش ، واستطاعت أن تعبر تعبيرا دقيقا عن حياتها في مصر ، بأسلوب بسيط خال من التعقيدات ، تحدثت عن الوطنية المصرية قائلة :

..... בכל-אוסן זוכרת אני
הסגנה עצומת בה נשחטנו לרחוב המונים שוצים, חמומי-מוח,
קוטצים ומולטים ועקות גרוניות "יחיא סעדו" — הם נשארו
בורעותיהם את חמונתו של גלול, לא אדע בבירור אם היה
זה ביום ששולח לחם-החירות הישיש לאי מישל, או שמא
בחוריתו.

(٧)

« وعلى أية حال فأننى أذكر مظهارة عظيمة تدفقت فيها جماهير
غفيرة متحمسة إلى الشوارع ، وهم يهرعون ويهتفون « يحيا سعد ! »
وقد رفعوا بأذرعهم صورة زغلول . ولكننى لا أعرف بوضوح ان كان
ذلك يوم ان أرسله المناضل العجوز إلى جزيرة سيثيل أو عند عودته .
أما عن جمال الإسكندرية فقد أسهبت فيه الحديث ، وتغننت بتعائش
مختلف الجنسيات فيها وذلك « لسعة قلبها وصدرها » ، وتحدثت عن
طبيعتها وبحرها وشواطئها وحدائقها وهوائها وسمائها ومينائها
وأهلها .. فقالت عن بحر الإسكندرية :

איתן הסבע הראשון. הראשי השולט בתודעתי מימי הילדות,
 היה הים. ריחו, משביו המלווים, הגיעו לרבעים המרוחקים
 ממנו ביותר, אך אנו מעולם לא היינו רחוקים ממנו באמת.
 ים רוגע, חלק, שקוף, בחיריבהיר, ים כחול שעל גליו הלבנים
 בגיל צעיר מאוד טבלנו בו, למדנו להכיר ולאהוב את חוסו, את החול

(A)

أولى قوى الطبيعة الرئيسية التي خالجت شعوري منذ الطفولة
 كان البحر ، نضاه ، هواؤه الملحي الذي كان يصل إلى أحياء بعيدة عنه
 للغاية ، ولكننا لم نكن بعيدين عنه في الحقيقة .. بحر هاديء أبيض ،
 شفاف ، صاف ، للغاية ، بحر أزرق ينعكس على موجه الأبيض ضوء
 الشمس بقوة .. وفي سن صغيرة جدا سبحنا فيه ، وتعلمنا أن نعرف
 ونحب شواطئه ورماله .

وعن حديقة أنطونيا دس في الاسكندرية تقول :

אילנותיו גבוהים לאיך שיעור. דשאיו המטופחים לא נועדו
 לשחק ולחתגלגל עליהם. עם זאת זוכרת אני גבעה אחת —
 ודאי מלאכותית — עוטח דשא. כראשה התנוסס פסל שיש לבן,
 מאוחם ססלים שאיכלסו את כל הגן. היטב זכור לי גילגול
 מלמעלה עד למטה, וריח הדשא המשפר. נדמה לי שכבר אז
 הכרתי את כל השיחים וסוגי הדשא בשמותיהם. איני יודעת אם
 מאז ועד היום ראיתי גנים שבהם לא חתגלגל אף עלה אחד
 כמוש. — אין ספק שידיים למככיר עמדו לרשות חטיפוח חזה (א)
 שאין לו צד.

« أشجار عالية بلا حدود ، أذكر أن عشبها الذي غرس بعناية لم يكن مخصصا لعب أو التدحرج عليه .. وأذكر مع ذلك تلك الهضبة — التي ربما كانت صناعية — وقد كستها الأعشاب . أذكر أنه كان عند مدخلها تمثال مرمرى أبيض ، واحد من تماثيل عديدة انتشرت في جنبات الحديقة . أذكر التدحرج من أعلى الى أسفل ، وأذكر شذى العشب الذي يستأثر بالألباب .. وخيل الى أنني قد عرفت آنذاك كل النباتات وأنواع العشب بأسمائها .. اننى لا أذكر أنني شأهت منذ ذلك الوقت وحتى الآن حديقة لا تتدحرج فيها ورقة ذابلة واحدة من أوراق الشجر . ولا شك أن أياد كثيرة كانت وراء هذه الرعاية اللأنهائية .

وبعد أن وصفت الكاتبة كل جزئية من جزئيات الاسكندرية وأفاضت فيها بالمدح والثناء نجدها تقول عن الاسكندرية كلها .

משתתחתי לקרוא ספרים ידעתי שאין במלוא תבל כלה מקום
כאלכסנדריה זו, הידועה לי בלבד.

(١٠)

« منذ أن بدأت أقرأ كتباً عرفت أنه لا يوجد في الدنيا كلها مكان مثل الاسكندرية التي أعرفها » ..

واذا كانت راحيل مكابي قد أفاضت في وصف الاسكندرية بكل ما فيها باعتبارها مهدها الأول الذي تعلمت فيه كل شيء ، فانها تحدثت كذلك عن مصر ومدنها وقراها ، فقالت عن « نيل القاهرة الساهر » :

מביקורים ראשונים בקאהיר זכורים לי היאור החבידיים,
זרמו העצל והרוע, מימי העכורים, שעליהם נישא שסע סירות
גדולות ואטיות, בעלות-מסרשים.

זוכרת אני את שסעת ירק-הגנים שעל גדות היאור בקאהיר
ואיים גסועים בו, * * * * * את כל יופיו של הנהר עתידה
הייתי לראות לאחר שנים, כאשר ביקרנו בלוססור ועד אסואן
סלעים עצומים ושחורים, עצים מוורים,

(١١)

من الزيارات الأولى للقاهرة أذكر النيل وفرعيه المتسعين ، أذكر تدفقه الهادئ البسيط ، ومياهه العكرة التي تحمل فوقها العديد من القوارب الشراعية الكبيرة التي تتسم بالبطء .. أذكر حدائق خضراء كثيرة على ضفاف نيل القاهرة وفي الجزر التي تقع بداخله ؛ لقد لمست جمال هذا النهر بعد ذلك بسنوات حين قمنا بزيارة للأقصر وحتى أسوان صخور هائلة سوداء ، وأشجار غريبة »

ويتدفق حب راحيل مكابي لطبيعة مصر وبهاائها فتنسب الصور الابداعية وتنتشر بين كل ثنايا القصة حتى قالت :

עוז מגיל צעיר, כמדומה, עוז חינה בי מחושט חסב, חצמח
המרח. משום שארץ זו בה נולדתי נתברכה בטבע שוטע
(מוריק,

(١٢)

« منذ سن صغيرة كما يبدو ، غمرني الاحساس بحب النباتات والزهور ، ذلك أن البلد الذي كنت أعيش فيه ينعم بالطبيعة المتدفقة الخضراء » .

أما الأمثلة التي تدل بها الكاتبة على رغد العيش ورفاهية الحياة التي تمتعت بها أثناء إقامتها في مصر فهي منتشرة في كل ثنايا القصة ، بدءاً بالقصر الفخم الذي كانت تعيش فيه ومروراً بالمدرسين الذي علموها مختلف اللغات الأجنبية (الانجليزية والفرنسية واليطالية) والموظفين القائمين على ادارة أعمالهم وشؤونهم التجارية ، والسائقين والمربيات والوصيفات والخدم وغيرهم من العاملين داخل القصر ، ونهاية بوصف « كلبها » الذي كان يعيش هو الآخر في رغد حتى قالت عنه راحيل مكابي :

דודתי גבריאלה חיתה גושאחו בתוך ארנק לאחר
הארותה היו מגישים לו בכבוד ובחיבה שוקולד

(١٣)

« كانت خالتي جبرائيلًا تحمله داخل حقيبة . وبعد الوجبة كانت
تقدم له بكل احترام وحب شيكولاتة » .

وتقول في مكان آخر :

דומה שאפילו כוס מים לא נהגנו ליטול בעצמנו. הנוקס לכוס
מים היה מצלצל בפעמון ומבקשו מידי הסודאני, אשר בצעדים
בלתי-נשמעים היה צץ מתאום בחדר, מלוא קומתו האפלה
ובגליפתו הלבנה. החגורה חגורה אדומה, כאשר בידו טס כסף
ועליו כוס מים מהבילי-ציגה.

(14)

« ويخيل الى انه حتى كوب الماء لم نتعود أن نحضره بأنفسنا .
ومن كان يريد كوبا من الماء كان يضغط على الجرس ويطلب السوداني ،
الذي يظهر فجأة في الحجرة ، بخطوات غير مسموعة ، بقامته السوداء
المنتصبة وجلبابه الأبيض وحزامه الأحمر ، ويحمل في يده مسينية
فضية عليها كوب من الماء ينبعث منه بخار بارد » .

وهكذا عبرت راجل مكابي عن آحاسيسها ابان الفترة التي قضتها
من حياتها في مصر ، تلك الفترة التي أحبت فيها أهلها وتعاطفت معهم
ومع قضائهم ضد المستعمر الأجنبي فقالت :

בחדרמניות הלא נדירות של ביקורים בכפרים המצריים עם אבא, מרד נעורי היה
גואה בתוכי כאשר נחו עיני על מעדרים אלה, שבידי הפאלחים היחפים, בצעדם
באיטיות בטיס הכוצי והדביק. אם לא הצליח שלטון המהפכה המצרית לזקוף את קומתו
של הפלאח הזה מעל למעמדו ולשלפו מתוך טיס שדהו ומתוך ביצות האורז ושועבוד
קטיפ הכותנה - לשווא כל המליצות. ראיתי כפר שלם, שקוע בעבודת שתילת האורז,
גב כפוף, פנים חסרי חכמה, עיניים עטורות זבובים. בלבי הייתה איתנה החחלטה,
לא איתנה מרווחים שנסחטו מאלה. לא האמנתי שהם אוהבים להתגורר בבקעות חסין
חסרות החלונות, יחד עם חמורם ופרתם, כאשר התרנגולות מדלגות על חטף. לא
האמנתי שהם בוחלים במים זורמים וחפצים דוקא ב'ברכה' שבסבור הכפר, במימיה
המרוטטים תסמסים לנסילת ידיים, לשחייה, לרחצה ולכל יתר הצרכים. אף על פי
כן הייתה רוחות בין האירופים סברא ש'הם אוהבים לחיות כך'.

(15)

« وفى مناسبات غير قليلة وفى زيارات للقري المصرية مع أبى ، كانت ثورة الشباب تنتفض فى داخلى حين تقع عيناي على تلك المعاول والفئوس التى يمسكها الفلاحون الحفاة . وهم يخطون ببطيء نحو ذاك الطين الناعم اللزج . . . إذا لم تنجح سلطات الثورة المصرية فى رفع هامة هذا الفلاح المصرى وانتشاله من هذا الطين ومن وسط جذور الأرز وعبودية جنى محصول القطن ، فان كل بلاغة أو فصاحة تصبح ضريا من ضروب الهوى والعيب . . . لقد رأيت قرية كاملة غارقة فى العمل فى زراعة الأرز ، ظهور مدينة ، وجوه تفتقد الى التعبير ، عيون يملؤها الذباب . وكان القرار فى داخلى قويا ، ألا أستمتع بالأرباح التى ابتزت من أولئك . لم أصدق أنهم يرغبون السكى فى أكواخ طينية بلانوافذ ، سويا مع حمارهم وبقرتهم ، بينما يقفز الدجاج فوق الأطفال . . . ولم أصدق أنهم لا يحبون المياه المتدفقة السارية ، أو أنهم يرغبون فى مياه تلك البركة التى تتوسط القرية ، مياه راكدة تستخدم فى غسيل الأيدي وفى الشرب والاستحمام وسائر الحاجات والأشياء . . وبالرغم من ذلك فقد ساد بين الأوروبيين اعتقاد مفاده أنهم لا يحبون أن يعيشوا هكذا . . . »

ولم تكن أنداس هارثيل داجان ¹⁶אנדאס הארצל דאגאן أقل حبا لموطن ميلادها الأول مصر من راحيل مكابى بل انها تغنت فيه شعرا ، ونظمت له ديوانا منفصلا تحت عنوان ¹⁷קהירית קסידה قاهرة (١٧) ، يفيض شعورا مرهفا وشوقا ملتجيا وينساب بذكريات الطفولة والشباب التى ترسخت فى وجدانها عن مضر ومدنها وأحيائها وشوارعها وأزقتها ، فقد استلهمت ديوانها بالحدِيث عن مصر بصفة عامة فقالت :

וּזְכֹר הָאָרֶץ הַהִיא
לְמִשְׁמֶרֶת
אֵידִי הַיִּינוּ כְּחֹלְמִים

מרב טעם התקמר
הדבלה והשקנים
צל סה.

איה אבי
לא מלאו לבו
לנוד מארצו,
מולדתו —
בית אביו.

עד שאכלה
נקשו בנענועיו.
שוכן עפר אבי
בארץ ההיא

(١٨)

ذكرى هذا البلد
حفظناها

كيف كنا كالحالين
من شدة حلاوة النخيل
والعجوة والزيتون
حين يلامس الفم
كيف، لم يجد أبى
الجرأة
ليهجر بلده
وطنه
بيت أبيه
حتى بادت

نفسه حنيناً الى الوطن
ان أبى يرقد اليوم تراباً
فى ذاك البلد

فهي تذكر صراحة أن أباهما رفض أن يهاجر من مصر باعتبارها وطنه
وبلده وذكرياته . وأنه ظل فيها حتى وافته المنية ووري جسده ثراها ،
ولذا فإن ارتباطها بمصر هو ارتباط دائم لأن أباهما قد بات يشكل جزءا
من ثرى مصر . ثم قرضت أندا قصيدة أخرى تحت عنوان
القاهرة ، عبرت فيها عما يعتمل في وجدانها من حب لها فاضت ثناء
وتقريزا لمدينة العاصمة حيث قالت فيها :

עיר ילדותי האחרת
עיר אבי הוחרת
את המקור
לאשי הנם לרגלי המקור.

בעירי הארמונות נוטסים
דבש סרובים ומקנסת שושנה
נהסקטאות פונסות ילדים

(١١)

مدينة طفولتي الأخرى
مدينة أبي التي سأذكرها
حتى الغد وأذكر
رأسي التي نامت عند جذوع النخيل
في مدينتي القصور تنقطر
شهد الخروب ومربي الورد
والأزقة التي تجمع بين الأطفال

וּפִי צְמִידָה דְּהַדֵּב דְּהַר שָׂרַע הַזָּהָר , תִּשְׁפֹּן נִשְׂאָה מִצֵּר בַּלְּפִזְיָא
 וְהַתְּרַמֵּן בְּנָמוּסֵי הָאֲחֻלָּה וּמַחֲפִזְתֵּיהֶן עַלִּי תַעֲלִימֵן דִּינֵיהֶן וּפְתִיחוּ :
 הַיָּהּ בְּנִיחֵיהֶן רְעוּלֹת פָּנִים
 אֲמִרְוֹת בְּרָקָה
 אִי־שָׂאֵלָהּ

(40)

בְּרַחֲבֵי דְּהַר
 בְּחֶצֶר בִּיחֵי־הַפְּנִיחַ
 עַץ גִּיבָה נֹתֵן בִּיחֵי —
 הֵא אֵן בְּנֵיהֶן יִרְתִּידֵין הַחֲבָב
 וְתִזְלֵן בְּרָקָה
 אֵן נִשְׂאָה הַלֵּל
 פִּי שָׂרַע הַזָּהָר
 פִּי פִזָּא הַמִּבְעֵד
 שִׁיבָה גִּוָּפָה תִּרְסֵל שִׁזָּהָה

בל אנה תשיר פי צמידה אחרת אל אמן היהוד וחריבתם פי
 מפרסת שגורםם הדנייה חין כאנו יעישון פי القاهرة , מפי
 צמידה בענואן דְּהַדֵּב עֲבִסִּיהֶּן פִּי שָׂרַע הַעֲבָסִיָּה תִּפְתָּח אֲנֵדָּא :

בְּרַחֲבֵי
 אִם תִּבְנוּן אֶחָ לְבָרָא אֶל
 רַחֲבֵי עֲבִסִּיהֶּן
 וּמִקְשִׁיב לְקוּלֹת הָעוֹלָם
 מִשְׁכֻּנַת הַיְּהוּדִים;
 אִם בְּחֶצֶרֹת וּבְפִתִּים תִּתְּבֹנוּ,
 מִבְּחִין בְּאֻמִּיּוֹת הָעִבְרִיּוֹת
 הַפּוֹרְחֹת עַד שִׁיט־הַהַדֵּס
 הַשׁוֹכֵן בְּטַח בְּגִזָּה
 בִּיחֵי־הַפְּנִיחַ שְׂפָסְקִינִי,

(41)

ستعرف
إذا اتجهت بقلبك الى
شارع العباسية
وأصغيت للأصوات الذنى تتردد
من حى اليهود
وإذا أمعنت النظر فى الأفنية والمنازل
سوف تميز حروفا عبرية
ترمر حتى شجرة الآس (نبات عطرى)
اللى تقف آمنة فى حديقة
المعبد بالسكاكينى

ولم تكتف أندأ هارئيل داجان بالتعبير عن ذكرياتها وحبها لموطنها
الأول بقرض الشعر وتضمينه الصور الأدبية الفنية ، بل انها رصعت
ديوانها بالعديد من الصور الفوتوغرافية لأحياء القاهرة ومعالمها المختلفة
اللى تعبّر عن تاريخها الطويل وخضرتها اليانعة ، ومروجها المزهرة ونيلها
الخالد وأهرامها الشامخة وماذاؤها العائلية ...

وعلى النقيض مما ورد فى قصة راحيل مكابى « مصر التى لى »
اللى تفيض بالعديد من الصور الايجابية ، نجد قصتى جاكين كاهانوف (٢٢)

המדינה והעنوانה בדין המולד فى مصر « פסח במדינת

« الفصح فى مصر » (٣٣) ، يكتنفهما العديد من الصور السلبية لمصر .

وجاكين هذه ولدت فى القاهرة عام ١٩١٧ ولم تغادرها الا عام
١٩٤٠ ، وقد ضمنت قصتها كل ما مر بحياتها منذ نعومة أظافرها حتى
بلغت مرحلة الشباب ، وفى خضم ذكرياتها الخاصة تحدثت عن العادات
والتقاليد التى تتسم بها مدينة القاهرة فى المواسم والأعياد ، كما أبرزت

— فی صدر قصنها الأولى — ذلك التفاوت الكبير بين طبقات المجتمع المصري آنذاك، وأشارت الى أن الغالبية العظمى من المواطنين كانت تعاني شظف العيش وقلة الموارد . بينما تتركز الثروات الأساسية في أيدي حفنة قليلة من الأتراك والانجليز ، فهي تقول :

..... חשתי שערבים מרובים יותר משאר בני-אדם, ושחם עניים : הם היו משרחים, רוכלים, אביונים הסוסטים זרועות שאין להן ידיים, רגליים שאין להן כפות, עיניים שאין בהן מאור, הקוראים אל אללף שיעורר את חבריית לתת להם גרוש של-כלום, וילדיהם היו מחסטים בסחף-תאשפה למצוא בהם דבר למאכל. הערבים העשירים היו פחוות, אך הללו חורכים היו בעצמם.

(32)

« شعرت أن العرب أكثر عددا من سائر البشر ، وأنهم بؤساء ، فهم خدم أو باعة متجولون أو متسولون يمدون أذرعة مقطوعة الأيدي وأقداما منزوعة الألف ، عيونهم غير مبصرة ، يدعون « الله » لكي يحث الناس على إعطائهم قرشا لا يحتاجونه . كما كان أبناؤهم يفتشون في سلال القمامة عليهم يعضون على شئء يأكلونه ، أما العرب الأغنياء فقد كان عددهم أقل ، وهؤلاء كانوا من الأتراك بشكل خاص » .

وبالرغم من أن الكاتبة عربية النشأة والأصل — حيث ولد أجدادها في تونس والداها في العراق وعاشوا جميعا في مصر — إلا أنها تنكرت لكل ذلك ، فهي تقول أنها كانت ذات مرة في أحد غنادق الاسكندرية ، والتقت معها سيده انجليزية وسألته عن جنسيتها فلم تستطع الاجابة :

..... ידעתי שאינני מצרייה בדומת לערבים, אך ידעתי גם כי כושית
היא לאדם שלא ידע מהו.

(33)

« أدركت أنني لست مصرية شبيهة بالعرب ، ولكنني عرفت أيضا أنه من العار على الانسان ألا يعرف ما هو »

والغريب أنها حين روت لأמהا ما حدث عنفتها الإله وقالت :

שכאשר בני-אדם שואלים אותי שאלה כזאת עלי לומר שאני

(34)

אירופית. סבלתי,

« عندما يسألني أي إنسان سؤالاً كهذا يجب أن أقول أنني
أوروبية » .

ثم تستلهم الكاتبة أوهايم الماضي البعيد وما ترسخ في وجدان
بنى إسرائيل نجاه مصر عبر العصور ، فجمال نهر النيل لا يكمن في طبيعته
وانسياه بين أرجاء الوادي وما يحيط به من خضرة الى غير ذلك ، ولكن
يكمن في أنه يذكرها بقصة موسى وصراعه مع فراعنة مصر ، فهو النهر
الذي عثرت فيه ابنة فرعون على الصندوق الذي كان موسى قد وضع
فيه .

• שיחקנו ליד הנהר הזה שבו מצאה בת־פרעה את משה, ובמקום שאולי
זכר נולד זה העתיד להיות משה, פעוט הייטן בין קני־הסוף.

(٢٧)

« لعبنا بالقرب من هذا النهر الذي عثرت فيه ابنة فرعون على
موسى ، وفي ذلك المكان الذي يحتمل أن يكون قد ولد فيه من أصبح
— بعد ذلك — مخلصاً ، عثرت عليه غلاماً نائماً بين سيقان البردي » .

ثم تنتقل الكاتبة فجأة من الماضي الى الحاضر ، ومن موسى « قائد
الخلاص القديم من مصر » الى « المسيح المنتظر » الذي سيقود عملية
الخلاص الجديد ، وتربط بين ذلك كله وبين الوضع الاجتماعي البائس
للشعب المصري فتقول :

המשה יביא
את הזמנים שבהם לא יהיו נוצרים; ולא מוסלמים, ולא יהודים ולא אנשים
לבנים, שחומים או ורודים, ולא יהיו עוד נסיכים החופזים ועוברים במכוניות
גדולות ואדומות, נסיכים שקרום עשרם העבה הקשה את לבם עד כדי כך
שאינ הם יכולים לא לראות ולא לשמוע ולא להריח את העניים המשתופפים
ליד שערי בית־החולים קצרי־אל־עיני, מקום שהאוויר מלא את צחנת סצעיהם.
יחפיר־רגל יוצאו הנסיכים לקראתם, ובעלי־המומים, החולים, העניים והנדכאים
יקומו ויסלחו ורמא להם.

(٢٨)

« سيكون زمن المسيح خلوا من النصارى والمسلمين واليهود ، وخواوا من أشخاص لونهم أبيض أو أسود أو خمري : وخواوا من أمراء يسرعون بسياراتهم الفارهة الحمراء . أولئك الأمراء الذين يكون ثراؤهم غشاوة سميكة فوق قلوبهم ، غشاوة لم تمكنهم من أن يروا أو يسمعوا أو يشتموا أولئك البؤساء انواقفين أمام أبواب مستشفى قصر العينى ، ذلك المكان الذى يمتلىء الجوف فيه برائحة جروحهم الكريهة ، سيخرج الأمراء (فى زمن المسيح) الى الحفاة والمشوهين والمرضى والفقراء المطحونين ، وسيعتذرون لهم ويعالجونهم ... »

فالقارىء لقصتى جاكين كاهانوف يدرك تماما مدى سيطرة الفكر الدينى اليهودى عليها ، وعلى مجريات الأحداث داخلهما ، فهى ترى أن خلاص المصريين من الانجليز والأتراك — وهم طبقة الأمراء والنبلاء فى الفقرة السابقة — لن يتم الا عن طريق المسيح المخلص الذى سيأتى فى زمان لا فرق فيه فى الجنس أو اللون أو العقيدة ، بالإضافة الى حديثها عن الموت وفكرتى الاختيار والخلص وبعض المفاهيم الدينية الأخرى .

والقصة الثانية وعنوانها : « الفصح فى مصر » لم تخرج تقريبا عن الاطار السابق ، فالتعنوان ذاته يتعلق بعيد دينى يهودى تتخلله طقوس خاصة وتكتنفه أفكار معينة ترجع الى عصر خروج بنى اسرائيل من مصر تحت قيادة موسى . ويتخلل وصف طقوس الفصح عند يهود مصر بعض التساؤلات الدينية ، تطرحها الكاتبة اعتقادا منها بأن هذه التساؤلات تهمين على عقول الأطنال وألبابهم فى سنهم المبكرة ، وهى تساؤلات تتعلق بالآلهة والأنبياء والخير والشر والبعث والفناء وغير ذلك ، وترد جاكين كاهانوف على هذه التساؤلات من منطلق رؤيتها الخاصة المتأثرة — الى حد كبير — بالأفكار العينية اليهودية . ففى حوار مع صديقتها الدائمة « حداريا » حول الترانيم التى يردددها اليهود فى عيد الفصح ، روت جاكين لصديقتها ما يرددده اليهود — فى هذه المناسبة — خاصا بمصر والمصريين ، والفراعنة وما فعلوه مع موسى واليهود ،

ומה וوصفت به مصر من أنها « أرض العبيد » فتدّ عليها « حداريا »
الصغيرة قائلة .

.....
"רא אללתי", אמרת, "איך אפשר ? אני
בטוחה שאבא שלי ואבא של אבא שלי, ואף אחד מאתנו לא היה עושה דברים
כאלה לך או לאבא שלך או לאבא של אבא שלך. אני אוהבת אותך, את חברה
שלי!"

(39)

« يا الله . قالت ، كيف يمكن هذا ؟ اننى راثقة من أن أبى وجدى
لم يفعلوا ذلك ببل لم يفعل أحدنا هذه الأمور لك أو لأبيك أو لجسدك ،
اننى أحبك فأنت صديقتى .. »

ביד أن الكاتبة تؤكد وتكرر ايمانها بما ورد في هذه الترائيم ، ثم
تؤكد أن « فلسطين هي أرضهم الموعودة » ، ومرة أخرى ترد عليها
حداريا الصغيرة قائلة :

.....
"אבא שלי עלה לרגל
למכה וכאשר הוא מתפלל הוא פונה אל מכה, אבל בכל זאת מצרים היא
ארצו. אז, כמובן, את העלי לרגל לפלשתינ, כיוון שבני מוסה שלכם הוליד
אתכם לשם. פלשתינ היא מכה שלך, וככה זה בדת, אבל מצרים היא הארץ
שלך, ואנחנו חסיד גהיז חברות טובות".

(40)

« لقد سافر أبى ليؤدى فريضة الحج ، وهو حين يصلّى فانه يجعل
مكة قبلته ، ومع ذلك كله فان مصر هي وطنه . وهو ما ينطبق عليك حين
تذهبين الى فلسطين كي تؤدى فريضة الحج ، فعلى القبله التى اتجه
اليها نبيكم موسى معكم ، ففلسطين بالنسبة لكم هي مكة ، وهذا هو الدين ،
ولكن مصر هي وطنك وسنظل دوما صديقتين طيبتين » .

وكان طفلة مصرية صغيرة منحت بياناً كفانا مؤونة الرد أو التفنيد،
نبته صغيرة عبرت عن روح شعب بأسره ، روح سمحة عبرت عن تاريخ
طويل — طول الزمان — فيه تعايشت الأديان على اختلافها على ثرى
مصر فى حب وأمن وسلام ، وبالرغم من ذلك كله ترد « جاكين » عليها
مقائلة :

דבריה של חדריה היו דברים של טעם, ובכל זאת, ביבא לי לבי שהענינים
אינם פשוטים כל כך. אנחנו נבחרנו והבטיחנו לנו שנחזור לארץ היעודה.

(٣١)

كانت كلمات حداريا ذات معنى ، وبالرغم من ذلك ، فقد أنبأنى قلبى
أن الأمور ليست سهلة الى هذا الحد . فقد وقع علينا الاختيار وتلقينا
وعدا بأن نعود الى أرض الميعاد !

أما رواية اسحق جورمزانو جورن^(٣٢) יצחק גורמזאנו ١٦٦٢

وعنوانها קיץ אלכסנדרוני « صيف اسكندري » (٣٣) .

فانها لا تدور حول السيرة والتراجم الذاتية كما فى قصص كل من راحيل
مكابى وجاكين كاهانوف ، وانما هى رواية ابداعية تتضمن مختلف
الماتومات الفنية للقصة من حيث الحكمة والشخصيات وتطور الحدث
فهى تدور حول حياة الأسر اليهودية فى الاسكندرية فى العقد الرابع
من هذا القرن ، وقد خلع الكاتب فيها على هذه الأسر صفات وخصالا
تنطوى على قدر كبير من الثراء ورغد العيش ، فمن بين هذه الأسر تبرز
أسرة هوايتها سباق الخيول ، ويحاول رب الأسرة أن يحقق فى ابنه
طموحات لم يستطع تحقيقها فى نفسه ، ويعانى الابن من ذلك معاناة
قاسية ثم تتطور أحداث الرواية ويقف الابن فى مضمار السباق متنافسا
مع « دافيد » القادم من صحراء ليبيا ، وهو فتى أسود اللون محيف
القوام امتلأ وجهه بالتجاعيد .. والرواية لم تخل من الثناء على جمال

المنطقة التي تدور فيها الأحداث . حتى أن الكاتب يصف الاسكندرية بأنها
 ملهمته التي تؤجج في وجدانه الخيال :

אוחה אלכסנדריה שדעתי בילדותי, אלכסנדריה זו המזינה את
 דמיוני יותר מעשרים שנה, מזמן שיצאתי ממנה בעשרים ואחד
 בדצמבר אלף תשע מאות חמישים ואחת, ואני אז בן עשר.
 (٣٤)

« تلك الاسكندرية التي عرفتني في طفولتي ، الاسكندرية التي
 أوجت خيالي أكثر من عشرين عاما ، منذ أن خرجت منها في الحادي
 والعشرين من ديسمبر عام ألف وتسعمائة وخمسين ، حين كنت في العاشرة
 من عمري ٠٠ »

وحيث يحكى عن صيف الاسكندرية يقول :

..... , לקשר על קוץ באלכסנדריה אני
 אומר : נופש, מירוצי סוסים, שיט ממרשיות, דיג קיסודיים, זלי-
 לת סרטנים, רומנים אפלטוניים (ולא-כל-כך אפלטוניים), סקקי-
 תנועה, סקקי-תנועה, סקקי-תנועה, צמירות, צמירות, צמירות של
 מכונות ומכונות ועוד מכונות כולן נזהרות אל ה"קורניש",
 אותו רחוב המשקיף אל הים, שהיו חנופשים שוכרים שם ציפור
 נים כדי שלא יהיו אנוסים להחפש במלתחות הציבוריות

(٣٥)

« حين أحكى عن صيف الاسكندرية فاننى أقول : استجمام مسابقات
 الخيول ، الملاحة بالمراكب الشراعية صيد قنقذ البحر ، التهام الكابوريا ،
 الروايات الأفلاطونية وغير الأفلاطونية ، النفير ، النفير ، وسيارات
 وسيارات وسيارات ، كلها تتدفق نحو الكورنيش ، ذلك الشارع
 الذى يطل على البحر ، وكان المصيفون يستأجرون فيه عشا لى
 لا يكونوا مضطرين لخلع ملابسهم فى الحجرات العامة لخلع الملابس ٠٠ »

ثم يأتي وصف القاهرة والاسكندرية معا عن طريق الحوار الساخن والمتعب بين طليز أحدهما قادم من القاهرة ليقضى فترة الصيف في الاسكندرية ، والثاني من الاسكندرية ذاتها ، وكل منهما يحب مدينته حبا شديدا ، ومن خلال ثناء كل منهما على مدينة وهجاء المدينة الأخرى أظهر الكاتب محاسن المدينتين وعيوبهما في آن واحد :

.....
 لسألكم النجاشية، أيزو "شנה" יותר، קאירו או אלכסנדריה.
 כנגד טענתו של ויקטור שקאירו היא תבירה, אומר רובי שאלכס-
 סנדריה היא הנמל השני בגדלו ביסיתיתוכן ותגדול במזרח-
 התיכון. ואם, כדברי ויקטור, קאירו גדולה יותר ומספר תושביה
 רב יותר, "אלכס", כדברי רובי, "יותר תרבותית ו" ויקטור מוחה
 בהתמרמרות, דבר מפורד הוא מעיקרה, אבל רובי בשלו: "חוץ
 מזה, באלכסנדריה יש ים, ומה יש בקאירו? מדבר?" "פיראמי-
 דות! אחד משבעת מלאי-עולם!" "וכאן המגדלור
 גם זה אחד משבעת מלאי-עולם!"

(١٦)

«ومن هنا كان الطريق المختصر للسؤال الابدی: أي مدينة أكثر قيمة القاهرة أم الاسكندرية ؟ فردا على مزاعم فيكتور بأن القاهرة هي العاصمة ، يقول روبي أن الاسكندرية هي ثاني موانئ البحر المتوسط حجما ، وأكبر موانئ الشرق الأوسط . وإذا كان فيكتور يقول ان القاهرة أكبر وأن عدد سكانها أكثر كثيرا ، فإن الاسكندرية — طبقا لكلام روبي — «أكثر تحضرًا» ، وفي الاسكندرية يوجد بحر ، فماذا يوجد في القاهرة ، صحراء! «أهرامات : أحد عجائب الدنيا السبع ! فهنا الفخار، وهو أيضا من عجائب الدنيا السبع ..» ثم يصف جور مزانسو الاسكندرية بأنها مدينة يستطيع الفقراء أن يعيشوا فيها حياة هائلة خالية من التعقيدات وارتفاع تكاليف المعيشة فيقول :

« ان المصيفين كانوا يستأجرون هناك عششا لخلع الملابس كسي لا يكونوا مضطرين لخلع ملابسهم في الحجرات العامة لخلع الملابس - سويا مع كل العرب » .

وكان الاقتراب من العرب في مكان واحد من شأنه أن يصيهم بالأوبئة والأمراض ، أو كأن هذا الاقتراب سيحط من قدرهم وجلالهم وسموهم !! ولم يكتبه الكاتب بانتقائه مهنة البواب والخادم ومروض القردة والعاطلين للشخصيات العربية المصرية في روايته ، بل انه وصف هؤلاء أيضا بأنهم شخصيات تحمل في داخلها الرذيلة والخيانة وسوء المقصد ، فالخادم يرلود خادمة أخرى عن نفسها ، ثم يحاول بعد ذلك مراودة سيديته (٣٩) ... كما أن البواب والخادم « لا يعملان الا اذا حصلوا على البقشيش لأنهما لا يقنعان بأجرهما » ، بل أن الخادم « تخلي عن أمانته وقتل ضميره في سبيل قروش معدودة حين أرسله «فيكتور» ليضع خطابا في صندوق البريد ، وأرادت الجدة أن تعلم سر الخطاب فراودت الخادم « سالم بالترهيب تارة وبالترغيب تارة الى أن حصلت على ما تريد » .

סבתא מבינה שרק הבקשיש יתיר את מוסרותיה.
 "אל-קאהירא" באח החשוכה.
 "ואל מי בדיוק בקאירו?"
 עוד מיל בקשיש נחאינמורמציה נפלטת החוצה, כמכונה האמ'
 רוקאית חזאת שאתה עולה עליה ומכניס חצי פאסטר ויוצא סתק
 עם המשקל שלך.

« فالجده تدرك أن البقشيش فقط هو الذى سيخرج أسرار
المكتومة » .

الى القاهرة : جاءت الإجابة

والى من بالاضبط فى القاهرة ؟

مليم آخر من البقشيش وتندفع المعلومة الى الخارج ، كتلك الآلة
الأمريكية التى تصعد عليها ثم تضع فيها نصف قرش فتخرج تذكرة صغيرة
عليها وزنك ٠٠٠ »

* * *

الفصل الثالث

صورة مصري الارض المحتلة فى الأدب العبرى

وإذا كنا قد تحدثنا عن صورة مصر فى عيون أبنائها من اليهود المهاجرين الى فلسطين ، وهى صورة تراوحت بين الايجابية والسلبية ، فاننا هنا بصدد صورة المصرى الزائر للفلسطين أو المقيم فيها فى نظر أدباء العبرية ذوى النشأة المختلفة . وهى فى مجملها صورة سلبية تنقسم بالكراهية التاريخية لمصر وأهلها وكل من وفد منها ، حيث توصف هذه الفوعة من المصريين بالجهل والتخلف، والحماقة والرعونة والأنانية وغير ذلك من صفات سيئة تنضح بالحقد والذعر وتعود بجذورها الى العنصرية التى تميز فكرهم الأسود والتى تشكل فكرتنا الاختيار والخلص شقى الرعى فيها ، والتى ينظرون من خلالها الى أبناء الشعوب الأخرى باعتبارهم جنسا من الدرجة الثانية أو الثالثة لا يرقى الى مرتبتهم السامية !! ومن عجب أن فكرهم العنصرى الذى حدد نظرتهم الى أبناء الشعوب الأخرى لم يقتصر على مجال الصراع بين اليهود وغيرهم ، بل أصبح أكثر عمقا واتساعا حتى بات هذا الفكر العنصرى يحدد نظرة الاسرائيلى للاسرائيلى الآخر . وليس أدل على ذلك من ثنائية الاشكنازيم (يهود الغرب) والسفاراديم (يهود الشرق) التى تهدد المجتمع الاسرائيلى وتعمص بأمله فى الاستمرارية والبقاء فهاهم يهود الغرب ينظرون الى يهود الشرق — بما فيهم يهود مصر — نظرة متعالية ، ويرجع ذلك كله الى ما ينطوى عليه المجتمع الاسرائيلى من تناقضات طبقية وطائفية وثقافية فالأصول القومية ليهود اسرائيل تعود الى أكثر من مائة دولة^(١) ، والأصول الثقافية لهم ترتبط بنحو ثمانين لسان^(٢) ، ولذا يصعب ايجاد تآلف صناعى بين مختلف هذه الطبقات والطوائف والثقافات ، بل ان هناك من العوامل النشيطة ما يؤدى الى تفاعل هذا الصراع واحتدامه وتعميقه ، نذكر — على سبيل المثال — منها الصراع بين العرب واليهود داخل الأرض المحتلة .

وترتبيا على ما سبق فان نظرة أدباء العبرية الى مصريي الأرض المحتلة لا تتعدى أن تكون نظرة يهود الغرب الى يهود الشرق بوهي نظرق — كما أسلفنا القول — تتسم بالتعالى والغرور ولذا فان صورة هؤلاء المصريين تتسم دوما بالسلبية ، ومن عجب أن هذه الصورة السلبية قد تعدت كل المحواجز والحدود المألوفة في الصراعات الانسانية حتى وصلت الى الساحة الدينية ، فسخرت من رجال الدين وتلاميذهم وطرق تعليمهم وغير ذلك من أمور تلقى الاحترام والتوقير من كل انسان بصرف النظر عن عقيدته وجنسه . أما عن النظرة العنصرية للجنس فحدث ولا حرج ، فالأدب العبري ملىء بهذه النظرات اللاانسانية .

فها هي قصة جدعون تلفاز (٣) . ٦١٦٦٢ ٦١٦٦٢

מִי נִדְּבִים מְפֹרָשׁ סַעִיד

« ماء الورد من بور سعيد » (٤) ، تصور المصري باعتباره « خادما خائنا لا يستحق الا أن ينحن ويركع دو ما ... »

وتدور القصة حول رحلة قامت بها أسرة يهودية من مدينة ملبورن في استراليا الى فلسطين مرورا ببور سعيد ، حيث استقبلهم فيها السيد « عنتابى » وهو صديق قديم للأسرة كان يعمل — فترة شبابه — مساعدا « للجد » في أعماله التجارية في مدينة « صفد » في فلسطين قبل أن ترحل الأسرة كلها الى استراليا مما اضطر « عنتابى » للهجرة الى بور سعيد حيث أقام فيها بصفة دائمة واستطاع أن يحقق نجاحا هائلا في أعماله وأن يكون ثروة عظيمة مكنته من أن يعيش حياة الرفاهية . وقد كانت هناك قصة حب قديمة بين السيد « عنتابى » وبين الأم قبل أن تتزوج بآخر ، وبالرغم من أن الأم تزلت بعد ذلك الا أن عنتابى ظل محافظا على حبه لها . . . فبعد أن مات الزوج قررت الأم وأولادها العودة الى فلسطين ، وفي أثناء عودتهم عرجوا على بور سعيد حيث تم اللقاء مرة أخرى بين الأم وعنتابى الذي استضافهم عدة أيام في قصره في

بور سعيد . اخبرته الأم خلالها أنها بصدد افتتاح لوكاندة فى القدس ، فأعرب عن استعداده لمساعدتها اذا أرادت ، ثم واصلت الأسرة رحلتها الى فلسطين عبر مدينة القنطرة .

وبالرغم من أن هذه الأسرة اليهودية لم تمكث فى بور سعيد الا قليلا . لكن المؤلف لم يثنأ الا أن يصور مصر بالعديد من السلبيات ، بدءا من وصول الباخرة الى الميناء ورؤيتهم لندوبى الفنادق والشركات السياحية والباعة الجائلين والغوغاء والحمالين « الذين أصابوهم بالذعر والخوف والاضطراب »^(٥) ومرورا « بشوارع بور سعيد الكثيبة »^(٦) وبالخدم المصريين الذين يملأون قصر عنتابى . ولا يكفون عن الانحناء والركوع أمامهم »^(٧) ونهاية بالرحلة الى فلسطين عبر القنطرة ، حيث استقلوا قطارا « قذرا ، يغطيه التراب ، ذا روائح كريهة ، يستقله أناس يبعثون على الخوف والملل »^(٨) .

وأخيرا تصل الأسرة الى القدس ، وتفتتح الأم لوكاندة ، ويعلم عنتابى فيرسل لها العديد من الهدايا بين الفينة والأخرى ، حتى كانت أعظم هداياه فى عيد ميلادها : عبدا مصريا اسمه « أحمد » يصفه الكاتب قائلا :

כ"ס חסיד וכו'
שחור, גלימתו הצהורה, הארוכה, כההה על שחור עורו.
על מוחניו חגר אבנט ארגמני רחב, רעל פדחתו שכוס היה חרבוט
(٩) אדום-כחם בעל גדיל מפזז.

« زنجى طويل المقامة ، لونه أسود داكن ، ذو جلباب أبيض طويل ، يتألق على جلده الأسود كأنه عاج : يتمنطق حول خصره بحزام أرجوانى ويضع على جبينه طربوشا أحمر داكنا ذا جديلة تتراقص » .

وفى البداية قررت الأم أن تعيده ثانية الى السيد عنتابى ، ولكن تحت ضغط ابنتها وتوسلاتها أبقت عليه بعد أن وصفته ابنتها بقولها :

דב"ס עליו, כריז כשור-הבר.
(١٠)

إنظري اليه . انه معافى كالجاموس ... » !

وبسرعة أصبح هذا « العبد الزنجى » ساعدها الأيمن . ثم تنتقل القصة الى الصراع المحتدم آنذاك بين اليهود والانجليز فى فلسطين . وتشير الى أن الابنة كانت تساعد منظمة الهجانا^(١١) ضد الانجليز وانها كانت تخفى لديها مواداً متفجرة وحارقة بالإضافة الى كم كبير من الأسلحة ، وقد ساعدها أحمد فى اخفاء كل ذلك . ولكن يتضح بعد ذلك كله أن أحمد كان يبيع الفول السودانى فى الشارع فأحست الأم بأن هذا السلوك يعتبر اهانة شخصية لها فتقرر اعادته الى مصر . وشخصية « أحمد » فى القصة شخصية عبد ذليل ينحن دائماً اذا خاطب أى انسان ، شخصية تتردى فى ركن مهمل لا تغادره الا اذا طلب منها ذلك ، وهو « يقوم بتنظيف الأحذية » « وغسل أقسام الأسرة وتجفيفها » . وبالرغم من أنه يحصل على مأكله ومشربه وملبسه الا أنه « يخون » الأسرة ويبيع الفول السودانى فى الشارع !

هذه هى احدى صور الانسان المصرى فى اسرائيل ، وهى من أخطر الصور السلبية التى ذكرت بها مصر فى الأدب العبرى ، والموضوع لا يحتاج منا الى تعليق ، خاصة وأن القضية قد باتت واضحة مكشوفة ، فهى قضية وجدان شكلته أوهام مضطربة ومتناقضة أثرت فى سلوكياتهم على امتداد التاريخ الانسانى كله ، وهى أوهام تناربت بين فكرة « شعب الله المختار » التى اكتظت بها عقولهم وبين فكرة المساواة التى ملأوا الدنيا عويلاً من أجلها أثناء وجودهم فى أوروبا ، وبين فكرة « الجنس والاون » التى تقبع فى عقولهم وأفئدتهم والتى تهدم ادعاءاتهم من أساسها وترىح الستار عن أخطر ما واجه الفكر الانسانى فى عصوره المختلفة .

أما قصة الميعازر سمولى^(١٢) אליעזר שמולר وعنوانها חלוקה

חלוקה

« تحرير لوردية » (١٣) فقد تعدت كل « جزر » اجترت على ضوايف الفكر الانساني ووصلت الى ساحة الدين التي يجعلها كل انسان وينأى بها عن أن تكون موضعاً من مواضع الخصومة أو العدا أو طرفاً من أطراف الصراع بين الانسان والانسان .

والقصة تدور حول اثنين من المدرسين يعملان في فلسطين ، أحدهما مصري والآخر يهودي ، وذات يوم قرر المدرس اليهودي أن يزور المدرس المصري أثناء عمله في الفصل الدراسي ، فاستقبله المدرس المصري المصري بالترحاب ، وحين دخل المدرس اليهودي فوجيء بأن الحجره غير صحيه على الاطلاق فهي « معتمه » لا تدخلها الشمس ، خالية من كل أثاث « وأن الأطفال يفترشون الأرض ، وأن الحديث بين المدرس المصري وبينهم لا يدور الا من خلال الجلد والسياط واللعنات ، ولذا فقد انبعثت منهم أصوات « تصم الآذان وتعصف بالأعصاب والأحاسيس أطفال أجسامهم عارية ، حفاة الأقدام ، أنوفهم ترشح بصفة دائمة ، يثنون من ذلك المدرس القاسي « ذلك المدرس « طويل القامة ، عريض المنكبين ، حافى القدمين ، يرتدى سترة طويلة ، ضخمة الجثة . يضع فوق رأسه طربوشاً متهاكاً ، ويمسك بعضاً طويلة في يده ويضرب بها ما يشذ عن القطيع فيوقف هذا ويوبخ ذاك ، ويلعن ملأنا ويلكن الآخر ، ويشوه وجه طفل ويفقد الآخر عينيه « والأطفال بدورهم لا يكونون عن الضجيج واثارة الشغب .

فالصورة العامة التي يذكرها المؤلف تتسم بالجهل والتخلف والكتابة ، وكأنه ليس فصلاً دراسياً لتعليم الدين ولكنه أرض قاحلة جرداء سيق إليها قطيع همجي من الأغنام يقوده راع متعجرف أحمق ، فالفصل سيئ والأطفال أسوأ والمدرس أكثر سوءاً . وبعد تسعة شهور من هذه الزيارة يلتقي المدرس اليهودي بالمدرس المصري في القططار عن طريق الصدفة . ويعرف منه أنه في طريق العودة الى مصر ليقوم فيها بصفة دائمة ، لأن أهل القرية التي يعمل فيها قاموا ببناء مدرسة جديدة وأنهم استغنوا عنه ليأتوا بمدرس جديد أحاطوه بالرعاية والاهتمام بينما أحاطوه هو بالسخرية والازدراء ، مما يعد جحوداً ونكراناً للجميل ،

خاصة بعد أن بذل عمره وأفنى صحته فى تعليم الأجيال المتعاقبة من مسلمى هذه القرية . ثم يلقون به فى نهاية المطاف خارج المدرسة ساخرين منه ، مما اضطر هذا المدرس أن يصفهم بأنهم « ذوو وجوه متحجرة » وأن « إيمانهم ضعيف » بل أنهم « كفار ملحدون » لا يعرفون الرحمة ولا يخشون يوم لقاء الله !!

وهكذا لم ينج أحد من سلبية الصفات التى أطلقها المؤلف على الحجرة والمدرس والأطفال والآباء والعملية التعليمية ذاتها ، وحتى المدرس الجديد لم يسلم هو الآخر فهو « يغطى رأسه بشال كأنه عضو فى عصاة » .. ومهما بذل الكاتب من جهد ليقتنعنا أن الفكرة الرئيسية التى تدور حولها القصة هى إزاحة القديم من أجل الجديد ، إلا أنه لم يستطع أن يخفف من غلوائه وتحقيره لصورة الإنسان المصرى فى قصته ، ومن الغريب أن الكاتب يصور المدرس اليهودى بأنه رقيق القلب يعطف على المدرس المسلم بين الحين والآخر بينما يصف المسلمين الذين تعلموا على يديه بأن « قلوبهم متحجرة — كفار لا يعرفون الله » .. فالوصف الإيجابى الوحيد فى القصة يتعلق بالمدرس اليهودى ، وأما ما دون ذلك فهى صفات سلبية سوداء تنبىء عن كراهية شديدة لمصر والمصريين بل العرب والمسلمين جميعا . ، ونظرا لأن القصة تتضح — فى كل سطر من سطورها — بالكثير من الصور السلبية ، لذا رأينا أن نترجمها كاملة ، لعل القارئ يقف معنا على الأبعاد الكلية والفرعية لفكر الكاتب ..

— تغيير الخارسة —

بعيدا عن أعماق الوادى ، تبدو القرية العربية من فوق قمة الجبل جرداء خاوية، ولكن حين تسلقنا الجبل وصعدنا إليها ووقفنا فى النهاية عند حدودها ، حف بنا جو من الحيوية والأزهار لم نكن نتوقعه . فاشجار التين والتوت والرماد تردهر من حولنا وتتفتح أوراقها فيكسوها الاخضرار والاحمرار فى آن واحد . وقد اسقطت أشجار المشمش والخوخ ثمارها على المنحدرات بغزاره . وينبوع يشق له طريقا بين الأحجار الضخمة القديمة ، فينساب بمائة الدافق الشفاف الى الوهاد (المرات) الملتوية فيسحن الرمال ويفتتها .

جلسنا وإخذنا قسطا من الراحة فجددنا نشاطنا بعد جهد هائل
بالنفاه في المصعود والذي استمر قرابة الساعة • غسلنا أقدامنا بالماء
البارد • واستمتعتنا بما تراه أعيننا من ازهار وحيوية ، وفجأة وصلت
الى اسماعنا صوت عذاب وصراخ نفيف من الاطفال ، صوت أنين ينبعث
من مبنى كبير وقديم يقع في مواجهةنا عند مدخل القرية •

الأطفال الذين اصطحبتهم ليتعرفوا على الجبل ونباتاته ، التفتوا
مندهمشين ومذعورين ونظروا حولهم بفضول •

— انها أصوات أطفال كتاب تنبعث من المدرسة العربية في القرية —
قلت ذلك بهدوء حتى أخفف من روعهم •

وأرادوا — من شدة غضبهم وحنقهم — أن يروا — رؤيا العين —
تلك المدرسة العربية • فقررنا الذهاب اليها وزيارتها • وبعد دقائق
معدودة وقفنا متجمعين بالقرب من بابها ونافذتها ننصت الى الأصوات
الكثيرة التي تنبعث من داخلها كأنها مياه تنهدر من آبار ، أصوات
تصم الآذان وتعصف بالأعصاب والأحاسيس •

بالقرب من مسجد القرية القديمه ذي القباب المضمخة ، تقسم
المدرسة ، بل تلتصق به وتجاوره ، والمدرسة أيضا قديمة ويعلموها قبة ،
وتدور أحاديث الجلد والسياط بين جدرانها وبناتها كأنها مخلوقات عاقلة •

أما الحجرة الكبيرة فقد تساهها الظلام • فهدت وكأنها خالية من
كل أثاث ، وجلس عشرات التلاميذ على هيئة حلقات فوق حصير مفروش
على الأرض • ومن بينهم أطفال حديثو السن بأجسامهم العسارية
وأنوفهم التي ترشح بصفة دائمة • ومن بينهم غلمان يرتدون العمامة
ويرتدون ملابس طويلة ملونه ، وهناك أيضا فتيان تتألق الطرابيش فوق
رؤوسهم وأصبحت شواربهم على وشك الظهور ، وأمام كل مجموعة
وضعت كتب ضخمة فوق الحصير ، وجميعهم يتمايلون ويقرأون بأصوات

عالية . يصرخون ويزعقون ويغنون ... ويشرف عليهم جميعا المعلم ، وهو رجل طويل الفامة عريض المنكبين حافى القدمين يرتدى ستره طويلة ، ضخمة الجثة ويضع فوق رأسه طربوشا قديما يلفه شال أبيض ، منتصب القامة ، وقف متجها بظهره ناحية النافذة ووجهه الى الحجرة . يمسك بعصا طويلة في يده ويضرب بها ما يشذ عن القطيع فيوقظ هذا ويوبخ ذلك ، ويلعن فلانا ويلكر القرييين منه بعصاه ، يشوه وجهه ويضيع ضوء عينيه ، يتحرك ناحية الضوضاء والضجيج وسيطر على كل ما يحيط به .

وحين شعر بالضيوف غير المدعوين الذين يتجمعون عند الباب والنافذة ، نادى في الأطفال بالصمت واسكت الضوضاء ، ثم خرج اليينا عند باب الحجرة ورفع يده عند جبهته محييا ايانا بينما كان وجهه مبتسما مرحب بنا . كان هذا عربيا مصريا ، رجلا عملاقا وضخم الجثة ، كله أسمر كما لو كان كتله من البرونز ، ويقترب عمره من الستين . وكان وجهه المستدير مليئا بمجموعات من الشعر الرمادي ، واكتست جبهته العريضة بالتجاعيد العميقة وتبرق عيناه السوداوان وتبتسمان — أنا مدرس — قلت معتذرا ومددت يدي اليه — من القرية المجاورة التي في الوادي .

— مرحبا يا نجى ! — قال المضيف ومهدلى يده ثانية وقال : أهلا وسهلا .

— سألته : « ما اسمك أيها المدرس ؟ »

— أجابني متسما : أنا ابراهيم المصري .

— وكيف حالك يا حاج ابراهيم ؟

— هانذا أعلم يا اخي ... أعلم كما ترى بعينيك — أجاب بصوت أبج .

سأله مترددا ..

— هل تسمح لنا بزيارة مدرستك أثناء الدرس يا حاج ابراهيم ؟

أهـ: ومرحبا بضيوفنا !

وقفنا بجانب حائط الحجر . واتخذ المدرس مكانه الموقر بجانب
النافذة ووقفت الى جواره كضيف شرف ارتفعت العصا كإشارة ثم بدأت
بعدها المهمة والضوضاء تدوى فى الفضاء المعتم ، وأخذ الصياح يتزايد
تدرجيا .

وقفت الى جانب مطحنة مائية تهتر وترمجر بقوة ، نظرت الى
المدرسة ، لم يكن يصنى فقط الى جوقه المنشدين بل كان يستمع الى
الضوضاء التى تحدثها كل مجموعة بمفردها فيكشف الأخطاء التى تنفوه
بها . ثم نادى المدرس وأشار بعصاه ناحية أحد التلاميذ :

— أنت ، أعد مرة ثانية !

— وأنتم ، أنتبهوا الى الآية الأخيرة — قال بغضب وهو ينظر ناحية
تلميذ آخر .

— اللعنة على أبيك أيها الكسلان — قال ذلك وهو ينقض بعصاه
على طفل صغير يجلس عند الطرف الآخر من الحجر — الوقت ليس
وقت تسميع !

وفجأة رفع الحاج ابراهيم يده وأمر الأطفال بالسكوت ، فأتجهت
اليه كل الأنظار .

— تقديرا لك يا أخى — سوف أجرى اختبارا للتلاميذ — قال لى
بينما كان يضع يده على صدره — لكى تقف على ما نعلمه فى مدرستنا .

— أنت — قال وأشار بعصاه ، امل فاتحة القرآن :

وقف طفل صغير يرتعد من الخوف ، وقف متوترا لأقصى درجة ،
ونظر الى عيني المدرس مباشرة وبدأ يرتل بصوت منتحب : بسم الله
الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم
الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم » .

وأنت — أشار الى طفل آخر — أسمع كلام البخارى !

قام غلام أسمر صغير ، استقام بجسده ، وألقى خلفه بأطراف الشال
لاذى يلف رأسه ، ثم بدأ يسمع شفاهة « جاء رجل الى رسول الله —
عليه الصلاة والسلام — وقال : يا رسول الله : من أحسن الناس بحسن
صحابتى ؟ فقال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال :
أمك . قال : ثم من : قال : أبوك . . . »

— وأنت ، أعد على كلمات ياقوت (*) .

وعلى الفور وقف غلام يضع على رأسه عمامة ، رفع رأسه ثم
قال :

روى لى رجل قائلا : « قلت لرسول الله — عليه الصلاة والسلام —
ما هو أول مسجد بنى على سطح الأرض ؟ قال : المسجد الحرام
بمكة . قلت : وما هو المسجد الذى تلاه ؟ قال : بيت المقدس فى القدس
الشريف .

— وأنت ، أيها الغلام الصغير ، أتل لنا ما يتيسر من قصة سيدنا
سليمان والهدد :

وقف طفل صغيرا جدا فى مكانه ، مسح أنفه بيمينه ويساره ، ثم
سعل وبدأ يتلو شفاهة بصوت منفرد « جاء الهدد — ذات يوم — الى
سيدنا سليمان ، وكان يحمل فى فمه اناذهيبا ، أحضره معه كهديه . قدم
الهدد الاناء ثم قال له : ها قد أحضرت لك هدية على قدر امكانياتى . . »

— عظيم جدا يا ابنائى — قال الحاج ابراهيم وهو ينظر نحوى
فخورا متباهيا — خيرا ما طلبتم . . . — ثم أخرج ساعته من جيب سترته
الداخلى ونظر فيها ثم قال : حانت ساعة الظهر ، اذهبوا الى بيوتكم فى
سلام .

(*) ياقوت الحموى ..

اندفع التلاميذ الى الخارج مخدنين ضوضاء وضجيجا ، ونحسن وراءهم • هييت المدرس بسيجارة ، وجلسنا لنستريح ولندخن سويا فوق أحد الأحجار الفخمة تحت ظلال المدرسة •

— هل أنهيت عملك اليوم يا حاج ابراهيم — سألته وأنا ألتقط نفسا عميقا — والحمد لله ؟

— لا يا أخى — نفخ سيجارته وطرق بلسانه مستكرا — هذا نصف العمل ، وبعد ساعة سنستأنف عملنا حتى المساء •

— العمل يستغرق اليوم كله ؟

— من الشروق حتى الغروب •

— أليس لك راحة أو أجازة ؟

— أيام العيد فقط •

— وشهور الصيف ؟

— لا يا أخى • انها ليست مدرسة حكومية • ولكنها مدرسة خاصة • مدرسة فى قرية •

— ومن يدفع لك أجرك ؟

— كل أب بمفرده •

— وماهى قيمة أجرك ؟

— مكيال من القمح فى السنة •

— ألا يوجد لك مورد رزق ؟

— ارادة الله — أجاب مبتسما — ليس لى زوجة ولا أبناء ، جئت من مصر بمفردى وظللت بمفردى حتى اليوم •

— ومتى جئت الى هنا يا حاج ابراهيم ؟

— منذ عشرين عاما يا أخى — ثم كرر متهدا — منذ عشرين عاما

جئت الى هنا صبيا معافى لى أعلم أبناء القرية القرآن والاحاديث والوصايا ، وأديت عملى بأمانة والحمد لله تعالى . بذلت صحتى وقلبى فى هذا المبنى المعتم ، ثم قال متلعتما : لقد بدأوا فى تشييد مبنى جديدا للمدرسة . هل ترى أكوام الحجارة وشكائر الحمى الموضوعة بجانب البئر — هناك تبني المدرسة الجديدة .. بعد عشرين عاما بح فيها صوتى وسعل أثناءها صدرى وخارت قواى وهلكت صحتى .

— فى الوقت المناسب يا حاج ابراهيم — قلت له لأخفف عنه — فى النهاية سننتقل الى المبنى الجديد الذى ستدخله الشمس والهواء ، فعليك أن تسعد بهذا .

أجاب مستكرا : يا أخى — نحن كبار السن يطيب لنا القديم ونخاف من الجديد .. ليتنى أوصل عملى حتى ولو لسنوات معدودت فى هذا المبنى الذى تشبع كله بالآيات الكريمة المقدسة وبكلام الله ثم أموت بعد ذلك راضيا مطمئنا .

— بالعكس — قلت — فعلى المبنى الجديد ستجدد شبابك وتواصل عملك لسنوات طويلة .

— يا أخى — أجاب حزينا ثم مد لى يده وقال : الذى بينى وبيننا — جديدا يأتى له بامرأة جديدة — وهذا مثل يقال فى بلدنا ، وأنا قد بلغت من الكبر عتيا وأشتغل رأسى شيئا وخارت قواى ويح صوتى .

— هل ستأتى لترورنى فى مدرستى يا حاج ابراهيم ؟ — قلت له وأنا أشير نحو الوادى الاسفل .

— ان شاء الله يا أخى .

وبعد مرور تسعة أشهر كنت أستقل القطار المسافر الى حيفا ،
 وحين دخلت الى إحدى العربات ، واذا بي أجد الحاج ابراهيم المصرى
 - أخى فى المهنة . من القرية العربية القابعة فوق الجبل . يرتدى معطفه
 الثقيل ، يضع فوق رأسه عمامة كبيرة ويلف حول وسطه حزاما عريضا
 لونه أحمر ، يجلس مائلا فوق أحد المقاعد وقد وضع قدميه فوقه وحمل
 «نذاه» فى يده وبجانبه كيس ضخيم مكتظ مربوط بحبلين من أعلاه
 وانظرافه ، كما وضع بجانبه جرة فخارية جديدة يرشح الماء عن
 جوانبها . وعلى الرف الذى فوق رأسه حصيره قديمة منتهالكة وبطانية
 ممزقة وكومة من الملابس القديمة البالية وزجاجة نرجيله ملونه يدخن
 فيها الطباق .

- سلام يا حاج ابراهيم المصرى : قلت وأنا أتقدم نحوه « كيف
 حالك ؟

انتفض ، ونظر لى طويلا ومتأملا ثم قال : أخى وصديقى المدرس :
 مرحبا ! ثم أنزل قدميه وأخلى لى مكانا على مقعده ، ومد نحوى يده
 محبيا وقد أوما برأسه عدة مرات .

- الى أين تتجه ؟

- الى مصر يا أخى .

- والله ؟ قلت مندهشاً .

- والنبى .

- ربما لتزور أقاربك .

- لا ، ولكن لأقيم هناك بصفه دائمة - قال ذلك وهو يتبسّم
 بمرارة وألم .

- كيف ذلك يا حاج ؟

— كما قلت لك منذ البداية .

— ماذا تعنى يا أخى ؟ قلت وكلى دهشة — لماذا تحدثنى بأمثال
والغاز ؟ سئل الحاج ابراهيم ثم بصق ، لكى ينقى صوته الأبح الذى
زادت خشونته خلال الشهور التسعة المنقضية ، ثم أشعل سيجارة كت
قد أعطيتها له ، وأخرج الدخان وتنهد تنهيدة طويلة وقال : أسمع
يا أخى ، سأحكى لك بالترتيب .

بمجرد أن بنوا الحوائط وأقاموا سقف المدرسة الجديدة بدأت
قواعدى تنهار . فالأطفال الذين كانت مخافتى تسيطر على وجدانهم بعد
مخافة الله ورسوله ، بدأوا فجأة يتغطرسون فى مواجهتى ويسخرون
منى — هؤلاء الكفار الملعين ! عنثرون عاما وأنا أرفع عصاى على آباءهم
واخوانهم وعلمتهم وجعلتهم رجلا ، وفجأة يسخرون منى ويتغطرسون ؟

كم من مرة رفعت يدى وهويت بها عليهم .. الطفل مثل الحمصار
يا أخى المدرس — اذا ما ربطته وأحكمت اللجام حول فمه ينحنى لك
برأسه ويرفعك فوق ظهره ، واذا ما أطلقت له العنان يلترك ويلقيك من
فوق ظهره ويفر هاربا ومرسلا نهيقه .. ولقد ضربت وركلت على
قدر ماوسعنى ، ولكنهم ثاروا ضدى واتخذونى هزوا . وأخرجوا لى
السنتهم وقالوا : فلتعلم أن أيامك فى قريتنا أصبحت معدودة أيها
الزنجى ؟ فسوف يحل محلك مدرس جديد .

— ماذا ؟

— وحياة الله !

وفى الحقيقة فان هذا هو أساس الضجر ومبعث الفوضى . بدأت
أبحث وأسأل ، وتوصلت فى الحقيقة الى هذا . دخلوا سرا الى
المدرسة التى أقيمت فيها عمري ، كأنهم لصوم فى بطن الليل والظلام
... عند الساحة وعند كيم النفائات ، فى المسجد وعند ينبوع ، فم
كل مكان يتهايمون حول هذا الموضوع ويتحدثون ويتناقشون حوا
المدرس الجديد الذى سيأتى من طرف الحكومة .

عنى ما يبدو فهما (المدرسان) ليسا بـ ارعين صديقين فى قرية واحدة ، ولو كان كذلك لانتسمت القرية على بعضها انقساماً أبدياً ولدبت الفزاعات والمشاجرات ولانتشرت السرقات والتجاوزات ولارتفعت الساكنين والعصى ولسال الدم كالماء ... ولكنهم بالنسبة لى اتحدوا جميعاً .. مدرسة جديدة ومدرس جديد . شاخ الحاج ابراهيم وتقدمت به السن ! اختفى صوته وخارت قواه .. والحكومة تتعهد بعهود الشيطان ! اللغة الانجليزية . الجغرافيا ، كرة القدم . غرس الأشجار ، تربية النحل ، ودود القز ، الى آخره . فهمى لم تستبق شيئاً الا وأعطته لكى تزمين على أرواح المؤمنين وتجعلهم عبيداً للشيطان .. والايمان ضعيف ، وعينا الانسان ذماعتان وجائعتان ، لا تعرفان الشبع أو القناعة .. وهل هناك من يثقل على الدين والطقوس ؟ كل انسان يسعى لمصلحته يا أخى ، لىء الجيوب وتكديس الأموال ..

حاولت أن أهدد الآباء بعمساى ولكنهم انفجروا ضاحكين . توعدتهم بجهنم فسفروا منى ، أحدثت ضجيجاً فى المسجد فى أيام الجمعة وصرخت متحمساً على الايمان الاسلامى النقى الذى ينهار فى هذا البلد فاتهمونى بأننى مضبول ومجنون . ليس رفى هذا البلد اله يا أخى ، واذا كان الأنبياء قد عاشوا فيها من قبل : كما يحكى الخاشعون الذاكرون فى مؤلفاتهم فان الكفر يتسلل الى كل شىء .

لم أفعل شيئاً يا أخى . بنيت المدرسة الجديدة وأغلق الباب فى وجهى . كرسى نفسى عشرين عاماً لهذه القرية ، وفجأة تتكروا لى ، وأصبحوا جميعاً أعدائى . السخرية والتهكم من الأطفال ومن آبائهم ذوى الوجوه المتحجرة . أليست أول من علمهم الصلاة أول مرة ؟ أليست أول من صحح لهم الآيات التى تتناول الأخلاق الحميدة ؟ فليخرب الله بيوتهم ، الملحدون أبناء الملحدين ! حتى مكابيل القمح الخاصة بى لم يكن يريدون اعطائى اياها هذا العام ، ولكن بالصراخ والسباب حصلت عليها . من أيديهم وأحياناً بالمشاجرات والمعارك . كنت أمر على الأبواب ، ثم أمر ثانية فى اليوم التالى ! بكيت من شدة الحزن ، هل تعيدونى بمسد عشرين عاماً من العمل والشقاء حافى القدمين عارى الجسد ؟ أليس فى قلوبكم اله ؟ ألا تخشون يوم الحساب ؟

قررت فى نفسى أن أعود لوطنى — جئت هنا بمفردى دونما أمراً
ولد • ومن ذا الذى سيطعمنى اذا ما مرضت ؟ من سيعد لى قند
قهوة حين تخور قواى ؟

عشرون عاماً مرت على تركى مدينتى وأهلئى ، ولكنهم لم ينسوا
بمشيئة الله خرجت « الحاج ابراهيم » وسأعود « الحاج ابراهيم
يا أخى •

لم أستطع أن أبقى هناك أكثر من ذلك ، لم أدخر وسعاً • فما
أسبوع جاء المدرس الجديد • آه لو رأيته يا أخى ! انه يرتدى سر
قصيراً ومغطفاً أشد قصراً (جاكيت) ، يغطى رأسه بشال كأنه عضو
عصابة من اللصوص • سنه صغيره وبالتأكيد لا يعرف أن يقول بما
فاتحه القرآن شفاهة • ويومياً ينتقل مع الأولاد الى الساحة وي
معهم كرة القدم • « وأقسم بالله » انه لا يفعل سوى هذا • وهـ
تعلم بماذا زين حوائط المدرسة الجديدة ؟ — ليس بأيات جليله ،
القرآن ، وليس بأمثال من الكتب المقدسة الأخرى — ولكن علق على
صوراً لأجساد عارية فملعوننة أمه التى ولدته ! أجساد مقطـ
ومقصوصة • • تدنيس اسم الله وسب الدين • • يا أخى — همس الـ
ابراهيم واختلطت كلماته بدموعه — وحين تقدمت بى السن ألقوا بى
الخارج ، كالآنية الفخارية التى تحطمت •

هوامش الباب الأول

هوامش التمهيد والفصل الأول

١- نודیت בורקין : כשרים בספרות העברית של הדורות האחרונים.

דפים לבהקר בספרות. אוניברסיטת חיפה 1985, עמ" 260.

(٢) אرمیا : ١١ : ٤

3 — Aubrey Selincourt : The Worad of Horodotus little
Brown and Company . Boston, Toronto - 1962 pp. 217 .

(٤) نفتالی הירש فيزل : ١١ : ٥ - ١٨٠٥

أديب عبري يعتبره بعض النقاد مفتتح الادب العبري الحديث، ولد عام ١٧٢٥ في مدينة هامبورج ، وحين انتقل والد، التاجر ليعمل في كوينهاجن رافقه الفتى فيزل الى هناك ، حيث تلقى تعليماً يهودياً تقليدياً ، ثم أعقبه بالتعليم العلماني حتى الم بأربع لغات هي : الألمانية ، الفرنسية ، الدانماركية ، الهولندية ، ومع ذلك فان تعلم اللغات الأجنبية لم يكن محور اهتمامه ، بل الأهم من ذلك هو اقناع أبناء شعبه بحركة التنوير الجديدة (الهسكالا) .

ويشمل انتاجه مجالات التفسير والأخلاق واللغويات ، ولكن شهرته تستند أساساً الى الشعر والمقالات التي تتناول مشاكل الحياة اليهودية .

ورغم ان أبناء جيله قد بالغوا في اطرائه كشاعر ذي مكانة مرموقة ، فان كثيراً من باحثي الأجيال التالية لم يتحمسوا له . ويمكن أن نصف شعره بأنه ذو طابع ديني غنائي ، ومن أهم أعماله ملحمة « قصائد المجد » التي نتناولها في بحثنا هذا بالدراسة ، بالإضافة الى الكثير من قصائد المناسبات ، مثل قصائده في مديح الامبراطور جوزيف الثاني وموشي مندلسون . . وله كتاب بعنوان أمور السلام والحقيقة ברכה שלום ושלום

قررت فى نفسى أن أعود لوطنى — جئت هنا بمفردى دونما امرأة أو ولد • ومن ذا الذى سيطعننى إذا ما مرضت ؟ من سيعد لى فنجان قهوة حين تخور قواى ؟

عشرون عاما مرت على تركى مدينتى وأهلئ ، ولكنهم لم ينسونى ، بمشيئة الله 'خرجت « الحاج ابراهيم » وسأعود « الحاج ابراهيم » يا أخى •

لم أستطع أن أبقى هناك أكثر من ذلك ، لم أدخر وسعا • فمئذ أسبوع جاء المدرس الجديد • آه لو رأيته يا أخى ! انه يرتدى سروالا قصيرا ومعظما أشد قصرا (جاكيت) ، يغطى رأسه بشال كأنه عضو فى عصابة من اللصوص • سنه صغيره وبالتأكيد لا يعرف أن يقول بمفرده فاتحة القرآن شفاهة • ويوميا ينتقل مع الأولاد الى الساحة ويلعب معهم كرة القدم • « وأقسم بالله » انه لا يفعل سوى هذا • وهل تعلم بماذا زين حوائط المدرسة الجديدة ؟ — ليس بآيا تبجيله من القرآن ، وليس بأمثال من الكتب المقدسة الأخرى — ولكن علق عليها صوراً لأجساد غارية فملعونة أمه التى ولدته ! أجساد مقطوعة ومقصوفة • • تدنيس اسم الله وسب الدين • • يا أخى — همس الحاج ابراهيم واختلطت كلماته بدموعه — وحين تقدمت بى السن ألقوا بى الى الخارج ، كالآنية الفخارية التى تحطمت •

(٨) سفر اللاويين : ٢٦ : ١٣

(٩) سفر النثنية : ٥ : ١٥

(١٠) للمزيد حول هذا الموضوع ارجع الى كتاب « علاقة الاسلام باليهودية - رؤية اسلامية فى مصادر التوراة الحالية » تأليف محمد خليفة حسن . دكتور . القاهرة . دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٦ ص ٦ وما بعدها .

(١١) للمزيد من التفصيل ارجع الى محمد خليفة حسن . دكتور . نظرة نقدية فى قضية الاصل المصرى القديم لموسى وديانة . مجلة الدراسات الشرقية . العدد الثالث ديسمبر ١٩٨٥ ص ١٨٧ .

(١٢) سفر الخروج : ٩ : ٢٥ ، ٢٦

(١٣) سفر الخروج : ١٢ : ٣٨

(١٤) سفر الخروج : ١٦ : ٣

(١٥) سفر العدد : ١٦ : ٣

(١٦) سفر الخروج : ٦ : ٩

(١٧) سفر التكوين : ٤٥ : ٨

(١٨) زين العابدين محمود حسن . دكتور . سفر ارميا دراسة وتحليل القاهرة ١٩٧٩ ص ١٢٨

(١٩) ول ديورانت . قصة الحضارة . ترجمة محمد بدران . جامعة الدول العربية . الطبعة الثالثة ١٩٦١ الجزء الثانى من المجلد الاول ص ٣٢٦

20 — Robertson. On the tracke of the Oxodus. London 1936. pp. 24.

21 — Ibid. pp. 24.

22 — Pontet. C.P. The Ancient World . London 1912 pp. 2

(٢٣) عبد الوهاب المسيري . دكتور : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية . القاهرة ١٩٧٥ ص ٣٦٦

(٢٤) نعمات أحمد فؤاد . دكتورة . شخصية مصر . القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ ص ٢٦٣
25- קלוזנר, יוסף : היסטוריה של הספרות העברית החדשה . ירושלים 1975 , כרך א , עמ' 118 .

(٢٦) كلوزنر يوسف : الموجز في تاريخ الادب العبري الحديث ١٧٨١ - ١٩٣٩ تعريب اسحق شמוש عكا ١٩٨٦ ص ١٢

(٢٧) الحسيدية : حركة دينية يهودية صوفية بدأت في القرن الثامن عشر ثم أصبحت بعد ذلك عقيدة الأغلبية من الجماهير اليهودية ، ويرجع نجاحها الى أسباب اجتماعية وتاريخية عديدة ، فالجماهير اليهودية كانت تعيش في بؤس نفسي وفقير شديد ، زادت من حدته التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تخوضها مجتمعات شرق أوروبا آنذاك ، وقد صاحب هذه الحركة تدنى في الحياة الثقافية والدينية داخل الجتيو الى درجة كبيرة وصار اليهود في شبه عزلة عن العالم .
28- לחובר, פ, תולדות הספרות העברית החדשה. תל-אביב. דביר 1965 כרך א , עמ' 142 .

(٢٩) أحمد حماد . دكتور . المدخل الى الادب العبري الحديث . الجزء الاول القاهرة ١٩٨٠ ص ٤٨

30- نقلا عن קלוזנר, יוסף : היסטורים של הספרות העברית החדשה , 'כרך א , עמ' 119

(٣١) كلوزنر يوسف : الموجز في تاريخ الادب العبري الحديث ص ١٥

۴۸

ס' תולדות : שד כ"א , צ"ב 122.

צג- דינול. נפתלי הירץ : בירי תפארת. הרליץ, פראג. 1602-1789 עב"ד 7

35-7177 : דף ע"ח 8.

36- קרייזל : יום "ב" 58.

(٣٧) فوطيفار اسم مصرى معناه « عطية اله الشمس » وهو رئيس شرطة فرعون وميد يوسف (التكوين : ٣٧ : ٣٦ ، ٣٩ : ١) وقد رفعه وجعله وكيله على بيته (التكوين : ٣٩ : ٤) الا أن زوجته راودت يوسف عن نفسه ، ولما فشلت محاولتها حملت زوجها على سجنه بتهمة كانت تعلم يقينا أن يوسف برىء منها .

(٣٨) يهودا ليف جوردون : يعد أبرز أدباء مرحلة البسكالا .
حيث شاعريته وجودة انتاجه الأدبي وعمقه . ولد في فيلنا سنة ١٨٣٠
وتلقى في طفولته تعليما يهوديا تقليديا ، وفي سن الرابعة عشر شرع
في تعلم اللغة الروسية ، واتصل بالمسكيليم (دعاة التنوير) اليهود
في مدينته وعلى رأسهم آدم هكوهين الذي أثر على أشعاره ، ثم مضى
بعد ذلك في تعميق معارفه ولغنه الروسية ، كما تعلم غيرها من لغات
غرب أوروبا . في عام ١٨٥٦ نظم قصيدته الشهيرة
داود وبرزيلاي ، كما ظهر كتابه الأول «המחנה » في عام ١٨٥٩ نشر في فيلنا كتابه الثاني «שירי יהודה أمثال يهوذا »
ثم انتقل في العام التالي للعمل في التدريس . في عام ١٩٦٥ انتقل الى
مدينة « تلز » وهناك نشر كتابه «שירי יהודה قصائد يهوذا الذي يضم
قصائد בין שני אידות بين أنياب السباع וילדי המראה وبنوها
אסנת בת פוסיס أسنات بنت فوطيفار التي تناولها في الكتاب ،
كما يضم قصيدتين من أشهر قصائده هما בן עמר طريق ابنة شعب ،
הקדמה עמי استيقظ يا شعبي ، والأخيرة كتبها عام ١٨٦٣ ولها أهمية

خاصة فى انتاج جوردون حيث ختمها بمقولته الماثورة - التى اصبحت -
 فيما بعد شعارا لحركة الهسكالا - كن يهوديا فى بيتك انسانا خارجه « ،
 وقد اثارت هذه المجموعة اصداء قوية لدى جمهور القرار العبريين ،
 فاشتهر جوردون وعلت مكانته فى حقل الادب رغم هجوم بعض المحافظين
 عليه واتهامه بالالحاد .. ولكنه - لدى ازدهار حركة محبة صهيون
 .חיבת ציון صار أكثر ميلا للخط القومى اليهودى الذى تبنته هذه
 الحركة . وقد توفى جوردون عام ١٨٩٢ .

(٢٩) كلوزنر يوسف : الموجز فى تاريخ الادب العبرى الحديث

ص ٥٤

- 40- גורדין גוברין : עמ" 262.
 41- גורדין, יהודה לב : כתבי יהודה ל"ב הוצאת
 דביר 1950 עמ" פז, פח.
 42- עם ע"מ פח .
 43- גורדין גוברין : עמ" 263.
 44- גורדין, י"ל : כל כתבי ע" פח.
 45- עם עמ" 33.

46- גורדין גוברין : עמ" 262.

(٤٧) كلوزنر : الموجز فى تاريخ الادب العبرى الحديث ص ٥٤

(٤٨) المرجع السابق ص ٥٤

49- גורדין : כל כתבי עמ" כמס

(٥٠) احاد هاعام هو التوقيع الادبى للكاتب اليهودى اشير تسفى
 جينزبرج אשר כחי בינזברג ، وتعنى هذه العبارة « واحد من الشعب » :

ويهد أحاد هاعام من أهم الكتاب والمفكرين في الأدب العبري الحديث ،
 وهو راند التيار الروحي في الصهيونية الحديثة - ولد عام ١٨٥٦ في
 مدينة سكفيرا وهي إحدى المقاطعات اليهودية في إقليم كييف جنوبي
 روسيا . وقد نشأ في عائلة حسيدية متزمتة ، فتلقى تعليما . يهوديا
 تلميديا حتى أن معلمه منعه من تعلم الأبجدية الروسية باعتبار أن ذلك
 شينيتش البرطقة والاحاد ، ولكنه ثقف نفسه بنفسه ، فدرس العلوم
 والفلسفة ، وقرأ أدب حركة ألتهسكالا ، والم بكثير من اللغات الأوروبية
 مما ساعده على سعة ثقافته ، وتأثر بالفلسفة الوضعية في روسيا وبنيتشه
 وداروين وهردر . وقد دفعته دراساته الجديدة الى هجر الحسيدية .
 استقر عام ١٨٨٤ في أوديسا ، التي كانت آنذاك مركزا هاما للأدب العبري
 في روسيا ، انضم الى جماعة محبي صهيون ولكنه انتقدها في إحدى
 مقالاته تحت عنوان « ليس هذا هو الطريق » ، وهو أول إنتاج
 أحاد هاعام ، وقد أحدث هذا المقال ضجة كبيرة في الأوساط اليهودية
 مما أكسب أحاد هاعام الشهرة والصيت . أسس أحاد هاعام جمعية
 « بنى موسى » وحاول - من خلالها - نشر المثل القومية اليهودية التي
 تتفق مع فلسفته ، في عام ١٩١٦ اصدر مجلة هشيلواح 'השילוח'
 حيث أسهمت في تطوير الأدب العبري الحديث ، استقر في لندن عام
 ١٩٠٨ ولعب دورا هاما في الأحداث التي أدت الى وعد بلفور ، في عام
 ١٩٢٢ هاجر الى فلسطين واستقر في تل أبيب ، وهناك نشر انتاجه في
 أربعة مجلدات تحت عنوان 'על עמנו ודרכם' في مفترق الطرق ، كما
 جمعت رسائله في ستة أجزاء ، وبقي أحاد هاعام في تل أبيب حتى توفي
 عام ١٩٢٧ .

51- אחד העם : כל כתבי אחד העם. חל-אביב. דביר 1965 ע"י ש.ש.

52- שם עמ"י ש.ש.

53- שם עמ"י ש.ש.

54- שם עמ"י ש.ש. والعبارة مستمدة من سفر الخروج ٢ : ١١

55- שם עמ"י ש.ש. والعبارة مستمدة من سفر الخروج ٢ : ١٣

(٥٦) 727 والعبارة مستمدة من سفر الخروج ٢ : ١٤

57- 727 727 727 والعبارة مستمدة من سفر الخروج ٣ : ٦

581- 727 727 727

(٥٩) حاييم نحمان بياليك ، -هو أبرز شعراء الأدب العبري الحديث ، ولم يقدر لأحد من الشعراء العبريين أن يتبوا ما تبواه بياليك من مكانة أدبية واجتماعية أو اهتمام نقدي ، حتى انه لقب بـ « الشاعر القومي الاسرائيلي الحديث » .

ولد بياليك فى روسيا - لآبوين فقيرين ، توفى أبوه وكان حاييم مازال غلاما صغيرا ، فقام جده بتربيته ، وهكذا قدر للطفل الصغير أن يعرف الحزن والبؤس من سن مبكره ، بالإضافة الى أن جده كان محافظا شديد التزم ، فاصطدم الطفل بما فى البيت من الصرامة والجمود الفكرى ، بل أن المعلمين الذين أوكل جده اليهم مهمة تعليمه لم يكونوا أقل منه شدة وصرامة ، ولكنه استطاع - رغم ذلك كله - أن يطلع على بعض كتب الهسكالا ، ثم بدأ يكتب الشعر فكانت أولى قصائده אל הצפוד الى العصفور . فى عام ١٨٩١ ذهب الى اوربا ، حيث كانت آنذاك مركز الأدب العبرى الحديث ، وهناك التقى بأحد هاعام الذى شجعه على الكتابة والنشر ، ولعل الموضوع الاساسى فى اعمال باليك هو الشد والجذب بين القديم والحديث والبحث عن مخرج من الازمة المستحكمة ، وقد عبر فى شعره عن تطلعاته الصهيونية . وقد كتب بياليك قصائد للأطفال ، وترجم بعض الأعمال الأدبية العالمية الى العبرية ، وتوجد جائزة أدبية فى اسرائيل تحمل اسمه .

60- ביאליק : כל כתביו הקדמה עמ' 14.

61- ביאליק : כל כתביו עמ' 17

(٢٦) الترجمة نقلا عن سيد يعقود بكر . دكتور « من شعر بياليك » حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد ٢٦ الجزء الأول مايو ٦٤ ص: ٧

63- לחובר, פ : ביאליק, חייו ויצירותיו. מוסד

ביאליק. דביר 1964, סדר ה, עמ" 401.

64- ביאליק : כל כתבי עמ" 56.

65- ביאליק : כל כתבי עמ" 56.

66- לחובר, פ : ביאליק חייו ויצירותיו עמ" 404.

67- ביאליק : כל כתבי עמ" מ 5.

(68) כלוזנר . الموجز فى تاريخ الأدب العبرى الحديث ص 120

69- ביאליק : כל כתבי עמ" ג.

(70) שאול تشير נيجوفسكى 1875 - 1943 , يعتبر - هو وبياليك

- قطبى البعث الأدبى العبرى فى روسيا , ولكن تشير نيجوفسكى يختلف عن بياليك فى أنه لم يكن نتاج الاستيطان اليهودى , بل من روسيا « الجديدة » التى ضمت من بلاد الترك فى القرن التاسع عشر , وكانت المنطقة التى يعيش فيها متحررة نسبيا من قهر قيصرية روسيا , فكانت أمرته تستطيع الاتصال بغيرها من غير اليهود , كما كانت تتحدث بالروسية , ولم يكن يثقلها ظلم المنفى الرهيب الذى كان سائدا حينئذ فى بقية روسيا . وعلى عكس بياليك أيضا تلقى تشير نيجوفسكى تعليما علمانيا أوربيا منتظما حيث درس فى جامعات هايد لبرج ولوزان , وقد أدى به ذلك الى أن يدخل الى الأدب العبرى الكثير من الأشكال الشعرية الأوروبية , وقد اعتبره النقاد شاعرا وثنيا لأنه بالغ فى إعلاء شأن الوثنية السابقة على الكتاب المقدس , غير أن تقديسه للطبيعة انطلق من فلسفة وحدة الوجود أكثر من ارتكازه على الوثنية حيث تأثر بنظرية نيتشه . وقد تغنى تشير نيجوفسكى بجمال الطبيعة , فكتب العديد من القصص والقصائد والمقالات للكبار والصغار , وترجم كثيرا من الأشعار الغريبة الى العبرية . ويعد تشير نيجوفسكى شاعر الفن الخالص لذاته أكثر من أى شاعر عبرى آخر .

(٧١) أوزى تسفى جرينبرج ١٨٩٤ ، شاعر يكتب بالعبرية والبيديشية ، ولد فى حاليسيا لعائلة حسيدية . وقد عاصر أحداث ١٩١٨ فى بولندا وشاهد المذابح اليهودية هناك ، ثم هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٤ حيث شارك فى تحرير جريدة دافار . وقد نادى جرينبرج بقيام دولة « اسرائيل العظمى » والبعد التام عن كافة الحضارات الأخرى ، وهاجم « سياسة الاعتدال » التى تتبعها القيادة الصهيونية ، وكانت كتاباته تحمل وجهة نظر دينية غيبية متعنتة وتعكس نفسية مذعورة معقدة ، فهو يرى أن عالم اليهود هو عالم لا تجدى فيه العقلانية ، وأن اليهود موجودون خارج نطاق التاريخ ، وأن أية محاولة لوضعهم داخل سياق التاريخ ستؤدى حتما الى كارثة مثل الابادة النازية لليهود . وقد لعب جرينبرج دورا هاما فى مقاومة السلطات البريطانية وتشجيع الحركات السرية ، كما كان عضوا فى أول كنيسة ١٩٤٨ - ١٩٥١ عن حزب حيروت اليميني المتطرف .

(٧٢) محمد الخطيب : جرينبرج شاعرا ، القاهرة ١٩٨٠ ص ١٦٩

هوامش الفصل الثانى (مصر فى صورتها الفرعونية)

(١) مرحلة الاحياء القومى هى المرحلة التى اعقبت مرحلة الهسكالا ، التى تحدثنا عنها فى الفصل السابق ، كما ان العوامل التى ادت الى فشل حركة الهسكالا هى نفس العوامل التى ادت الى نشأة التيار القومى بين اليهود وهذه العوامل هى :

(ا) تعاظم قوة التيار القومى لدى الأمم الأوروبية حيث وصل الى ذروة نضجه مع توحيد ألمانيا وثورة شعوب البلقان وسعيها للاستقلال عن الامبراطورية العثمانية ولذا سُمى هذا القرن « قرن القوميات » ، فالقومية هى أهم ما يميز العالم المعاصر اذا ما عقدنا المقارنة بينه وبين العصور الوسطى التى تميزت بخاصتين تبدوان متناقضتين وهما العالمية من ناحية والانقسام الطبقي والطائفي من ناحية أخرى ، بيد أن هاتين الخاصتين أخذتا تذوبان مع اطلالة العصر الحديث الذى واكبه ظهور الدول القومية الموحدة ، ولم تعد أوروبا كيانات صغيرة داخل حدود سياسية معينة ، بل أصبحت مجموعة من الأمم لكل منها تراثها وطابعها وثقافتها الخاصة ، وأخذت كل أمة تعتقد اعتقاداً جازماً فى تفوقها وتميز ثقافتها وعمق تاريخها وأصالتها ، وقد تأثر اليهود بهذا التيار تأثراً شديداً ، وراحوا يرددون - دون كلل - عناصر (قوميتهم) ودوافعها زاعمين « وحدة الشعب اليهودى » فى جميع انحاء العالم وأحقيتهم فى العودة الى « أرض الآباء » .

(ب) انتكاس دعوة الهسكالا مما أصاب دعائها بخيبة أمل شديدة ، فبعد جهد هائل بذلوه على امتداد مائة عام أدركوا أن الشباب من اليهود قد تباعدوا عن شعبهم واندمجوا فى المجتمع الأوربى وتشبعوا بقيمه وتشيعوا الثقافة واصطبغوا بصبغته وياتوا بعبيدين عن ذلك النموذج المثالى الذى داعب خيال أولئك الدعاة الأوائل ، وهو النموذج الذى كان يجمع بين العلمانية والدين فى آن واحد ، لقد سعى هؤلاء الشباب الى العلمانية سعياً كاملاً ، وتركوا الدين ونسوا تقاليد اليهودية وموروثاتها ،

واصبحوا بمنأى عن قضايا الجماعات اليهودية ، ولا شك ان ذلك كله قد شكل عاملا قويا فى طريق التراجع عن خط الهسكالا والامتثال لادعائها .

(ج) اضطهاد اليهود فى شرق أوربا ، حيث تزايدت الحملات المعادية لهم فى سبعينات وثمانينات القرن المنصرم وخاصة فى الامبراطورية القيصرية ، ولقد تخفت هذه الحملات تحت ستار الوطنية والحرص على الدين ومصالح الكنيسة ، ولكن الدافع لها غالبا هو محاولة السلطات القيصرية الاستبدادية الهاء الجماهير المقهورة ، ولفت انظارهم بعيدا عن تعاستهم وبؤسهم ، وشغلهم عما يعانونه من التخلف والطغيان ، وكذلك محاولة أقسام من الطبقة البرجوازية الروسية التخلص من منافسة التجار اليهود . ولقد وصلت هذه الحملات الى ذروتها مع سلسلة المذابح الجماعية الموجهة ضد تجمعات اليهود وأحيائهم المسماه « بوجروم » ، وكانت هذه المذابح دافعارئيسيا فى عوده المثقفين اليهود الى التفوق داخلى اليهودية مرة أخرى ، وبعث المثل العليا القديمة بصورة جديدة . لقد قضت هذه الحملات تماما على دعاوى الهسكالا التى طالبا بشرت جماهير اليهود بأن مجتمعاتهم سوف تتقبلهم وتمنحهم المساواة والأمان ، ولكن جاءت هذه الموجات من العداوة كرد فعل على مائة عام من الدعوة الى نشر الاستنارة أملا فى تحقيق الخلاص من المجتمعات الأوروبية ، ولذا انسحبت حركة الهسكالا من فوق المسرح بعد ان ثبت فشلها وعدم جدواها لتبدأ مرحلة الاحياء القومى والبحث عن وطن يجمع شملهم .

(٢) يعقوب كاهان ١٨٨١ - ١٩٦٠ . من اهم شعراء العبرية فى النصف الاول من القرن العشرين ، ولد فى روسيا البيضاء ، قضى طفولته وشبابه فى بولندا ، وتعلم فى جامعات برن وميونخ وباريس ، وحصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة برن عام ١٩١١ ، ونذر نفسه - اعتبارا من المؤتمر الصهيونى الاول ١٨٩٧ للعمل الثقافى اليهودى . وقد نشر أول اعماله الأدبية وهو فى سن الثامنة عشر . هاجر الى فلسطين عام ١٩٣٤ واستقر فى تل أبيب ، وفاز عام ١٩٣٩ بجائزة بيباليك ، اشترك فى اصدار عدة دوريات ، كما ترجم الكثير من الأعمال الأدبية العالمية الى العبرية ، وقد عبرت اشعاره عن الحنين الجارف الى بعث الماضى اليهودى ، وقد نشرت اعماله فى أربعة عشر جزءا .

3 — Aubray Selincourt : The World of Herodotus Little Brown and Boston , Toronto, 1962. p. 217.

(٤) انظر هوامش الفصل الأول رقم (٥٠) .

5- אחד העם : כל כתבי אחד העם. דביר, הלא-אביב 1965 עמ" 27.

(٦) الاصلاحيون : حركة انبثقت من داخل « الهسكالا » التنوير ، وكان اتباع هذه الحركة يكرهون المشنا والتلمود ، وجعلوا المنبع الوحيد للتشريع يقتصر على الكتاب المقدس ، وكان عدوهم اللدود هو كتاب « شولحان عاروخ » الذي جمع فيه يهود الجيتو المتعصبين جميع الشرائع والأحكام والفتاوى الواردة فى المشنا والتلمود ، واصبح هو المعتمد عند المتحذلقين من اليهود . كان الاصلاحيون يعتبرونه رمزا للجمود والتأخر ، والعقبة التى تمنع بنى اسرائيل من السير فى طريق التقدم الانسانى . وكان اهم التغييرات التى احدثها الاصلاحيون :

(ا) انقاص الادعية والصلوات الى الحد الأدنى مع اباحة تلاوتها بلغات البلاد التى يعيشون فيها .

(ب) ترك الترانيم الشعرية العبرية والارامية القديمة .

(ج) ادخال الآلات الموسيقية وفرق الانشاد الجماعى من الجنسين فى المعبد .

(د) انكروا فى اعتقادهم ان يكون الخلاص معناه اقامة دولة فى فلسطين ، وهم بذلك كانوا وما يزالون من الفرق غير الصهيونية ، فعندهم ان الخلاص يكون فى الدنيا بالحصول على المساواة فى الحقوق المدنية ولا ضرورة اطلاقا لربط ذلك بفلسطين او بغيرها من البلاد .

7- אחד העם : כל כתבי אחד העם עמ" 27.

8- שם עמ" 27.

- 9- כורית גורדון עמי 263.
10- בן אור, אהרון : תולדות הספרות העברית החדשה. תל-אביב.
הוצאת יזרעאל סך 4, עמי 62.
11- בן אור : עמי 62.

12- יעקב סון : כל ספרי יעקב סון. מרחוק. הוצאת דביר
תל-אביב. 1969, עמי עמיקה.

13- שם עמי קה.

14- שם עמי קי.

15- שם עמי קיג.

16- שם עמי קיד.

17- שם עמי קי, קז.

18- שם עמי קז.

19- שם עמי קז.

20- שם עמי קז.

(21) יהודה עמיחי : אדיב אמרילי ولد عام 1924 في مدينة
فیرتسبورج بألمانيا ، هاجر الى فلسطين عام 1936 ، وتطوع في الفيلق
اليهودي الذي كان يساعد بريطانيا في الحرب العالمية الثانية فاشتراك في
حرب العلمين ، ومكث في مصر لمدة عامين . كما انضم لجماعة البالماخ
اليهودية أثناء حرب 1948 . وقد بدأ ينشر شعره في اواخر الاربعينات ،
ويعتبر عמיحي رائدا للمدرسة الجديدة التي نشأت بعد قيام الدولة ،
فقد أدخل الى الشعر العبري المصطلحات العصرية التي كان الشعراء
يتحاشونها قبل ذلك . دواوينه الشعرية الاولى هي : עכשן רבימים האודים
الآن وفي الايام الأخرى : במדחק שחי תקוות אמלן عن بعد 1958 ،
בביתה העבורית في الحديقة العامة 1959 ، ثم جمع كل هذه الدواوين

في ديوان واحد و اضاف اليه قصائد جديدة ، وقد نشره تحت عنوان
 ״קצת צאנז״ قصائد ١٩٦٢ ، ويتسم عالم عيمحاي الشعري بالاتماع والتنوع ،
 فالشعر عنده تأمل وتفسير وحوار يجريه الشاعر بين ذاته وذوات الأشياء
 من حوله ؛ كما ان الشعر عنده مقترن بالانطباعات الخاصة « بالانا »
 ويعقائده وآرائه الشخصية .

وقد كتب عيمحاي مجموعة من القصص من بينها : ״עכסר וזאג מאן
 לימט فی هذا الزمان ولا في هذا المكان ، ברוח הנוראה הזאת
 بهذه الروح الرهيبة ، وهي المجموعة القصصية التي تضم قصة הסדר באסואן
 سد أسوان التي تناولها في كتابنا ، מסע לנדידה رحلة لنيوى .

وقد حصل عيمحاي على جائزة برنر في الادب عام ١٩٦٩ ،
 وعلى جائزة بياليك عام ١٩٧٦ ، وعلى جائزة اسرائيل في الشعر عام
 ١٩٧٨ ، وقد ترجمت اجزاء كبيرة من انتاجه الشعري الى الانجليزية .
 وقد انضم الى « جماعة السلام الآن » منذ تأسيسها .

- 32- עמיחי, יהודה : הסדר באסואן. הרוח הנוראה הזאת. הוצאת שוקן 1973.
- 23- דן עוסד : גדוה על יהודה עמיחי על עצמו ודבריו. הוצאת מספר 25
 ירלי 1978 עמ' 6'5.
- 24- שם עמ' 5.
- 25- שם עמ' 6.
- 26- עמיחי, הסדר באסואן עמ' 235.
- 27- שם עמ' 226.
- 28- שם עמ' 227.
- 29- שם עמ' 232.
- 30- שם עמ' 232.
- 31- נסים קלדרון : התרפפות סיון קריאה. ספטמבר 1972 עמ' 310.
- 32- עמיחי : הסדר באסואן עמ' 234.

(٣٣) كاتبة اسرائيلية عاشت في مصر عام ١٩٢١ .

34- בחיה כהנה : ספינקס. - שרות עצ החד. הוצאת כספה

1965 עכ" 77.

35- שם עכ" 77.

36- שם עכ" 77.

37- שם עכ" 77.

38- שם עכ" 77.

39- דבורה בארון : הגולים ספרית לעם, 1970 עכ" 42.

(٤٠) دافيد شمعوني : أديب عبري من أصل روسي ، هاجر الى فلسطين عام ١٩٠٩ حيث عمل حارسا ومزارعا في عدة مستوطنات يهودية ، ثم سافر الى اوروبا مرة أخرى حيث درس الفلسفة وفقه اللغات السامية في جامعات ألمانيا في الفترة بين عامي ١٩١١ - ١١١٤ ، ثم أراد ان يعود مرة اخرى الى فلسطين ولكن اندلاع الحرب العالمية الاولى حال دون ذلك ، فسافر الى روسيا حيث عمل في بعض الأنشطة الصحفية حتى عام ١٩٢١ حيث عاد الى فلسطين بصفة نهائية ، وعمل مدرسا في مدرسة هرتسليا الثانوية حتى وفاته .

واهم اعماله שירים قصائد ١٩٢٥ ، נאמר מסלא قصائد

الرحلات عام ١٩٣١ ، ספר האידיליות ديوان القصائد الوصفية ،

השואה في السر عام ١٠٥٥ . كانت اشعاره في المرحلة الاولى ذات طابع عاطفي يعبر عن الحزن بسبب الاحساس اليهودي العام بعدم الانتماء ، كما تصف هذه الاشعار - بحماس شديد - حياة الرواد الاوائل ، ولكنه كتب اشعارا هجائية بعضها موجه ضد الانتداب البريطاني والبعض الآخر موجه ضد العرب .

4- שמעוני דוד : שירים ספר האשון, פנדורה כניה הוצאת

"כספה", תל-אביב, תשי"ד עכ" קד.

هوامش الفصل الثالث - مصر رمز للمنفى

(١) فى بداية العقد الثامن من القرن الماضى قامت السلطات القيصريّة فى روسيا بغارات عنيفة على التجمعات اليهودية فأخذوا يقتلون منهم العديد وينهبون من اموالهم الكثير ، ولقد تخفت هذه الحملات القيصريّة تحت ستار الوطنية والحرص على الدين ومصالح الكنيسة ، ولكن الدافع لها كان غالبا ، محاولة هذه السلطات الاستبدادية الهاء الجماهير المقهورة ، ولفت انتظارهم بعيدا عن تعاستهم وبؤسهم ، وشغلهم عما يعانونه من التخلف والطغيان ، وكذلك محاولة اقسام من الطبقة البرجوازية الروسية التخلص من منافسة التجار اليهود لهم .

ولقد وصلت هذه الحملات الى ذروتها مع سلسلة المذابح الجماعية الموجهة ضد تجمعات اليهود واحيائهم والمسماه بوجروم ١٩٠٦ □ وهى كلمة روسية تعنى « تدمير » او « هجوم » او « فتك » ، وكانت هذه المذابح دافعا رئيسيا فى اعادة المثقفين اليهود الى التقوقع داخل اليهودية مرة اخرى وبعث المثل العليا القديمة بصورة جديدة .

(٢) فى يناير عام ١٩١٥ قام والى العثمانى باصدار فرمان يحرم النشاط الصهيونى ، وبذلك ضيق الخناق على التجمعات اليهودية فى فلسطين ، فتدفق العديد منهم الى مصر ، وقد احسنت الحكومة المصرية استقبالهم واکرمت وفادتهم ونظمت اساليب مساعدتهم . وتكونت فى معسكر اللاجئين اليهود بالاسكندرية عام ١٩١٥ نواة الفرقة اليهودية (راكبى البغال) التى خدمت قوات الحلفاء فى العمليات العسكرية فى جاليبولى . وقد ساعدت جموع اللاجئين على انتشار الاخطار الصهيونية بين يهود الاسكندرية ، كما شجع وجودهم على توحيد النشاط الصهيونى فى مصر . اذ وجدت الجمعيات الصهيونية نفسها مضطرة الى توحيد جهودها للسهر على راحة اللاجئين وتوفير اقامة ملائمة لهم .

(٣) فاض قلب هتلر بكراهية شديدة لليهود حتى اتخذ الانسان اليهودى عنده صورة المجرم والخائن والماركسى والماسونى ورجل البنسك الدولى وحليف رجال الدين ، وكان مبعث هذه الكراهية عدة امور منها سيطرة اليهود على معظم مجالات الاقتصاد الالمانى ؛ ومنها ايضا ان اليهود يصنفون انفسهم باعتبارهم « امة سامية تؤكد على جمال الأخلاق فى مقابل الأمم الأخرى التى تؤكد على اخلاق الجمال » مما اشعل الحقد فى قلوب الالمان خاصة وان هذه الفترة كانت فترة رواج فكرة القوميات حيث ذهب كل شعب يبحث عن عبقريته واصالته ، وكان الالمان انذاك يبحثون ايضا عن قوميتهم ، فحدث الصراع بين الفكر اليهودى والفكر الالمانى الذى كان يؤكد ان اليهود قد « افسدوا الدم الأرى النقى » وانهم السبب الرئيسى فى خراب المانيا ، وانهم طعنوا الشعب الالمانى فى ظهره اثناء الحرب الأولى ، ولذلك بدا ان التخلص من هذا العدو يعتبر المبرر الصحيح لاتجاه الحركة النازية ، وتنقسم فترة الاضطهاد النازى لليهود الى مرحلتين : الأولى من ١٩٣٣ حتى ١٩٣٩ حينما شن النازيون حملات على اليهود لاثارة مشاعر الكراهية والاحتقار ضدهم وتبدأ المرحلة الثانية من عام ١٩٣٩ حتى نهاية الحكم النازى ، وهى مرحلة الابادة الجماعية لليهود والتى بلغت ذروتها فيما بين عامى ١٩٤١ ، ١٩٤٤ حيث قضى على اعداد غفيرة منهم . وقد تركت الابادة جرحا شديدا فى الوجدان اليهودى حتى ان التصورات اليهودية عن الخالق قد تعدلت بعض الشيء وصار كثير من اليهود يسألون عن مدى تدخل الخالق فى التاريخ ومدى مسؤوليته ، كما اادت الابادة الى شعور الاوروبيين باحساس يطلق عليه « ازمة الضمير الأوروبى » وصارت أوروبا كلها تشعر بالرغبة فى التكفير .

(٤) نانا الترمان ١٩٠١ - ١٩٧٠ : شاعر اسرائيلى ولد فى بولندا عام ١٩٢٠ ، ثم هاجر الى اسرائيل مع عائلته حين بلغ الرابعة عشر من عمره ، حيث عمل محررا ومترجما فى هآرتس منذ عام ١٩٣٤ حتى عام ١٩٤٣ ، ثم انتقل - بعد ذلك - الى صحيفة دافار العمالية . نشرت به كورة انتاجه الشعرى عام ١٩٣١ فى المجلة الاسبوعية كتوبيم والتى كان يحرقها آنذاك الشاعر ابراهام شلونسكى . وقد اشتهر الترمان

كشاعر شعبي ساخر يستعمل العبرية الدارجة في انتقاد الأحداث التي تدور من حوله ، ويعتبر واحدا من رواد الشعر العبري الحديث . ومن أهم أعماله « كواكب في الخارج » ، « فرحة الفقراء » ، « قصائد ضربات مصر » وغيرها . ويستخدم الترمان البالادا الأوروبية استخداما جيدا ، وتفيض بعض أعماله الابداعية بموضوعات الحب والموت التي افرزها العذاب الرومانسي ، فالعاشق الميت العائد هو غالبا عاشق مقهور ، والمرأة المتقبلة ، والشاعر الجوال الذي ينظر الى الدنيا كمعبد أو حانه ، هي من الموتيمات التي تتكرر في شعره .

- 5- אלי טביר : כל ימי יצירות של אלטרמן עמ" 145 .
6- דן כירון : ארבע פנים בספרות העברית בת ימינו. הוצאת ז'וקן.

השכ"ב עמ" 42.

- אלי טביר : על שתי יצירות של אלטרמן עמ" 145 .
- נורית גוברין : מצגים בספרות העברית של הדורות האחרונים עמ" 271 .
- נעים עראیدی : نافذة على الأدب العبري الحديث ص ٨٦ .

- 7- נורית גוברין : מצגים בספרות העברית של הדורות האחרונים עמ" 271 .

- 8- נתן אלטרמן : כל כתבי נתן אלטרמן. שירים שמכר , כך 7 , הוצאת הקבוץ המאוחד. תל-אביב 1972 עמ" 227-223 .

- 9- עם עמ" 229-230 .

- (١٠) نעים عرایدی : نافذة على الأدب العبري الحديث ص ٨٨ .

- 11- דן כירון : ארבע פנים בספרות העברית בת ימינו עמ" 46 .

- 12- נתן אלטרמן : כל כתבי. שירים. כך 7 עמ" 234-236-238 .

- (١٣) الناقد هو ميخالى ، والاقتباس نقله عن ابراهيم البحراوى :
الأدب الصهيوني في بين حريين . حزيران ٦٧ وتشرين ٧٣ . المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٧ ص ٢٢ .

- ١٩٣ -

(م ١٣ - الأدب العبري)

(١٤) איהוד בן עיזר (١٩٣٦ -) . كاتب امراثيلي ولد في
بتاح تكفا عام ١٩٣٦ ، وهو حفيد باروخ راب الذي شارك في تأسيس قرية
بتاح تكفا ، تلقى تعليمه الاولي في قريته ، ثم التحق بالجامعة العبرية
بالقدس . نظم الشعر وكتب القصص والمقالات الصحفية والادبية والنقدية
في مجالات الادب والفلسفة وقصص الاطفال . وقد نشرت روايته الشهيرة
המחצבה (النجم - الحجر) عام ١٩٦٣ . وفي عام ١٩٦٨ نشر روايته
الثانية אנשי סדום رجال سدوم .

15- גזרית גוברין : מציג בספרות העברית על הדורות האחרונים עמ' 272.

16- איהוד בן עזר : אשה, מחזור סיפורים. ספרית הרמל 1978 עמ' 87.

17- שם עמ' 88.

18- שם עמ' 95.

19- שם עמ' 89.

20- שם עמ' 91.

21- שם עמ' 91-92.

22- שם עמ' 93.

23- שם עמ' 93.

هوامش الباب الثاني

الفصل الأول

مصر في ادب الرحلات

(١) يهودا بورلا ١٨٨٦ - ١٩٦٩ : قصاص اسرائيل ولد في القدس لعائلة من الحاخامات الشرقيين ، ولذلك تربي تربية دينية تقليدية متعصبة . وهو يعتبر اول كاتب بالعبرية الحديثة ينتمى لاصول شرقية . وقد خدم في الجيش التركي ابان الحرب العالمية الاولى ، وعمل بعد ذلك مديرا للمدارس العبرية في دمشق لمدة خمس سنوات ، وذهب الى امريكا اللاتينية عام ١٩٤٦ مندوبا عن الصندوق القومي اليهودي . وبعد قيام الدولة عمل مدير لبعض دور النشر والصحافة .

وقد بدأ بورلا في الكتابة منذ سن مبكر واكتشف ان ادب العبرية الحديث ينصب كله على حياة اليهود الغربيين فقرر ان يعالج حياة اليهود الشرقيين في قصصه ، وكانت اولى قصصه ١٩٢٧ « لونا » تصويرا لقصة حب وقعت حوادثها في القدس القديمة ، ومن اشهر قصصه « بدون نجم » « الزوجة المكروهة » ، كما كتب قصصا تاريخية منها قصة حياة يهودا هاليفى التى نتناولها في كتابنا .

(٢) يهودا هليفى : اكبر الشعراء العبريين في العصور الوسطى ، للقب ايضا بابى الحسن اللاوى ، ولد في مدينة طليطله عام ١٠٨٠ ، ثم درس الطب . وكان اللاوى مولعا بالشعر فقرضه في العديد من الاغراض كالمديح والغزل ووصف الطبيعة وكذا الاشعار الدينية ، وقد نظم اشعاره كلها على غرار الشعر العربى ، وهو ما فعله جميع ادباء العبرية في العصور الوسطى تقريبا ، حيث عايشوا الشعر العربى هناك ابان الفتح الاسلامى للاندلس ، فنقلوا بحوره وأوزانه وقوافيه وأخيلته وأغراضه ، وبات الشعر العبرى آنذاك يشبه الشعر العربى الى حد كبير . ويمتاز شعر يهودا اللاوى بعمق العاطفة وقوة الخيال وسلاسة الأسلوب وجزالة اللفظ ، وهو مع ذلك

فيلسوف له دراية واسعة بغير الفلسفة ، ويظهر ذلك جليا من مؤلف له في الفلسفة عنوانه 750 הכולל - وترجمته للعربية « الحجج والدليل في نصر الدين الذليل » .

3- רבי יהודה הלוי שאת יהודה בורלא. הוצאת מסדה.
חל- אביב 1968. עמ" 105-723 .

4- גורית גוברין : מצרים בספרות העברית של הדורות
האחרונים , עמ" 260 .

(5) عواطف عبد الرحمن . دكتورة : الصحافة الصهيونية في مصر
١٨٩٧ - ١٩٥٤ . دار الثقافة الجديدة . القاهرة ١٩٨٠ ص ٣٢ ، ٣٣ .

6- גורית גוברין : עמ" 260 .

7- ריקליס, י, ל : עם אהרונוביץ במצרים. הפועל הצעיר שנת

. שלושים ג 29-30 . דצ"ז .

(٨) يوسف أهارو نوفيتس : ١٨٧٧ - ١٩٣٧ . صحفي اسرائيلي ولد في تل أبيب وهو مؤسس مجلة « العامل الفتى » ، وهو من أوائل من ساندوا الحركة العمالية في فلسطين . تلقى في طفولته تعليما تقليديا ، سافر الى اوديسا حين كانت مركزا للأدب العبري . وهناك تلقى تعليما علمانيا وتعرف على أعضاء جمعية محبة صهيون وعلى أهداف هذه الجمعية . كما أسس رابطة الطلاب ١٩١٣ طلائع صهيون بهدف تشجيع الهجرة الى فلسطين والعمل بها . اشترك في المؤتمرات الصهيونية والاتحادات العمالية .

(٩) دבורا بارون ١٨٩٦ - ١٩٥٦ : أديبة عبرية ولدت في ليطا لعائلة يهودية متدينة ، حيث كان والدها حاخام المدينة ، وقد أثرت هذه البيئة المتدينة فيها تأثيرا كبيرا في مفاهيمها وثقافتها ، وقد هاجرت الى فلسطين عام ١٩١١ حيث عملت رئيسا لتحرير الملحق الادبي للمجلة الاسبوعية هبوعيل هتسعين فترة طويلة من الزمن ، وقد عاشت في مصر في الفترة من ١٩١٥ حتى ١٩١٩ وبالتحديد في الاسكندرية ، وقد نشرت قصصها الاولى في مجلة همليتس ، هسيلواح . وفاز كتابها 777 « صغر » بجائزة بياليك عام ١٩٣٣ ، وتعتبر دבורا بارون من الأدباء الذين صنعوا الشكل

الفنى المتطور فى القصة العبرية الحديثة ، تتميز كتابتها بالاختصار والتكثيف وبساطة الأسلوب ، وتميل الى التصوير اكثر منه الى الحكاية ، الا انها لا تصور التفاصيل ، بل تركز على الخطوط العامة . وقد جمعت قصصها جميعا فى مجموعة واحدة بعنوان "פּוֹתָנִים" « قضايا » عام ١٩٥١ ، والى جانبها مجموعة « من الّمس » التى تعتبر تكملة لاحدى قصص المجموعة الاولى ، وتحتوى على ثلاث قصص ، منها قصة "הַגִּלְגִּים" المنفيون التى نتناولها فى الكتاب .

10- גורית גוברין "ע" 260.

(١١) هؤاد حسنين على . دكتور . من الأدب العبرى . القاهرة .
معهد الدراسات العربية ١٩٦٣ ص ٢١١ .

12- גורית גוברין "ע" 259.

13- שם "ע" 261.

14- שם "ע" 260.

(١٥) يوسف حاييم برنر : كاتب وناقد عبرى ، من مواليد أوكرانيا وهو أحد رواد اليهودية العمالية . تلقى فى بداية حياته تعليما تقليديا يهوديا ، ثم مال الى كتب الهسكالا ، ولقد تأثر - من سن مبكرة - بأفكار تولستوى الاشتراكية الانسانية . هاجر الى لندن فى بداية هذا القرن ، وارتبط بحزب عمال صهيون פּוֹלֵקִים ، وفى عام ١٩٠٦ أصدر مجلة معورير פּוֹלֵקִים ، حيث كانت آنذاك المجلة العبرية الوحيدة ، ولكنها أغلقت بعد سنتين . فى عام ١٩٠٩ هاجر الى فلسطين . ومن أشهر أعماله

פּוֹתָנִים « لقمة خبز » ١٨٩٩ ، פּוֹתָנִים « الوادى العكر

١٩٠٠ בחורף . فى الشتاء ١٩٠٣ בִּיָּם לַמַּיִם « بين ماء وماء » ،
מִכָּאן מִכָּאן « من هنا ومن هنا » . وفى قصص برنر يظهر عذاب الانسان الذى يتصارع مع نفسه وكذلك مع المجتمع المحيط به ، كما يظهر فى أجواء قصصه قدر كبير من الكآبة .

(١٦) استير راب : اديبة عبرية ولدت في بتاح تكفا عام ١٨٩٩ ،
 كان عملها الاساسى مدرسة ، وبعد ان تزوجت عاشت في مصر لمدة خمس
 سنوات من ١٩٢٠ حتى ٢٥ : حيث عادت مرة اخرى الى فلسطين .
 نشرت باكورة قصائدها عام ١٩١٢ ، كما نشر ديوانها الاول קנשיבין
 « أشواك » عام ١٩٣٠ .

وشعر استير راب لاهتمين عليه تلك الروح التي هيمنت على الشعر
 العبرى في الشتات من حيث نظرته الى ابناء الشعوب الأخرى أو الى
 اليهودى واليهودية ، كما انها لا تنتمى الى احد التيارات الأدبية الحديثة
 فى اسرائيل ، بل لا يمكن تصنيفها باعتبارها منخرطة فى احد هذه
 التيارات ، حيث يغلب على أسلوبها طابع الكلاسيكية التي لازمت انتاجها
 الأدبى كله سواء فى ديوان שירת אסתר ראב « شعر استير اب »
 الذى صدر عام ١٩٦٣ والذى يتضمن باكورة انتاجها الشعرى ، او فى كتابها
 الأخير תפילה אחרונה « صلاة أخيرة الذى صدر عام ١٩٧٤ ،
 ولقد تأثرت استير راب كثيرا بمناظر الطبيعة فى فلسطين ومصر ، ولذا
 جعلتها ركنا أساسيا فى اشعارها العاطفية القصيرة ، بل جعلت تلك الطبيعة
 ومزا للحب .

17- נורית גוברין עמי 264.

18- שם עמי 264.

19- ברנד, גיטל ז"ל כתבי יוסף חיים ברנד. הוצאת הקבוץ השאנוד, הוצאת

בכיר. תל-אביב 1960 , עמי 287-288.

20- שם עמי 264.

21- שם עמי 289.

22- שם עמי 289.

23- שם עמי 289.

24- ברנד, יוסף חיים: ספרים. הפועל הצעיר . שנה ה, גיליון 8,

11/1/1915.

25- 77

(26) انظر هامش رقم 9 من هذا الفصل .

(27) انظر هامش رقم 8 من هذا الفصل .

(28) هناك رسائل من اهارو نوفيتس الى صديقه يهودا ليف ركلס
דיוקן ריקליס والى يوسف شפר ينتسك والى يوسف حاييم ברנר , وقد
نشرها الاخير ضمن كتاباته , كما ان هناك كتباً للسيرة كتبها بعض يهود
الاسكندرية , تناولوا فيها علاقاتهم مع دבורا بارون واهارو نوفيتس منها
على سبيل المثال ما كتبه دافيد يودلفيتس דוד יודלביץ تحت
عنوان גולד ארץ ישראל במצרים « المنفيون الاسرائيليون في مصر » ,
وما كتبه يهودا ريكلس بعنوان עם אחרונים במצרים مع اهارو نوفيتس
في مصر » .

(29) نعيم عرايدى : نافذة على الادب العبري الحديث . دار
المشرق . فلسطين المحتلة 1984 ص 39 .

(30) לחובר פ : ראשונים ואחרונים עם 395.

31- נורית גוברין : עמ" 260.

32- דבורה בארון : הגולד. ספריה לעם, הוצאת עם עובד

תל-אביב, 1970, עמ" 41.

33- שם עמ" 41.

34- שם עמ" 65.

35- שם עמ" 65.

11

36- שם עמ" 65.

37- שם עמ" 65.

38- שם עמ" 93-94.

39- שם עמ" 50.

40- שם עמ" 52.

41- שם עמ" 56.

42- נורית גוברין : נחירה בספרות הערבית של הדורות

האחרונים, עמ" 267.

43- שם עמ" 267.

44- אסתר ראב : גן שודב : מבחר ספורים, זבעה שירים.

ספרית תרמ"ל 1983, עמ" 193-196.

45- אסתר ראב : גן שודב עמ" 187.

40- שם עמי 187.

47- אסתר ראב : תחת האקליפטוס בחלואן . תש"ז, 1983 עמי 193.

48- שם עמי 198.

49- אסתר ראב : תחת האקליפטוס בחלואן , עמי 192-193.

50- עמיחי , יהודה : הסבר באסואן . הרוח הנוראה הזאת. הוצאת שוקן 1973
עמי 228.

51- שם עמי 228.

52- שם עמי 226.

53- קווים לשירת עמיחי. על המשבר, המוסף לספרות 5/9/1969 עמי 10.

54- עמיחי , יהודה. שירים 1948-1962. שוקן, ירושלים תשל"ז עמי 95.

55- עמיחי : הסבר באסואן עמי 227.

(56) اسحق بن نير-צחק בן נר : كاتب اسرائيلي ولد في قرية
يهوشع ، نشر قصته الأولى ' הנורד הזקן ' « المشرّد
العجوز » عام ١٩٥٤ بتوقيع مستعار (ران نوف ראן נרב) ثم بدأ
يوقع باسمه الحقيقي على قصصه عام ١٩٥٩ حيث نشر قصته ' המגדל
« البرج » ، وفي عام ١٩٦٤ قصة ' אלקסנדר הגדול ' « الاسكندر
الأكبر » نشرت قصصه في صحف هآرتس ، كيشت ، سيمان הארץ , קשת,

שמך وصدرت له مجموعات قصصية عديدة منها : ' שקיעה כפרית
« غروب ريفي » وهي تحتوى على ثمان قصص كتبت بعد حرب ١٩٦٧ ،
ثم أعقبها بمجموعة أخرى تحت عنوان ' אחד הגשם « بعد المطر » ،
وفي عام ١٩٨١ نشر مجموعة ' ארץ דחק ' « أرض بعيدة » وهي
تحتوى على ست قصص تدور جميعها حول معاهدة السلام المصرية
الاسرائيلية وما يترتب عليها من نتائج ، وقد تناولنا احداها في هذا البحث .

كما صدرت له مجموعة من كتب الأطفال ، وقد ترجمت قصصه
وكتبه الى العديد من اللغات مثل الانجليزية والفرنسية والاسبانية والايطالية
واليابانية . يعمل صحفيا ومعدا اذاعيا وناقدا سينمائيا في اسرائيل .

57- יצחק בן נר : דורד אובוסט, פברואר, ארץ החקלאות, הוצאת כתר, ירושלים.

1981 עמ" 105.

58- שם עמ" 123.

59- שם עמ" 122.

60- שם עמ" 131.

61- שם עמ" 107.

62- יוסל שה לבן : יצחק בן נר. הוצאת אור עם 1983 עמ" 9.

هوامش الفصل الثانى

مصر كموطن للميلاد

(١) شارك اليهود فى الحياة السياسية المصرية ، بيد أن مشاركتهم اقتصرت على الأدوار الفردية ، حيث برزت بعض الشخصيات اليهودية التى انضمت الى الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الاولى ، وادت هذه الشخصيات ادوارا متعددة داخل مجلسى الشيوخ والنواب ، أو كوزراء أو كموظفين فى القصر . منهم على سبيل المثال ليون كاسترون ، المحامى اليهودى الذى وفد من تركيا الى مصر بعد الحرب العالمية الاولى ، واستطاع أن يحضر بثقة سعد زغلول ، بل ورافقه فى مفاوضاته فى لندن بل أن منهم من تولى مسؤوليات رئيسية فى السلطة التنفيذية مثل يوسف قطاوى باشا الذى شغل منصب وزير المالية فى حكومة سعد زغلول عام ١٩٢٤ ، ثم عين وزيرا للمواصلات فى حكومة أحمد زيوار باشا عام ١٩٣٥ ، وغير ذلك من الشخصيات اليهودية التى برزت فى الحياة السياسية المصرية .

(٢) عواطف عبد الرحمن . الصحافة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ،

١٩٥٤ . دار الثقافة الجديدة . القاهرة ١٩٨٠ ص ١٠ .

3 — H. Aurain A : Minorities in Arab World. London 1941

pp. 41 .

نقلا عن عواطف عبد الرحمن . ص ١٣ .

4- נורית גוברין עמ" 272.

5- רחל מכבי : מצרים שלי . ספרית פועלים , 1968 עמ" 12.

6- שם עמ" 13.

- 7- שם עמ" 8-9.
- 8- שם עמ" 24 .
- 9- שם עמ" 24 .
- 10- שם עמ" 38 .
- 11- שם עמ" 28 .
- 12- שם עמ" 28 .
- 13- שם עמ" 13 .
- 14- שם עמ" 57 .
- 15- שם עמ" 75-76.

(16) אנד הארזיל דאגאן .

שاعרה אסראלילי ונדת פי القاهرة عام 1934 ثم هاجرت الى فلسطين
مرورا بفرنسا عام 1949 ، تلقت تعليمها الثانوي في مستعمرة مشمار
هاعيمق ، ثم درست الادب العبري في جامعة تل ابيب ، كما درست الادب
الفرنسي في جامعة السوربون ، وتعمل الآن مدرسة للفلسفة ، ومن أشهر

اعمالها ديوان 'מים רבים' مياه غزيرة عام 1972 ، אברהם
היה . كان ابراهيم موجودا عام 1974 ، פואמה קהירית قصيدة
قاهرية 1981 .

17- אנדה הראל-דגן : פואמה קהירית. הוצאת עקד חל-אביב 1981.

18- שם עמ" 5.

19- שם עמ" 1.

20- שם עמ" 3.

21- שם עמ" 6.

(٢٢) جاكلين كاهانون : اديبة اسرائيلية ، ولدت في القاهرة في ١٨/٥/١٩١٧ ، تلقت تعليمها الاول فيها ثم عملت فيها فترة من الزمن ، وفي عام ١٩٤٠ تزوجت وسافرت الى الولايات المتحدة الأمريكية حيث التحقت بجامعة كولومبيا : بعد تخرجها في الجامعة عملت في الولايات حتى عام ١٩٥١ حيث سافرت الى باريس وظلت تعمل هناك حتى ١٩٥٤ وهو نفس العام الذي هاجرت فيه الى فلسطين . وتتركز اعمالها الأدبية في القصص والمقالات ، ولها دراسات في علم النفس ، وقد نشرت باكورة إنتاجها باللغة الانجليزية ، ولكنها بدأت تنشر بالعبرية منذ عام ١٩٥٦ . ومن أهم مؤلفاتها סיפורים אפריקאים בני ארצות אפריקה المعاصرة عام ١٩٦٣ ، ממזרח שמש ، من مشرق الشمس ١٩٧٨ ، דרך הלבנים

جيل الشرقيين ، وهي تميل الى الكتابة عن البلاد الشرقية .

23- זקלין סהנוב : ממזרח שמש. הוצאת ספרים

1978. ילדות במצרים ופסח במצרים.

24- זקלין סהנוב : ילדות במצרים עמ" 11.

25- שם עמ" 12.

26- שם עמ" 12.

27- שם עמ" 13.

28- שם עמ" 13.

29- זקלין סהנוב : כסה במצרים עמ" 21.

30- שם עמ" 21.

31- שם עמ" 21 . - ٢٠٦ -

(32) اسحق جور مزانو : اديب اسرائيلياى ولدفي مصر عام ١٩٤١
وهاجر الى فلسطين عام ١٩٥١ .

33- גורן, יצחק גורמזאנו : קיץ אלכסנדרוני, ספריה לעם ערבד 1978.

34- שם עמ" 9.

35- שם עמ" 9.

36- שם עמ" 20.

37- שם עמ" 15.

38- שם עמ" 9.

39- שם עמ" 17.

40- שם עמ" 82.

هوامش الفصل الثالث مصر في الأرض المحتلة

(١) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الأهرام :
المجتمع الاسرائيلي . التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ١٩٨٠
الجزء الثاني ص ٨٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٩ .

(٣) جدعون تLFار : اديب اسرائيلي من جيل الصابرا ، ولد في قرية
بتاح تكفا عام ١٩٣٦ ، أنهى تعليمه الجامعي في جامعة القدس عام ١٩٦١ ،
بدأ في نشر انتاجه الادبي حين بلغ السابعة عشر من عمره ، وبالتحديد
في عام ١٩٥٣ ، من أهم أعماله مجموعة قصصية بعنوان שכונת חמא
« حي حاب » وقد نشرت عام ١٩٦٦ ، وتحتوي على سبع قصص قصيرة .
٤- חלפז, בדעון : סי ורדים מפורס סעיד. הוצאת אבנר שלם, ירושלים
תש"כ.

5- שם עמ" 25.

6- שם עמ" 26.

7- שם עמ" 28.

8- שם עמ" 28.

9- שם עמ" 28.

10- שם עמ" 28.

(١١) الهجاناه : منظمة عسكرية صهيونية استيطانية تأسست في
القدس عام ١٩٢١ ، وقامت بالعمل المسلح ضد العرب ، كما شاركت في
عمليات الاستيطان وتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وقد تعاونت

هذه المنظمة مع بريطانيا لسحق الثورة العربية في فلسطين عام ١٩٣٦ ، وعلى الرغم من ذلك التعاون الوثيق بينهما ، فقد جاءت فترات اتسمت بالصراع بين الطرفين وخاصة بعد انتصار قوات الحلفاء على النازي وتعاضل المد الثوري داخل فلسطين ، مما كان يضطر الحكومة البريطانية للاعتراف الجزئي بحقوق الشعب الفلسطيني ، ولعل أهم فترات الصراع هي السنوات الأخيرة في الحرب حينما هاجمت الهجانا القوات البريطانية لتضطر الحكومة البريطانية لسحب الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ .

(١٢) اليغارر سمولى: اديب عبري ولد عام ١٩٠١ فى مقاطعة اوكرانيا اصدر العديد من المؤلفات الادبية للأطفال والشباب . تلقى تعليمه الاولى فى اوديسا ، هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٠ ، فى ١٩٢٣ انتهى دراسته فى مدرسة المعلمين الدينيين فى القدس ، ثم عمل مدرسا لمدة أربعين سنة فى منطقة الجليل وثل ابيب . فى عام ١٩٣٤ سافر الى برلين حيث درس العلوم الطبيعية فى جامعته . اهتم فى قصصه بتصوير حياة الفلاحين والطلّاع والمهاجرين والجدد، كما صور بهاء الطبيعة فى فلسطين .

نشر قصته الاولى *ההגרה והנאצי* الراعى المخلص فى مجلة *השבת* عام ١٩٢٧ . احدثت روايته الطويلة *אנשי בראשית* « شخصيات التكوين » دويا هائلا فى الاوساط الادبية العبرية ، حيث كانت اطول قصة كتبت للأطفال فى فلسطين حتى ذلك الوقت ، وكان سمولى متأثرا فيها - الى حد كبير - بما ورد فى كتاب العهد القديم ، وقد ترجمت هذه الرواية الى العديد من اللغات الاجنبية .

وقد كتب سيرة حياته تحت عنوان *שמואל בן שמעון* سمولى فى اسرائيل ، ونشر هذا الكتاب عام ١٩٧٠ ، ومن أهم أعماله ايضا *אדר בגלל نور فى الجليل* ، *בצל אידי* « فى ظل شجرة » *החלוצים* الطلائع ، *בין זריחה לשקיעה* بين الشروق والغروب وهى المجموعة القصصية التى اقتبسنا احداها فى كتابنا .

13- *שמואל* ، *אליעזר* : *חילוק משמורת* ، *בין זריחה לשקיעה* .

הוצאת יבנה 1956 .

قائمة المصادر والمراجع

أولا - باللغة العربية :

- ابراهيم البحراوى . دكتور : الادب الصهيونى بين حربين .
حزيران ٦٧ وتشرين ٧٣ . المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت
١٩٧٧ .

- أضواء على الادب الصهيونى فى المعاصر (كتاب الهلال - سلسلة
ثقافية شهرية . العدد ٢٥٧) القاهرة ١٩٧٣ .

- احمد حماد . دكتور : المدخل الى الادب العبرى الحديث . الجزء
الاول . القاهرة ١٩٨٠ .

- أحمد سوسة . دكتور : العرب واليهود فى التاريخ . الطبعة الثانية
العربى للاعلان والنشر . دمشق (بدون تاريخ) .

- السيد يس : الشخصية العربية بين المفهوم العربى والمفهوم
الاسرائيلى . القاهرة ١٩٧٣ .

- الفت محمد جلال . دكتور : الادب العبرى القديم والوسيط .
مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٨ .

- الكتاب المقدس (اى كتب العهد القديم والعهد الجديد) .

- جمال حمدان . دكتور : شخصية مصر . دراسة فى عبقرية المكان .
أربعة اجزاء . القاهرة . عالم الكتب ١٩٨٤ .

- حسن ظاظا . دكتور : الفكر الدينى الاسرائيلى . اطواره ومذاهبه
القاهرة ١٩٧٥ .

- رشاد الشامى . دكتور : لمحات من الادب العبرى الحديث مع
نماذج مترجمة . مكتبة سعيد رافت . جامعة عين شمس ١٩٨٤ .

- رشاد الشامي . دكتور : الأسير العربى والعجز الاسرائيلى عن
الحسم الاخلاقى فى قصة الاسير لسامىخ يزهار . مجلة الدراسات الشرقية
العدد الثانى . يوليو ١٩٨٤ .

- سيد يعقوب بكر . دكتور : من شعر بباليك . حوليات كلية
الآداب جامعة القاهرة . المجلد ٢٦ . الجزء الأول . مايو ١٩٦٤ .

- صابر عبد الرحمن طعيمة : اليهود بين الدين والتاريخ - دراسة
للمجانب العقائدية والتاريخية عند بنى اسرائيل . مكتبة النهضة المصرية .
القاهرة ١٩٧٢ .

- عبد العزيز صالح . دكتور : حضارة مصر القديمة . القاهرة
١٩٦٥ .

- عبد الوهاب المسيرى . دكتور : الأقليات اليهودية بين التجارة
والادعاء القومى . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . معهد
الدراسات العربية . القاهرة ١٩٧٥ .

- عبد الوهاب المسيرى . دكتور : موسوعة المفاهيم والمصطلحات
الصهيونية . مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام . القاهرة
١٩٧٥ .

- عطية القوصى . دكتور : اليهود فى ظل الحضارة الاسلامية .
القاهرة ١٩٧٨ .

- عواطف عبد الرحمن . دكتورة : الصحافة الصهيونية فى مصر
١٨٩٧ - ١٩٥٤ . دار الثقافة الجديدة . القاهرة ١٩٨٠ .

- غسان كنفانى : فى الادب الصهيونى . منظمة التحرير الفلسطينية
مركز الأبحاث . بيروت ١٩٦٧ .

- فاروق جودى . دكتور : الصهيونية وحياء اللغة فى العصر
الحميث . دار النشر العربى . القاهرة ١٩٧٧ .

فاروق جودى . دكتور : الصهيونية واللغة . دار الثقافة للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٧٧ .

- فهمى وليم : الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة . القاهرة ١٩٧١

- فؤاد حسنين على . دكتور : الادب اليهودى المعاصر . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ١٩٧٢ .

- فؤاد حسنين على . دكتور : من الادب العبرى . معهد الدراسات العربية . القاهرة ١٩٦٣ .

- كلوزنر يوسف : الموجز فى تاريخ الادب العبرى الحديث ١٧٨١ - ١٩٣٩ تعريب اسحق شموش . عكا ١٩٨٦ .

- محمد جمال امام : هتلر والصهيونية . القاهرة ١٩٧٨ .

- محمد خليفة حسن . دكتور : الحركة الصهيونية . طبيعتها وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودى . القاهرة دار المعارف ١٩٨١ .

- علاقة الاسلام باليهودية . رؤية اسلامية فى مصادر التوراة الحالية . دار الثقافة للنشر والتوزيع . القاهرة ١٩٨٦

- : نظرة نقدت فى قضية الاصل المصرى القديم لموسى وديانته مقال نشر فى مجلة الدراسات الشرقية . العدد الثالث . ديسمبر ١٩٨٥ .

- مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الاهرام . القاهرة المجتمع الاسرائيلى التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . الجزء الاول والثانى ١٩٨٠ .

- معين بسيمو : نماذج من الرواية الاسرائيلية المعاصرة . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . القاهرة ١٩٧٠ .

- نازك ابراهيم عبد الفتاح • دكتور : الشعر العبرى الحديث
اغراضه وصوره • القاهرة ١٩٨٠ •
- نعيم عرايدى : نافذة على الأدب العبرى الحديث • دار المشرق •
فلسطين المحتلة ١٩٨٤ •
- نعمات احمد فؤاد • دكتورة : شخصية مصر • القاهرة • الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ •
- ول ديورانت : قصة الحضارة • ترجمة محمد بدران • جامعة
الدول العربية • الطبعة الثالثة ١٩٦١ الجزء الثانى من المجلد الأول •
- قاموس الكتاب المقدس •

رسائل جامعية غير منشورة :

- السيد اسماعيل السروى : دافيد شمعونى شاعرا اسرائيليا •
رسالة ماجستير • جامعة القاهرة ١٩٨٦ •
- زين العابدين محمود حسن : المقال عند احادها عام • رسالة
دكتوراه • جامعة القاهرة ١٩٨٢ •
- محمد احمد محمود حسن : مصر فى العهد القديم • رسالة دكتوراه
جامعة القاهرة •
- محمد محمد الخطيب : جرينبرج شاعرا • رسالة ماجستير •
القاهرة ١٩٨٠ •
- عبد الخالق عبد الله جبة : يهودا عيمائى • حياته وشعره •
رسالة ماجستير • جامعة القاهرة ١٩٨٥ •
- علاء عبد المجيد القنصل : خروج بنى اسرائيل من مصر • رسالة
ماجستير • جامعة القاهرة ١٩٧٩ •

שנייה - باللغة العبرية :

- אחד העל : כל כתבי אהרן הכהן . תל-אביב . דביר . 1905.
- אבינבר, יצחק : תולדות ישראל בעת החדשה . תל-אביב . דביר . תשנ"ט.
- אלדמן , נתן : יצירי ככות מצרים הוצאת מחברות לספרות 1944.
- בארון, דבורה : " הגולים " ספריה לעם, עם עובד 1970.
- בורלא , יהודה : סעדי רבי יהודה הלוי . הוצאת עם עובד 1959.
- ביאליק , חיים זושמן : כל כתבי ביאליק . תל-אביב דביר
- בן אור, אהרון : תולדות הספרות העברית החדשה, סך "ג", הוצאת יזרעאל תשי"ט .
- : תולדות הספרות העברית בדורנו . יזרעאל תל-אביב 1968 .
- בן נר, יצחק : האיש ששם , ספריה לעם, עם עובד 1967.
- : דוד אוגוסט, קהיר , פבואר . ארץ רחוקה , הוצאת כד 1981 .
- בן עזר , אהוד : ליל שמורים אחד , אפרת , מחזור ספורים . הוצאת תרמיל 1978 .

- ברנר, יוסף חיים : עצבים, כתבים, סך "א" 1969-1911.

: במצרים, הפועל הצעיר, יחד ז. גלי 3 ידועה.

: כל כתבי יוסף חיים ברנר, הוצאת הקבוץ הארצי
תל-אביב, דביר 1966.

- גוברין, נורות : מצרים בכפרות העברית של הדורות האחרונים, רעים
למאמר בכפרות, אוניברסיטת חיפה, סך 2, 1965.

- גורדון, יהודה לב: כתבי יהודה לייב גורדון, אסנת בת פוסיפרה.
הוצאת דביר, תשכ"ו

- גורן, יצחק (גורמזנו): קיץ אלקסנדוני, ספריה לעם, עם עובד
1978.

- גרינברג, אורי צבי: אומה גדולה וירח, ספר פואמות הדיס תפ"ד.

- גרן, צבי : דברי ימי ישראל, 6 ספרים, הוצאת יזרעאל, תל-אביב
תשס"ו.

- דובנוב, שמעון : דברי ימי עם עולם, ספרי גיד, דביר, תל-אביב
תשכ"ב.

- הלפרין, ש : ספרי שירה צעירה בשנים האחרונות, עקד, ירושלים תש"ב.

- הרצל, דגן, אנוח : פואמה קהירית, הוצאת עקד, ירושלים 1962.

- יזרעאל-נפתלי הרץ : יסודי תפוצה, כרליק-ההג, י"ד-1302.

- סערני חובסקי- זאול : שבע נירים , דביר . תל-אביב תש"ב.
- יוסל שה לבן: יצחק בן נר, הוצאת אור עם 1983.
- סון, יעקוב : כפי יעקוב סון, כתבים ודאכטיים, ליד הפירמידות.
הוצאת דביר, תל-אביב 1939.
- סנא, בחיה : ספינגס . נפרות עץ ההדר. הוצאת מעפה 1965.
- סנוב, זקלין : ילדות כבצרים. קשת. תנא א . 1959.
- : שמורת טבע. הוצאת ספרים 1978.
- : פסח כבצרים. הוצאת ספרים 1978.
- לחובר, פ : תולדות הספרות העברית והעשרה, דביר, תל-אביב 1965.
- : שירה ומחשבה (סמות ומאמרים), דביר תל-אביב, תשי"ב.
- : ביאליק חייו ויצירותיו, טוכד ביאליק, דביר 1964.
- לחובר, פ : ראשונים ואחרונים. סמות וראשונים על סופרים. דביר תל-אביב
תשכ"ו.
- לקויר, זאב : תולדות הציונות. זקן ירושלים, 1973.
- מירון, דן : ארבע פנים בספרות העברית בה יצירה. הוצאת זקן.
ירושלים 1962.

- כנבי, רחל : נצרים שלי. הוצאת ספרית פועלים 1968.
- עובט, בן : עדותו של יהודה עמיחי על עצמו וטירתו. פרוזה
כספר 25, יולי 1978.
- עמיחי, יהודה : הסבר באסואן, הרוח הנוראה הזאת. הוצאת שוקן
ירושלים, 1973.
- : שירים 1948_1962. שוקן ירושלים ותל-אביב, תשל"ז.
- קורצוויל, ברוך : ספרותנו החדשה, הכרך או כהפסה. הוצאת שוקן,
ירושלים ותל-אביב תשל"א.
- קלוזנר, יוסף : קצור היסטוריה של הספרות העברית החדשה (שני
כרכים) ירושלים 1954.
- קרלס, ג : לכסיקון הספרות העברית בדורות האחרונים, ספריית מועלים.
- ראב, אסתר : "בן שדכ", "תחנת האקליפטוס בחילואן ריבת שושנים"
מבחר סיפורים ושבעה שירים. הוצאת דבשיל 1983.
- ריקלס, י"ל : עם אחרונוביץ בשירים. הפועל הצעיר שנת
30, גל 29-30. תרצ"ז.
- שאנן, אברהם : מלון הספרות החדשה. יבנה 1978.

- שאנן, אברהם: הספרות העברית החדשה לורפיה, מסדה. תל-אביב. 1966.
- עבד, אלי : על יצירות של אלחסינ. הוצאת עם עובד 1971.
- שמאלי, אליעזר : חילוף משדות, בין זריחה לשקיעה הוצאת יבנה 1956.
- שמעוני, דוד : שירים ספר ראשון, מהדורה שניה, הוצאת מסדה, תל-אביב תשי"ד.
- שקד, גרשון : גל חדש בספרות העברית. ספרית פועלים, תל-אביב 1971.
- : המחזה העברי החיססורי בחקופת התחייה, הוצאת מוסד ביאליק 1970.
- תלפז, גדעון : מי ורדים מפורס סעיד, הוצאת אגודת שלם. תשל"ב.
- תנ"ך : תורה נביאים כתובים.
- כתב עת "מוזנים". "פרוזה"
- האנציקלופדיה העברית.
- האנציקלופדיה המקראית.
- לקסקון האישים של ארץ ישראל, עם עובד 1983.

ثالثا - باللغة الانجليزية :

- Aubray, Selincourt : The world of Herodotus. Little and Company . Boston, Toronto 1962 .
- Aurain. H. A. : Minorities in Arab World. London 1947.
- Halkin, Simon : Modern . Hebrew Literature From Enlightenment to the Birth of state of Israel. Schochen Books inc. New York 1970
- Landa. J.L. Short Lectures on Modern Hebrew Literature, Edward Goldston L rd. London 1938.
- Pontet. C. P : The Ancient World - London 1912.
- Rena Lee kofman : In Egypt, In Exill : Studies in Two works of Yish a gr Ben Ner. Hebrew Studies 1933.
- Robertson : On the travke of the Oxodus - London 1936.
- Roth Cecil : A short History of the Jewish People London. East and West LibRARY 1949 . c jii
- Waxman Mayer : Ahistory of Jewish Literature New York 1941 .
- The Universal Jewish Encyclopedia . New York 1948.
- Encyclopedia Americana .
- Encyclopedia Britanica .

רביעא - המסאגם :

- מלון בן עושן 8 סדכים
 - אוצר ראשי תבות הוצאת ראובן, ירושלים תשל"ח. איהוד בן יהודה.
 - דוד וינשטין : מלון אנגלי ערבי, ערבי אנגלי 1971.
 - דב בן אבא : מלון ערבי אנגלי, אנגלי ערבי.
 - قاموس قوجمان . عبري - عربي . مكتبة الممتسب . ١٩٧٠ .
اللغات والترجمة . جامعة الأزهر . القاهرة ١٩٨٥ .
 - شعبان محمد سلام . دكتور : قاموس المختصرات العبرية ..
 - قاموس سفي . عبري - عربي . أربعة أجزاء .
-

رقم الايداع ٣٦٩٤ / ٦٩٨٧

مطبعة العرائنة للأوقاف

٤٨ ش زهران عمراية غربية - جبلة

ت : ٥٣٧٥٥٠
